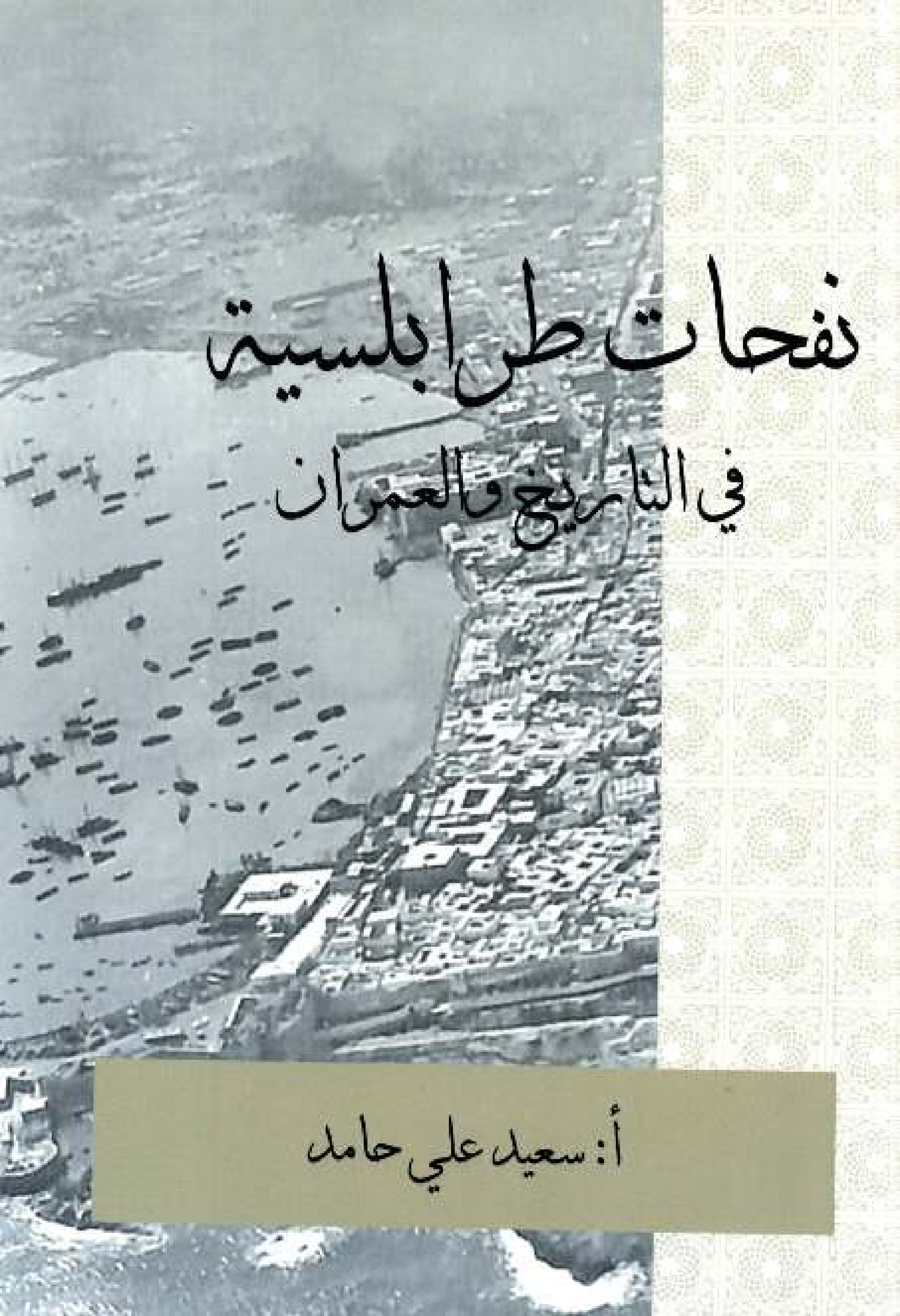


نفحات طرابلسية

في التاريخ والعمران

أ: سعيد علي حامد

إلى الأستاذ حسين اللعوشي

مع أطيب التحيات

6/2/2024





نفحات اطرابلسية

في التاريخ والعمران

إعداد

أ . سعيد علي حامد

متابعة وإشراف فني

أ. يوسف خليل الخوجة

تصميم وتنفيذ

جميل محمد القاضي

منشورات جهاز إدارة المدينة القديمة اطرابلس 2022م

تنفيذ | شركة ألف لخدمات الدعاية و الإعلان info @1000.ly 1000



نفحات اطرابلسية

في التاريخ والعمران

الطبعة الأولى 2022م

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

ردمك :0-00-976-9959-978

رقم الإيداع :480

دار الكتب الوطنية

الإهداء

إلى كل من عشق مدينة اطرابلس .

تاريخها ، معمارها ، أهلها .

فهي بديعة حسن زادها الله بهجة .

وأمن أهليها من الخوف والشغب .

مقدمة

"الحق يقال أن جميع الرحالين يؤكدون المنظر الرائق لمدينة اطرابلس من الخارج، وعلى وجه الخصوص من البحر. أسوار المدينة البيضاء الوضاءة ذات الفرضات والأبراج الصغيرة، كتلة السراي الخلابة ذات الشكل غير المنتظم عن يسار المدينة والحصن القائم على لسان صخري بارز داخل البحر عن يمينها، والبيوت القائمة ذات الطراز المغربي والبعض منها ذو طراز أوربي. إلا أنها جميعاً ذات سطوح مستوية، وتعلو من بينها مآذن الجوامع والزوايا والمدارس على شكل أعمدة. هذه العناصر تشكل منظراً كلياً تدعه الشمس الأفريقية يبتسم،وينعكس على سطح البحر المتوسط الأزرق، إنها ولا شك تشكل منظراً أخاذاً لا نجده إلا في القليل من مدن الشمال الأفريقي"

هذا ما كتبه الرحالة الألماني (هنريش فون مالتسان) عام 1869م عند زيارته لمدينة اطرابلس.
وتكمل الحديث عن اطرابلس (المس مابل تود) التي زارتها مرتين الأولى في سنة 1900م والأخيرة في 1905م لرصد كسوف الشمس فتقول :

" تقدم اطرابلس، بالبحر الأزرق، والرمال وبياض المدينة الباهر، وبالعرب والبدو المحيرين والغامضين، بآثار مغمورة في التاريخ نصف المنسي، فكل حجر مليء بالايحاء، ولانها الجار القريب لخرائب لا تحصى عصفت بها الرمال، كل منها بقصتها الصامتة، تنتظر التفسير، إن اطرابلس بهذا تقدم مادة لا يمكن تخيلها للفنان وعالم الآثار والمؤرخ، وتقدم مثل ذلك للمنقبين عن المشاكل السلالية، ولدارسي علم اللغات على اختلاف لغاتهم."

"وستبقى اطرابلس تلك" المدبنة اللغز كما قال عنها المرحوم فؤاد الكعبازي.

حاولت في هذا الكتاب استعراض بعض ما حوته اطرابلس من الآثار وجزء من تاريخها وصناعتها التقليدية والحياة الاقتصادية بها، ومادة هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من الدراسات والبحوث كتبتها منذ سنة 1974م.

أشكر كل من شجعني على تجميع كل تلك المادة في كتاب وأخص بالذكر د. محمد أحمد وريث الذي كان مشجعا للنشر في مجلة تراث الشعب، والمرحوم الحاج محمد بهجت القرمانلي والآساتذة مختار دريرة ومصطفى حقية ويوسف الخوجة، لايفوتني أن أشكر الأستاذ جمال الدويش على المراجعة اللغوية.

قسمت المواضيع إلى سبعة فصول حاولت فيها أن آراعي ربط البحوث التي تتناول مواضيع متقاربة ما أمكن.

وأخيراً أتقدم بجزيل الشكر إلى جهاز إدارة المدينة القديمة اطرابلس على طبع هذا الكتاب وإلى الأستاذين يوسف خليل الخوجة وجميل محمد القاضي على التنفيذ وتصميم هذا الكتاب واختيار بعض الصور القديمة المرفقة أصلا بمخطوط الكتاب لعدم وضوحها، واستبدالها بصور آخرى .

والله ولي التوفيق

أ . سعيد علي حامد

الفهرس

الموضوع

الإهداء 03

المقدمة 04

الفصل الأول: من تاريخ اطرابلس 09

01. تاريخ اطرابلس : الظل والتناغم اللوني 11
02. أوضاع إيالة اطرابلس في نهاية العهد القرمانلي 27
03. من الجوانب الخفية في العلاقات الليبية الأمريكية في القرن التاسع عشر........37
04. حياة اليهود في اطرابلس 1551-1911م 46
05. وضع اليهود في اطرابلس فيما بين 1911 . 1969م 61

الفصل الثاني : الرحالة واطرابلس :...77

01. مدينة اطرابلس عند الجغرافيين والرحالة العرب 79
02. اطرابلس والنفحة المسكية 93
03. الطريق إلى مكة وشيخ الركب 97
04. اطرابلس كما شاهدها المبشر" إيفالد" في نهاية الحكم القرمانلي...............117
05. رحلة إلى اطرابلس قبيل الاحتلال الإيطالي1909م 127

الفصل الثالث : العمارة الدينية :...133

01. بعض مساجد مدينة اطرابلس القديمة 135
02. المدارس القديمة بمدينة اطرابلس 152

الفصل الرابع : العمارة المدنية :...173

01. قوس ماركوس أوريليوس...175
02. البيوت القديمة بطرابلس 195
03. فنادق مدينة اطرابلس القديمة 213

04. التجارة والأسواق في اطرابلس 225
05. معالم عربية مفقودة من اطرابلس..249
06. مصادر مياه مدينة اطرابلس منذ التأسيس حتى 1911م 261

الفصل الخامس : العمارة الحربية :..271

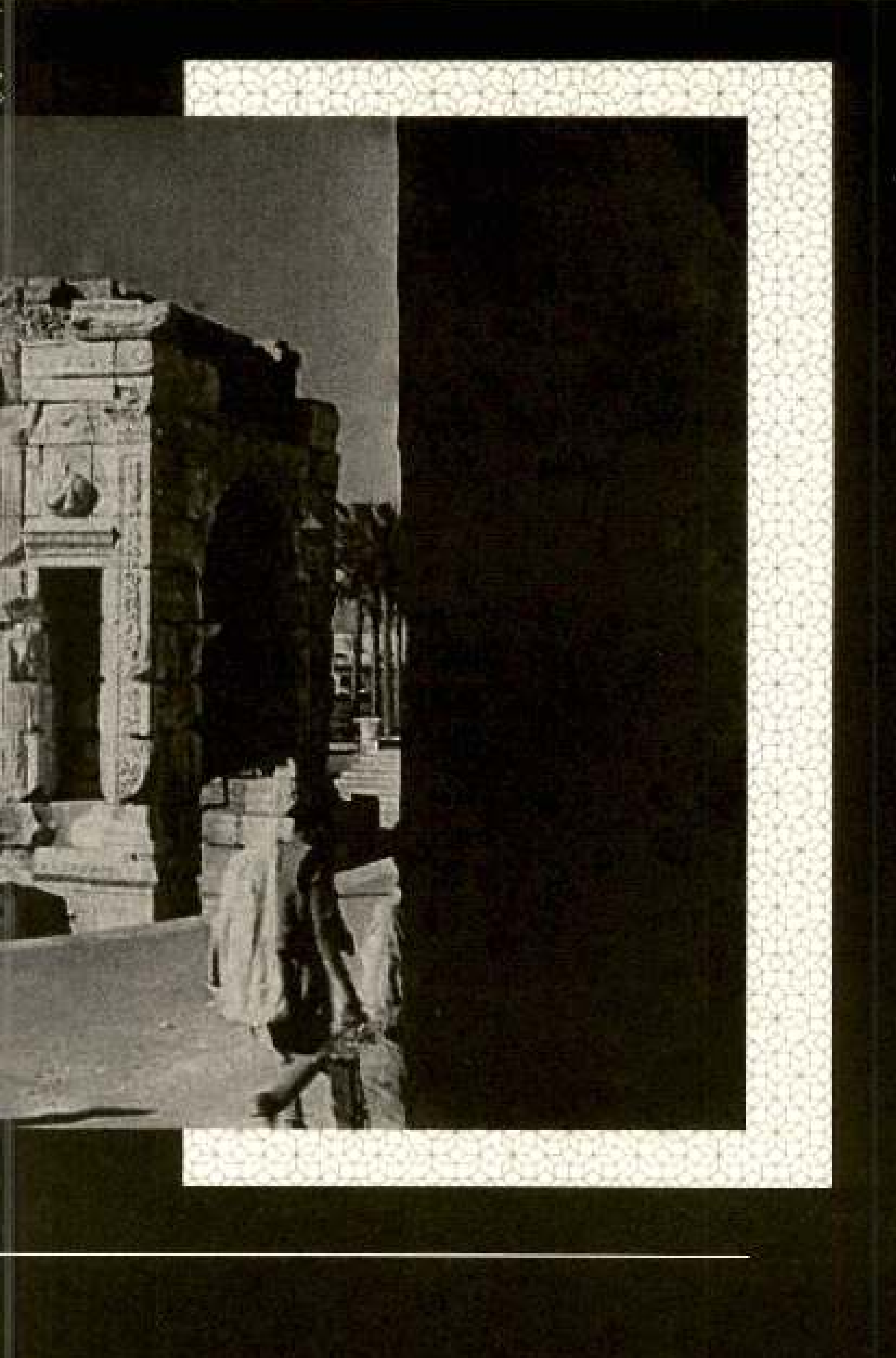
01. الحصون والأبراج 273
02. قلعة اطرابلس (السراي الحمراء)..287
03. دار البارود 299
04. برج بوليلة 309

الفصل السادس : الصناعات التقليدية :..323

01. من صناعاتنا التقليدية (النسيج) 325
02. النقش والصياغة عبر العصور 339

الفصل السابع : الصحافة :..351

01. جريدة المرآة 1946 م 353
02. جريدة الترقي 1897م 357
03. مجلة الفنون 1899م 361
04. جريدة أبو قشة 1908م 365
05. جريدة العصر الجديد 1909م 369
06. جريدة الرقيب 1911م 373
07. جريدة الوقت . 1920م..375
08. جريدة الذكرى 1921م..379
09. جريدة الحقيقة 1932م 383
10. جريدة شعلة الحرية 1951م..387





الفصل الأول : من تاريخ اطرابلس



تاريخ اطرابلس : الظلّ والتناغم اللوني [1]

تغطي الأراضي الليبية رقعة من اليابسة تمتد على وجه التقريب ما بين خطي طول 9 درجة و25 درجة شرقاً، وبين خطي عرض 33 درجة شمالاً و45 18 درجة جنوباً، وتبلغ مساحتها نحو1.760.000 كيلو متر مربع. يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب، تشاد والنيجر ومن الشرق مصر ومن الجنوب الشرقي السودان ومن الغرب تونس والجزائر .

لقد أهل هذا الموقع المميز ليبيا بأن تشارك وتمتزج فيها حضارات البحر الأبيض المتوسط مع حضارات عصور ما قبل التاريخ التي شهدتها الصحراء الكبرى.



وردت تسمية ليبيا لأول مرة في نقشية ترجع إلى الألف الثانية ق.م. في عهد الدولة القديمة في مصر . ويبدو أن الاسم اشتق من اسم إحدى القبائل (الليبو) التي كانت تسكن غرب نهر النيل، ولقد استخدم اليونانيون القدماء كلمة ليبيا لتشمل المنطقة الممتدة من غرب نهر النيل حتى المحيط الأطلسي، وفي العهد الروماني أصبح مدلول (أرض اللوبيين) ينحصر في ولاية أفريقيا الرومانية وكان إقليم المدن الثلاث (لبدة، أويا، صبراتة) جزءً منها، والذي أطلق عليه خلال القرن الثالث الميلادي مصطلح إقليم اطرابلس .

---

(1) . نشر بمجلة تراث الشعب العدد المسلسل 61 . 62 السنة 29/2009



مسرح لبدة



مسرح صبراتة

تأسيس المدن الثلاث :

من المعلوم أن الكنعانيين – وهم سكان بلاد الشام والذين عرفوا باسم الفينيقيين وقد أطلقه عليهم الإغريق وتعني اللون الأرجواني لاشتهارهم بصناعة الأصباغ والملابس الأرجوانية – اشتهروا بركوب البحر بغرض التجارة مع شعوب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. فأنشأوا مجموعة من المراكز التجارية من أهمها قادش (إسبانيا) نحو عام 1110ق.م وعتيقة (عنابة حالياً) ثم مدينة قرطاج في تونس سنة 814 ق.م.

عرف الفينيقيون الشواطئ الليبية منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد ثم قاموا بإنشاء مجموعة من المدن التجارية بها أشتهرت من بينها (لبدة) التي يحتمل أنها أنشئت في القرن السابع ق.م وأويا وصبراته اللتان يحتمل أنهما أنشأتا في القرن السادس ق.م كما تدل المخلفات الأثرية المكتشفة فيهما. ارتبطت المدن الثلاث بقرطاج التي فرضت هيمنتها عليهم اقتصادياً وتأثرت تلك المدن بتيار الحضارة القرطاجية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً وإن تمتعت باستقلال ذاتي شأنها شأن المدن الأخرى الخاضعة لقرطاج في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي، بعد قضاء الرومان على مدينة قرطاج سنة146ق.م خضع إقليم المدن الثلاث لمملكة نوميديا وفي القرن الأول ق.م فرض الرومان سيطرتهم على الإقليم الذي أصبح جزء من الإمبراطورية الرومانية.

مدينة اطرابلس :

تردد الفينيقيون على مدينة اطرابلس منذ الألف الأول قبل الميلاد، إذ كانت تتمتع بمرفأ امن وهو ما يحتاجونه لسفنهم وللتزود بالمؤن والماء والتعامل مع سكان المنطقة. إن تأسيس مدينة أويا (اطرابلس فيما بعد) يعود لموقعها المميز، ولمرفأها الآمن من العواصف الشديدة، والمحمي بفضل مجموعة من الجزر الصخرية الناتئة في الناحية الشمالية الغربية. نمت (طرابلس) أويا وتطورت حتى أصبحت من أهم مدن حوض البحر الأبيض المتوسط وظلت أويا تابعة للمدينة الفينيقية قرطاج منذ القرن الخامس ق.م إلى سنة 146ق.م حيث حكمها النوميديون ومع نهاية القرن الثاني ق.م بدأ النفوذ الروماني بها إلى أن تم احتلالها من قبلهم سنة 46 ق.م وخضعت لحكمهم إلى أن سقطت بيد الوندال سنة 439م وفي سنة 543م تمكن القائد البيزنطي بليزاريوس من الاستيلاء عليها فخضعت للحكم البيزنطي حتى سنة 22هـ /643م عندما تمكن القائد العربي عمرو بن العاص من فتحها وتعتبر هذه السنة نقطة تحول حاسمة في تاريخ مدينة اطرابلس إذ أقبل أهلها على اعتناق الإسلام



مسار تجارة الفينيقيين

الامبراطورية الرومانية

وتعلم اللغة العربية، وأصبحت أحد الرباطات التي انطلق منها العرب المسلمون لفتح باقي الشمال الإفريقي.

تنفرد مدينة اطرابلس عن شقيقتيها لبدة وصبراتة بأنها مدينة مأهولة تواصلت الحياة فيها مما لم يمكنها من الاحتفاظ بكثير من المعالم الآثرية التي تعود للحضارات الفينيقية والرومانية والبيزنطية، ولقد احتفظت اطرابلس بأثر روماني وحيد وهو قوس ماركوس أوريليوس بمنطقة باب البحر وهو قوس نصر ذا أربع واجهات، زخرف بمجموعة من النقوش التي تمثل بعض الآلهة الرومانية (أبوللو، منيرفا، فيكتوريا) وبعض الأسرى والأسلاب.

وقد شيد سنة 163م تكريما للإمبراطوريين الرومانيين ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس، في حين أنها تزخر بالمعالم العربية الإسلامية التي تعود لفترات تاريخية مختلفة.

زار الكثير من الجغرافيين والرحالة مدينة اطرابلس وتركوا مدوناتهم عنها، ونشير هنا أن المدينة عرفت منذ الفتح العربي باسم (اطرابلس)[1] سنة 22هـ /643 م بزيادة ألف، إذ ورد هذا الاسم في الكتاب الذي أرسله القائد عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يخبره بفتح مدينة شروس عاصمة جبل نفوسة ويستأذنه في فتح إفريقية ومما جاء فيه،« أن الله قد فتح علينا اطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها على يديه فعل». وقد ذكرها الكثير من المؤرخين والرحالة العرب باسم اطرابلس إلا أنه مع استمرار الزمن حذفت الألف للتخفيف واشتهرت باسم طرابلس الغرب قبل العهد العثماني (1551م) بقرنين من الزمن إلا أنه التصق بها أكثر في ذلك العهد تمييزاً لها عن طرابلس لبنان.

---

(1) يقول ياقوت الحموي في كتابه غير المشهور كشهرة كتابه "معجم البلدان" وهو" المشترك وضعا المختلف صقعاً " أي المشترك في الاسم والمختلف في الموقع اطرابلس لمدينة على ساحل الشام" يعني طرابلس لبنان" ولمدينة في أول أرض افريقية "يعني طرابلس ليبيا" وقد فرق بعضهم بينهما فجعلوا التي بالشام بالهمزة في أوله " أطرابلس " والتي بالغرب بغير همزة " طرابلس " وقيل معنى طرابلس بالرومية ثلاث المدن) وهذا ما تعنيه كلمة طرابلس الليبية، ويقول ياقوت الحموي (إن المتنبئ خالف هذا فقال يذكر الشامية." وقصرت كل مصر عن طرابلس " وأول البيت هو "أكارم حسد الأرض السماء بهم " ويعني ياقوت أن المتنبي جعل طرابلس الشامية بغير همزة في أوله والذي أوقع بعض الباحثين في هذا الخلط بيت وحيد جاءت فيه طرابلس الليبية بهمزة في أولها وهو (لقد طال شوقي إلى فتية حسان الوجوه بأطرابلس) وقد الجاه إلى هذا التماس الوزن الذي سيختل إذا أورد فيه طرابلس دون همزة، وهذا البيت منسوب إلى ابن يحي الذي لا يعرف عنه شيء في المصادر التاريخية سوى أنه ولد أخي علي بن زياد الذي يعرف بأنه الفقيه التونسي وأصله من طرابلس ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة هجرية. (د.محمد أحمد وريث)



الحملة الاسبانية الاستعمارية على طرابلس 1510م

وصف المؤرخ اليعقوبي في كتابه البلدان مدينة اطرابلس في قرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بقوله:- « اطرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة. » وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي نجد لها وصفاً في كتاب ابن حوقل (صورة الأرض) جاء فيه :- « فأما اطرابلس فكانت قديماً من عمل إفريقية...وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض صالحة الأسواق.أما الرحالة البكري صاحب كتاب المسالك والممالك فيصف المدينة وأهلها في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بقوله:- « فإن أهل اطرابلس أحسن خلق الله للناس معاشرة وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب ... »

وزار بعد تلك الفترة العديد من الرحالة مدينة اطرابلس وأثنوا عليها ووصفوا أوضاعها الاقتصادية والعمرانية وأشادوا بحسن معاملة أهلها وكرمهم وبنظافة أعراضهم وثيابهم. وعرفت مدينة اطرابلس بالمدينة البيضاء فالرحالة التجاني الذي زارها في سنة706هـ /1307م يذكر في كتابه (تقييد الرحلة) « ولما توجهنا إلى اطرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يغشي الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء...». وترك لنا التجاني وصفاً وافياً لمعالم المدينة، مساجدها، مدارسها قصبتها، وأسوارها، حمامتها، أسواقها شوارعها، القوس الروماني والحياة العلمية والثقافية بها.

وقعت اطرابلس في سنة 1510م تحت الاحتلال الإسباني إذ تمكن قائد الأسطول الإسباني بيدرو دي نفارو (Pedro di Navarro) من احتلال اطرابلس وقلعتها يوم 25 يوليو 1510م وتعود أسباب الاحتلال إلى الصراع الديني الإسلامي المسيحي في تلك الفترة ورغبة ملك إسبانيا فرديناند (Ferdinanad) في جعل اطرابلس نقطة انطلاق وتموين للأساطيل الإسبانية لضرب المسلمين في المشرق وتعميرها برمتها بالنصارى، كما أن اطرابلس حظيت بموقع استراتيجي مهم وليتخذ منها مركزاً تجارياً وحلقة وصل بين أوروبا ومدن ما وراء الصحراء الكبرى، فكانت تنعم برفاهية العيش وقوة الاقتصاد واستقرار وأمن في الحياة مع فراغ سياسي وعدم وجود سلطة قوية قادرة على الدفاع عنها. لم يتجاوز احتلال الإسبان أسوار مدينة طرابلس وقلعتها، واقتصر وجودهم بهما، ونظم الأهالي مقاومة شعبية اتخذت من تاجوراء مركزاً لها، وأمام تلك المقاومة والظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بهما إسبانيا قرر ملكها التنازل عن اطرابلس وقلعتها لمنظمة فرسان مالطا سنة 1530م .



جامع ومدرسة ميزران1880م



مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية 1898م.

الذين استمر لحتلالهم لها إلى سنة 1551 عندما تمكن الأهالي بمساعدة الأسطول العثماني من طرد فرسان مالطا وخضعت اطرابلس للسيادة العثمانية.

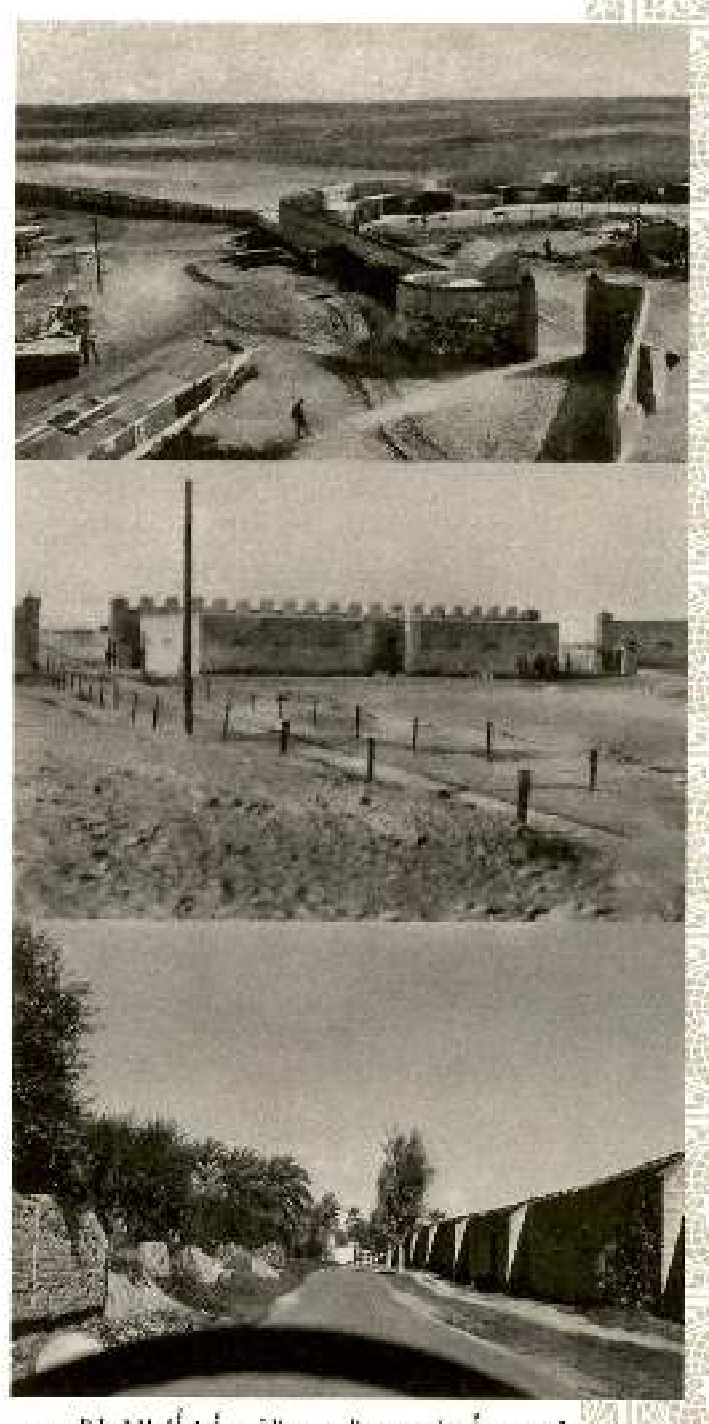
طرابلس خلال العهود العثمانية والقرمانلية :

تميز منتصف القرن السادس عشر الميلادي بسيطرة العثمانيين على اطرابلس عام 1551 – 1711م، وعرفت هذه الفترة بالعهد العثماني الأول ثم حكمت اطرابلس الأسرة القرمانلية من 1711 – 1835م عادت اطرابلس وخضعت للحكم العثماني من 1835–1911م وقد حظيت اطرابلس خلال تلك العهود بإقامة مجموعة من المنشآت الدينية والمدنية والحربية، شيدها الولاة والمتنفذون والموسرون من أهل البلاد.

شيدت مجموعة من المساجد من أهمها: جامع درغوت باشا (1560م) جامع الناقة (إعادة بناء 1610م) جامع شايب العين (1699م) جامع أحمد باشا (1738م) جامع قرجي (1834م) وشيدت مجموعة من المدارس : مدرسة عثمان باشا (1654م) مدرسة جامع ميزران (خارج المدينة 1880م) ومدرسة الفنون والصنائع 1898م. خارج سور المدينة، وفي مجال العمارة المدنية أقيمت مجموعة من المنشآت: فنادق، أسواق، حمامات، مستشفيات، قصور وبيوت مميزة، و استحدثت شوارع خارج أسوار المدينة وزودت اطرابلس بالمياه العذبة وأقيمت الأسبلة.



جامع أحمد باشا 1738م



صور لبعض أجزاء من السور الذي أنشأة الإيطاليون حول المدينة وضواحيها الذي عرف باسم (الكردون)

واهتم الولاة بتحصين المدينة فأنشأوا الحصون والقلاع والأبراج ودعموا الأسوار، وأولوا عناية كبيرة بقلعة طرابلس (السراي الحمراء) التي كانت مقراً لهم ومنها يديرون شؤون الإيالة. وفي أواخر القرن التاسع عشر استُحدثْ خارج أسوار المدينة بعض الشوارع والأحياء (بلخير وميزران).

اطرابلس في ظل الاحتلال الإيطالي :

في اليوم السابع من شهر أكتوبر 1911م وطئت أقدام الجنود الإيطاليين مدينة اطرابلس ووقعت تحت الإحتلال الإيطالي الذي استمر حتى سنة 1943م، وإثر الاحتلال قام الإيطاليون بتهديم معظم أسوار المدينة، وأنشأوا سورا عرف باسم (الكردون) حول المنطقة المحيطة بمدينة اطرابلس . يمتد من باب قرقارش (الحمامجي سابقا) إلى باب العزيزية ثم باب عكارة فباب بن غشير ثم باب تاجوراء لينتهي عند أبي ستة لحماية أنفسهم ضد هجمات المجاهدين الليبيين، وأزال الإيطاليون عددا من المعالم العربية التي كانت تحيط بالقوس الروماني ليعطوا له حرما ويبرزوا الوجود الروماني بالمدينة، وفتحوا طريقا عبر القلعة بعد إزالة جزء من مبانيها ليربط بين الميناء والمنطقة المحيطة بأسوار المدينة، وقاموا باستحداث بعض الشوارع والمباني وأجروا تحويراتٍ بدار البارود والتي هيأت بتصميم وضعه المعماري(دي فاوستو) لتكون سوقا للصناعات التقليدية المحلية.

الأنشطة الاقتصادية :

عاش أهل اطرابلس داخل أسوار المدينة القديمة، ومارسوا الأنشطة الاقتصادية كآفة خاصة التجارة، إذ تمتعت بموقع جغرافي متميز وبمرفأ مكّنها من أن تكون من أهم المدن التجارية في البحر الأبيض المتوسط وحلقة وصل مع مدن ما وراء الصحراء، وارتبطت مع الكثير من مراكز التجارة كغدامس، غات، مرزق وغيرها بطرق سهلت لها الوصول إلى المدن التجارية فيما وراء الصحراء، وحفلت اطرابلس بمجموعة من المنشآت التي ساهمت في إثراء التجارة كالأسواق والفنادق والوكالات التجارية وأماكن للحرف والصناعات المتنوعة، فكانت اطرابلس تجمع تحف البر والبحر، وامتلك أهلها البساتين التي كانت تحيط بالمدينة والمعروفة باسم المنشية، وكانت تزود المدينة بمختلف الخضروات والفواكه، وكانت متنفساً لهم وأماكن ترفيه تُدخل البهجة إلى النفوس.







سوق الثلاثاء خارج سور المدينة





سوق الجمعة أحد ضواحي اطرابلس

كانت تُعْقَد خارج المدينة سوقان أسبوعيان، هما سوق الثلاثاء وسوق الجمعة وهما من أهم الأسواق التجارية في طرابلس يعقد السوق الأول يوم الثلاثاء من كل أسبوع وكان في العهد العثماني يعقد في المنطقة المعروفة الآن بمنطقة الغزالة، وهو سوق متنوع يأتي إليه الناس من المدن والقرى القريبة من اطرابلس، ولم ينعقد هذا السوق في مكانه في فترة الاحتلال الإيطالي إذِ اسْتُغِلّ الموقع في تنفيذ مشاريع لصالح المستعمرين، وبعد سنة 1920م دبت الحياة في الأسواق وأمام ذلك اضطرت السلطات البلدية إلى تخصيص أماكن غير دائمة لإقامة الأسواق، فكان سوق الخضروات ينعقد تحت أسوار المدينة وإلى جانب سوق في العراء لبيع الطيور والأرانب و غيرها، وكانت الأسواق تنقل من مكان إلى مكان دون استقرار أو نظام حتى في فترة الإدارة العسكرية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية وما بعدها ومن أهم الأماكن التي شغلها سوق الثلاثاء كانت منطقة العيون (برج اطرابلس وما حوله الآن) ونظراً للتطور العمراني لطرابلس فقد نقل السوق مرة أخرى إلى المنطقة المعروفة بسوق الثلاثاء الجديد في ستينات القرن العشرين واستمر يؤدي وظيفته إلى أن شملت المنطقة أعمال التطوير فأُزِيلت مبانيه عام 2007م لتكون المنطقة جزء من الحزام الأخضر الذي سيطوق مدينة اطرابلس .

المخطط التاريخي لطرابلس :

أشار الكثير من المؤرخين والأثريين إلى أن مخطط مدينة اطرابلس يعود إلى الفترة الرومانية وأن قوس ماركوس أوريليوس هو ملتقى الشارعين الرئيسيين بها (الكاردو والديكومانوس) إن المتمعن في المخطط التاريخي للمدينة يلاحظ اختفاء سمات التخطيط الروماني فيها وبوضوح الملامح العربية الإسلامية في مخططها فتوزعت المساجد الجامعة بها والتي بالقرب من كل واحد منها مسجدان أو ثلاثة لأداء صلاة الأوقات في حين تعددت المساجد الجامعة في منطقة الأسواق لاكتظاظها بالناس.

تميز مخطط طرابلس بوجود طريقين عرضيين وطريقين طوليين وتتداخل معهما شبكة من الطرق الفرعية لتربط أطراف المدينة بعضها ببعض، وقد وصف الكثير من الرحالة شوارع مدينة طرابلس ومنهم الرحالة التجاني (1308م) الذي قال: « فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعا واستقامة ، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من أولها إلى آخرها على هيأة شطرنجية، ومما يلاحظ على المخطط أن منطقة الأسواق بالمدينة تخلو أو تكاد من البيوت، وأن وجدت فإنها تنزوى في الأزقة المتفرعة من الأسواق .



إحدى شوارع المدينة القديمة.



بساتين المنشية 1910م

إن المخطط العام للمدينة ساهم في إكساب شوارعها الظل الذي يحتاجه أهلها في فترات فصل الصيف القائضة ، فيمكنهم اختراق العديد من شوارعها دون أن تلفحهم حرارة الشمس ويعود ذلك إلى ازورار الشمس عنها كما أن معظم مبانيها تتكون من طابقين فتنكسر ظلالها لتغطي الشوارع إضافة إلى ما تميزت به المدينة من كثرة العقود التي دعمت المباني وألقت الظل بالشوارع وساهمت الساباطات في توفير الظلال ووفرت مساحة للبيوت ونسمات تنساب من خلال النوافذ التي تفتح على جهتي الشارع. كما غطيت بعض الشوارع والمحلات بأنواع من المظلات، وكانت بعض الأسواق مسقوفة كسوقي الربع (الرباع) واللفة.

أعطى أهل اطرابلس لمدينتهم نوعاً من الاخضرار ليكون مع جدران المباني البيضاء تناغماً محبباً للنفوس فأقاموا العرائش التي ترتكز عليها الكروم مع تناثر في أرجاء المدينة لأشجار الفل والياسمين فأعطت الشوارع شكلاً ومنظراً أخاذا ورائحة فواحة، أما خارج المدينة في البساتين فقد استظل أهلها بالنخيل وبجريدها الأخضر المقوس مع خلفية لأشجار الزيتون والبرتقال والليمون والرمان وغيرها وأرضية تخترقها جداول المياه الرقراقة التي تنساب من حوض بئر تقليدي (أبو جناحين) لتشكل هذه المناظر لوحة تشكيلية أبدعتها الأيدي السمراء، لقد فضل أهل اطرابلس لطلاء واجهات بيوتهم ومحلاتهم اللون الأبيض الذي كان مع شعاع الشمس يغشى الأبصار فعرفت اطرابلس في العصور الوسطى بالمدينة البيضاء. أما اللون المحبب لهم لطلاء الأبواب والنوافذ والمشغولات الخشبية والحديدية فكان اللون الأخضر الزيتوني ولتكتمل اللوحة فينبهر زوارها مع نظافة ثياب أهلها وأعراضهم وكرم ضيافتهم وفي ذلك يقول الشاعر:-

لأهل اطرابلس عادة من البر تنسي الحميما

حللت بها مكرها ثم إذ أُقمت بها أبدلوا الهاء ميما



رسم تخيلي ليوسف باشا القرمانلي

للفنان صلاح الشاردة



علـي بـرغــــل

أوضاع إيالة اطرابلس في نهاية العهد القرمانلي*

تميزت بداية القرن الثامن عشر بظهور شخصية أحمد القرمانلي القوية والتي قدر لها أن تمسك بيد قوية مقاليد إيالة طرابلس، والذي استطاع أن يقضي على الثورات ويوطد حكمه في البلاد ، فدانت له الرعية وأنشأ إمارة قدر لها أن تقف في وجه التيارات المختلفة وتصمد أمامها قرناً وربع قرن من الزمان (1711 – 1835م).



حسن بن علي باشا القرمانلي

تخلل عهد الأسرة القرمانلية فترات قوة استطاعت فيها أن تفرض هيبتها على الدول الأوروبية كما تخلله فترات ضعف وحروب أهلية حتى تمكن أحد المغامرين من الوصول إلى سدة الحكم وحكم البلاد لفترة قصيرة (علي برغل 1793 – 1795م) استردت بعدها الأسرة الحكم وتمكن الابن الأصغر لعلي باشا يوسف أن يقتل أخاه حسن باشا ويبعد أخاه أحمد عن كرسي العرش ويتولى الحكم سنة 1795م، كانت مدة حكمه أزهى فترة للحكم القرمانلي لإيالة طرابلس الفترة من (1795–1832م) استطاع يوسف باشا القرمانلي أن يوطد حكم أسرته في البلاد وفرض هيبتها على الدول الأوروبية وتلاعب بقناصلها، وكسب الأسطول الليبي في عهده شهرة عظيمة في حوض البحر الابيض المتوسط غير أن هذا الحال تغير في نهاية حكمه،

* نشر بمجلة تراث الشعب السنة2 ، العدد8،1982م.



رسالة أهل المنشية والساحل وجنزور إلى محمد شاكر أفندي يذكرون أنهم لا يرضون بتولية علي باشا القرمانلي عليهم بتاريخ 8 جماد الأخر 1250ه

فأصبحت القوة ضعفا والشدة لينا، بل تنازل عن حقوق في بعض الأحيان، وقلت موارده البحرية وتداين من التجار الفرنسيين والإنجليز، واضطر ما بين سنتي 1829 - 1831م إلى تغيير العملة إحدى عشر مرة وكان يجبر الأهالي على التعامل بالعملة الجديدة في كل مرة .

وأمام الضائقة الاقتصادية ضاقت به السبل وزادت محنته بسبب الضغط الذي تعرض له من القنصل الإنجليزي وارنغتون لدفع المبالغ المدين بها للتجار الإنجليز، فأسرع القنصل الفرنسي إلى يوسف باشا ملوحا له بأن الدائنين الفرنسيين أولى بالدفع إليهم حسب الاتفاق المبرم بين الطرفين، فاضطر يوسف باشا إلى فرض ضرائب على المباني والأرباح التجارية لسكان المنشية والساحل، وقد كان هؤلاء معفيين من الضرائب نظير قيامهم بالاشتراك في الحملات العسكرية، وقد أدى ذلك إلى نشوب ثورة تزعمها القولوغلية بالمنشية والساحل ونادوا بخلع يوسف باشا وتنصيب حفيده محمد بن محمد بن يوسف القرمانلي والياً، وقد حاول يوسف تهدئة الثوار إلا أن مساعيه باءت بالفشل.

لخص أهالي المنشية والساحل وتاجوراء وجنزور ومن أنضم إليهم أسباب الثورة في رسالة وجهت إلى حسين باي تونس مؤرخة في السادس عشر من جمادى الآخر من عام خمسين ومائتين وألف... « حال أهل هذه البلاد وما حصل بها من الجور والفساد من ظلم واليها (يوسف باشا) وعموم المصائب عليها لا سيما بعد أن صلد زنده وحدَّ جلده واتضح إغواه وقرب منتهاه وكثرت عليه الأولاد والأصهار وقسم الولاية أجزاء وأشطار فذهب جميع أموالنا بغيا وخسرنا وسفكوا دماءنا ظلما وعدوانا وتركوا الشيوخ العواجز والأرامل والأيتام في البكاء والعويل وساسوهم بسياسة جور لم تحتمل التأويل، خصوصا حملة الشريعة إلا في زوايا الأهمال ودعايم الحقيقة إلا في طرف الاضمحلال وشتتوا الرعية بالمغارم وأثقلوهم بأحمال الحرايم وجعل سككها زائغة على غير المعتاد فأفلس بها جميع البلاد من حاضر وبادية وباع مراكب الوجاق بأبخس الأسوام، وسلب جميع أموال المساجد قبل ذلك بسنين وأعوام وفعل من المظالم ما لم تُحْصِه الأقلام ولا تحيط به الأفهام، حتى لحق على بيع جميع مدافع النحاس وتعلل بالإقلال والافلاس، وأما أمر الربا والديون فشيء لا تلحقه الظنون إلى أن صارت الناس رعيا بلا راع وغنما من غير ساع قامت عليه بني وليد وتابعتها على ذلك غريان وتهاونت به كل القرى والبلدان ولما ألحت عليه النصارى في ديونهم مع الإفلاس، هم بتسليم البلاد لهم حتى شاع عند كل الناس ولم نجد من ذلك شافعا ولا من غير المنكر دافعا



رسالة أهل المنشية إلى حسين باشا باي تونس يوضحون أسباب الثورة بتاريخ 16جماد الاخر 1250هـ .

ولم يكن لنا من قبل إخواننا المسلمين معين وأننا على كلية الأحوال هالكون فما وجبت علينا الضرورة أن قمنا بالإطلاق صونا للنفوس والبلاد والارزاق- فتحصن علينا بمسكنه وحارب من قبل أن يأتي عليه رام ولا ضارب وفدت أهل المدينة تحت قناصل النصارى ليكونوا لهم عليه أنصارا فأرسل إليهم أولاده تلطفا ومكرا وغلق أبواب البلاد على أهلها بالبنيان عنادا وكفرا ثم بعد أيام خلع نفسه من الملك ونظم ابنه عليا في ذلك السلك فلم ترض به الناس حين كان واليا على تاورغاء وغريان فتركهم ما بين مقتول ومسجون ومنكوب وعريان، وبيعه لباقي آلات الحرب ولحق على نساء ابيه وإخوته بالسلب والسجن والضرب وأمور لا تحصى ومساوئ لا تستقى، ولما أجتمعت كل أهل البلاد الحاضر منهم والباعد وقدموا على أنفسهم سيدي محمد قرمانلي وهو على طرف العدل والصلاح بايعوه، بيننا وبين علي القتال ....» [1]

كان تنازل يوسف باشا عن العرش في 12 أغسطس 1832 ففيه جرى فيه الاحتفال الرسمي فقد استدعى إلى مقر الإيالة من غير أن يحاطوا علماً بالموضوع جميع الأعيان والمشائخ والعلماء وكبار الموظفين وألقى يوسف كلمة جاء فيها: « يا جملة الحاضرين والبادين أشهدوا وأنا معكم من الشاهدين أني خلعت نفسي وأقمت ابني عليا باشا عليكم... .» [2]

بهذا التنازل حاول يوسف باشا امتصاص نقمة الثوار والمحافظة على سلطة أسرته لقوة شخصية علي باشا وهو أكبر أولاده وكذلك « أملا في حصول أمنية الأهالي فيه (علي باشا) وانقيادهم إليه .» [3] ولكن هذه الخطوة لم تسفر عن أية نتائج إيجابية ولم تحد من تأجج الثورة خاصة بعد أن شعر الثوار بان القنصل الإنجليزي يتعاطف ويؤيد الثورة فقد حل بالمنشية عقب تنازل يوسف بعشرة أيام قادماً إليها من صفاقس ولم يذهب إلى قصر القنصلية بالمدينة لذا أعتبر الثوار أن إنجلترا تساندهم وإن كانت الحكومة الإنجليزية تعزو تصرفات قنصلها بأنها مواقف شخصية.

أما موقف القنصل الفرنسي سكوبيل فكان موقفا مساندا لحكومة المدينة ومعارضاً لموقف الثوار، وإن كان يرى أن المصالحة بين الطرفين أنفع وأجدى للبلاد، حتى يؤمن البلاد من التدخل العثماني ويحول دون إعادة سيطرة الحكومة العثمانية عليها، كما يجعل الاحتلال

---

(1). دار المحفوظات التاريخية : اطرابلس ،وثيقة رقم40

(2). علي مصطفى المصراتي، رسائل أحمد القليبي بين اطرابلس وتونس، (ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب)،ص108

(3) . أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ ليبيا الغرب (اطرابلس، دار نشر الفرجاني، بدون التاريخ،ج1،ص337

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

خطاب من محمد شاكر أفندي إلى قائد جزيرة جربة بتاريخ 8 جماد الثاني 1250هـ

الفرنسي للجزائر في مأمن من مساندة العثمانيين للجزائريين، لذا « كان قنصل فرنسا (سكوبيل Schwebel) يؤيد بشكل علني علي باشا والأسرة القرمانلية وكان ثمة ضباط فرنسيون يديرون الدفاع عن طرابلس ضد عمليات القصف التي كان يقوم بها المتمردون. » [1]
حاولت الدولة العثمانية التدخل لإعادة الأمن والهدوء إلى الولاية فأوفدت « محمد شاكر أفندي » لتقصي الحقائق ووضع حد للخلاف القائم، فاجتمع بالطرفين وتفهم ما أبدياه من وجهات نظر، ووقف بجانب الوالي علي باشا وحث الثوار على مبايعته، والدخول في طاعة الدولة العثمانية. غادر محمد شاكر طرابلس إلى الأستانة وبعد سنة عاد وهو يحمل فرمان تولية علي باشا على طرابلس، والسيف المجوهر والخلعة والقفطان، كما منح علي باشا رتبة ميرميران، وعمم الفرمان على زعماء المناطق وعرض على الثوار « فما تبدلت رعونتهم وخشونتهم إلى اللينة والرطوبة. » [2]
أرسل أهل المنشية والساحل وجنزور وتاجوراء ومن انضم إليهم خطابا إلى محمد شاكر بتاريخ 8 جماد الآخر 1250هـ جاء فيه : « فلما الزمتنا بطاعة علي وتوليه علينا بعد محاربتنا له ولوالده ثلاث سنين في ذلك المجال وضاعت أموالنا وماتت رجال فكان الوضع عكس ما ظننا وشق ذلك علينا بولايته لا نرضى بها بحال ولو تفنى الولدان والنساء فضلا عن الرجال لاتباع الحقيقة ما فعلنا شيئا نستوجب به عكس ولا قمنا إلا خوفا على البلاد والأهل والنفس وحفظ ذلك مقرر في غير ما كتاب ومشهور في كل خطاب، فهذا لا يعد منا خلافا للدولة العلية ولا يوجد منا عصيان للحضرة العثمانية الخاقانية والآن طالبون شريعة المصطفى ومتضرعون للدولة العلية في الجهر والخفا وأن لا تقرب عليا إلينا ولا يكون واليا علينا ومتبرمون بكل من سعى بيننا وبين الدولة العلية بالفساد ويُقّولُنا مالم نقلْه بغيا وعنادا وأنت يا مولانا إن بلغت أمرنا هذا للدولة العلية فقد وافقتَ الغرض وأديت الحق . » [3]
كما أرسل الثوار خطابا إلى حسين باشا باي تونس بتاريخ 16 جماد الآخر1250هـ جاء فيه : « فيا عجب كيف نتج ما زخرفه علي من البهتان والزور وأعرضه على الدولة من غير علمها به أنه كذب وفجور ونحن أناس طائعون لله ولمولانا السلطان وتحت أمره ونهيه في السر والإعلان غير أن ولاية علي لا تصلح بنا ولا نرضى به وحاشا الله أن يتولى

---

(1) . إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911،تعريب خليفة التليسي (بيروت: دار الثقافة الطبعة الأولى،1974)،ص345
(2) . دار المحفوظات التاريخية ، وثيقة رقم ق /44
(3) . المصدر السابق، وثيقة رقم ق/41

علينا أو نبايعوه وكيف يكون ذلك بعد مقاتلتنا إياه ثلاثين شهرا يتولى الآن علينا غيلة وقهرا فالموت منهل لابد لنا من وروده وموقف لابد من شهوده ولم يشق علينا إلا ما يكذب به على الدولة العلية وينسبوننا لعصيان المملكة الخاقانية. »[1]

أدى انضمام محمد شلابي بيت المال وهو وزير سابق للثوار إلى اشتداد ساعد الثورة ويسر لها الحصول على الأسلحة والذخائر من مالطا، وقد سعى علي باشا لعرقلة السفن التي تزود الثوار لذا فان « السيد الدغيس والبلعزي ذهبوا لمالطا بكتائب من القناصل لكبيرها، يطلبون منه ويسالونه تعرقين* مراكب أهل المنشية وحروبتهم وإن أبى عليهم صاحب مالطا فيذهبون للري بلندرة .»[2] ويبدو أن الثوار عزموا على تضييق الخناق على المدينة فعمدوا إلى شراء مراكب لحصار المدينة فورد في خطاب موجه من محمد شاكر إلى قائد جزيرة جربة ما يلي : « وأشتروا مراكب من جزيرة مالطا بقصد الحصر والتضييق من البحر عليها والآن فرت ثلاثة منها إلى جزيرة جربة خوفاً من مركب مولانا السلطان نصره صحيحا بلا شبه ولا إشكال وقد لزم عليكم ضبطها وربطها . »[3]

كانت الأوضاع السياسية في طرابلس في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع عشر جد خطيرة حتى أنه راجت إشاعات فيه بأن محمد علي حاكم مصر يعد العدة لاحتلالها وإعادة الأمن والإستقرار إليها وأنه تعهد بذلك للدولة العثمانية، كما أنها أصبحت محط أنظار باي تونس حتى أنه عرض على الأستانة تولية أخيه مصطفى باي وولي عهده على طرابلس إلا أن الشروط التي وضعها الباب العالي لم تشجعه وقد أنهى فرمان السلطان بتولية علي باشا على طرابلس تلك الأطماع، إلا أن ثورة أهل المنشية والساحل أدت إلى تدخل الحكومة العثمانية ورأت أن الوقت قد حان لاسترداد حكم طرابلس من أسرة القرمانلي التي أصبحت غير قادرة على إدارة أمور الإيالة بالإضافة إلى تناحرها وانقسامها فأعدت حملة غادرت الأستانة في 30 مارس 1835م بقيادة الجنرال مصطفى نجيب باشا ووصلت الحملة إلى طرابلس في 25 مايو1835م اعتقل علي باشا عند مجيئه للترحيب بقائد الحملة وأبلغ بقرار عزله عن الحكم، وأبعاده إلى الأستانة وجرى الاحتفال الرسمي بانتهاء حكم أسرة القرمانلي وعين مصطفى نجيب باشا حاكماً على طرابلس بصفة مؤقتة، ويعتقد بعض المؤرخين أن السبب الرئيسي في إرسال الحملة التي أنهت الحكم القرمانلي وإعادة حكم الإيالة للدولة

---

(1) . المصدر السابق، وثيقة رقم ق/40
(2). المصراتي، رسائل أحمد القليبي ،ص 60
(3). دار المحفوظات التريخية، وثيقة ق /44
* تعرقين : عرقلة.

العثمانية يرجع إلى إيحاءات بريطانيا وضغطها، وهكذا قضت هذه الحملة على الحكم القرمانلي لإيالة طرابلس، وقضت على أطماع الثائرين في تنصيب حليفهم، ووضعت حداً لتنافس القناصل وأخمدت حرباً أهلية كادت أن تطول، وأعادت البلاد تحت الحكم العثماني المباشر ما عرف بالعهد العثماني الثاني 1835-1911م .



هجوم لبحرية سردينيا على ميناء اطرابلس عام1825م.



الســـــراي الحمراء



أسطول الدولة القرمانلية 1770م



مواجهة بحرية لسفن البحرية القرمانلية

في القرن الثامن عشر

من الجوانب الخفية في العلاقات الليبية الأمريكية في القرن التاسع عشر*

وقعت أمريكا تحت الاستعمار الإنجليزي، ولم يكن لها دور يذكر في البحر الأبيض المتوسط قبل استقلالها عن بريطانية في سنة 1776م لكن « عرفت طرابلس السفن الأمريكية منذ أن كانت هذه السفن تزاول نشاطها تحت حماية العلم الإنجليزي.»[1]

بعد حصولها على الاستقلال أخذت تتطلع إلى أخذ دورها في السياسة الدولية في حوض البحر الأبيض المتوسط، إذ نشأت لها فيه مصالح اقتصادية، وبدأت في عقد سلسلة من الإتفاقيات مع دول الشمال الأفريقي، ففي الرابع من نوفمبر 1796م قام قنصل الولايات المتحدة جو بارلو Joe Parlow بواسطة حسن داي الجزائر بعقد اتفاقية مع طرابلس، على أساس الشروط المعمول بها في ذلك الوقت، وتنص المادة(10) على أن يتلقى الوالي مبلغاً سنوياً معيناً، كما يتلقى أيضاً منحة مالية عند قدوم كل قنصل جديد، هذا عدا الهدايا والمبالغ المنتظمة الأخرى.[2]

شعر والي طرابلس يوسف باشا القرمانلي بأن المنح التي تدفعها الولايات المتحدة الأمريكية له أقل مما تدفعه إلى دول الشمال الأفريقي الأخرى فطلب زيادتها إلا أن قنصل الولايات المتحدة في طرابلس عمل على إثارة غضب يوسف باشا بعدم الإستجابة لمطالبه لا سيما أن أمريكا كانت قد قررت تقوية أسطولها البحري والاعتماد عليه في اية مواجهة في البحر الأبيض المتوسط ، ورأى بعض سياسيها ضرورة الوقوف في وجه دول الشمال الأفريقي وعدم منحها الإتاوات السنوية وصرفها لتقوية الأسطول . وبالفعل فقد تمكنت الولايات المتحدة من تدعيم أسطولها البحري ورأت أن تخوض غمار الحرب البحرية في البحر الأبيض المتوسط ضد أسطول طرابلس بخاصة بعد أن استطاعت أن تضمن عدم تدخل أساطيل دول الشمال الأفريقي الأخرى وعدم مساندتها لأسطول طرابلس.

---

* . نشر في مجلة تراث الشعب ، العدد الأول (مسلسل 34) 1996م.

(1)عمر بن إسماعيل – إنهيار الأسرة القره مانلية في ليبيا 1795–1835 . طرابلس: مكتبة الفرجاني. الطبعة الأولى،1966، ص100

(2)ايتوري روسي– ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت: دار الثقافة، الطبعة الأولى 1974، ص



قطع سارية العلم فوق القنصلية الأمريكية



حرق البارجة الامريكية فيلادلفيا

الرسمان من كتاب تاريخنا

شعر يوسف باشا بمماطلة الولايات المتحدة وعدم رغبتها في الاستجابة لطلباته فأرسل وزيره محمد الدغيّس في العاشر من مايو 1801م إلى القنصل الأمريكي ليعلمه بقطع العلاقات الطرابلسية الأمريكية، وفي الرابع عشر من نفس الشهر أمر رجاله بقطع سارية العلم فوق القنصلية الأمريكية وحرقه أمام العموم. وكان هذا إيذاناً بقطع العلاقات رسمياً والتجأ القنصل الأمريكي « كاثكارت » إلى ليفورنو بإيطالية.



القنصل الأمريكي كاثكارت

أعقب هذا الحادث بداية الحرب البحرية [1] بين إيالة طرابلس والولايات المتحدة الأمريكية وكان من أهم أحداثها أن البارجة الأمريكية التي كانت تحمل اسم عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية فيلادلفيا آنذاك-وهي من أهم قطع أسطولها وكانت مزودة باثنين وأربعين (42) مدفعاً- قد وقعت في أسر البحارة الطرابلسيين مع بحارتها وكان عددهم (307) وانتهت هذه الحرب بتوقيع اتفاقية بين الطرفين في شهر يونيه 1805م اتفق فيها على تبادل الأسرى وان تدفع الولايات المتحدة الأمريكية لإيالة اطرابلس (60) ألف دولار فدية لأسراها.

(1) . لمزيد من التفاصيل أنظر: منصور عمر الشتيوي، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة، طرابلس: مؤسسة الفرجاني 1970، لويس رايت وجوليا ماكليود، الحملات الأمريكية على شمال أفريقية تعريب محمد روحي البعلبكي، طرابلس: مكتبة الفرجاني. وعمر علي بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1975-1835

ولم تشهد العلاقات الليبية الأمريكية ما يعكر صفوها حتى نهاية حكم الأسرة القرمانلية 1835م وعودة الحكم العثماني المباشر للبلاد، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن لها رعايا فيها، وتبين رسالة موجهة من قنصل الولايات المتحدة الأمريكية (م.ج-جينس) إلى الحاكم العام بتاريخ 25 مايو 1855م « أنه لا يوجد هنا أي مواطن للولايات المتحدة يمكن أن أعرضه على سعادتكم لإشغال وظيفة كاتب المحكمة المختلطة فإني أترك لسعادتكم اختيار هذا الكاتب وإني أؤكد لكم مقدماً أنه من جهتي سأكون راضياً .» [1] بل إن نفس القنصل وضح في رسالة أخرى له مؤرخة في 3 فبراير 1856م بأنه ليس مهتماً كلية بمن سوف ينتخب لهذه الوظيفة. [2]

ونظراً لزيادة حجم النشاط البحري للولايات المتحدة الأمريكية في حوض البحر الأبيض المتوسط فإنها « قامت ببعض المحاولات للحصول من الباب العالي على ميناء، أولاً على سواحل آسيا الصغرى، ثم على سواحل جزيرة كريت. وقد سبق للقنصل (فيدال) أن أشار إلى أنه لفت انتباه حكومة واشنطن إلى ميناء (بمبة) وميناء(طبرق) الليبيين: والواقع أن التقرير الذي رفعه (فيدال) إلى حكومته كان قد نشر بالفعل ضمن مجموعة الوثائق الدبلوماسية الأمريكية لسنة 1873م .[3]

حاول القنصل الامريكي (فيدال) تعكير صفو العلاقات الليبية الأمريكية وذلك بتصرفاته غير الدبلوماسية، ومحاولاته استغلال أي مشكلة في الولاية، والتدخل فيها رغم أن دولته ليست طرفا فيها فقد حدث في نهاية 1875م أن وصل إلى طرابلس عن طريق مالطا قادماً من تونس، أحد الأولياء المغاربة!(مرابط) وهو الحاج أحمد البهلول، واحتشد أهالي طرابلس في حماس كبير حول الزاوية التي نزل بها... وقد دخل « الولي » المدينة في احتفال ضخم « فبادر المسيحيون إلى إغلاق متاجرهم وبيوتهم عند مرور الموكب الذي توقف عند نقطة معينة أمام أحد المتاجر. » [4] وحدث أن حاول هذا المغربي الإعتداء على أحد رعايا إيطاليا إلا أنه لم يتمكن من القبض عليه وتدخل قنصل إيطاليا في طرابلس لدى الوالي لإبعاد هذا الرجل وبالفعل تمكن من الحصول على موافقته على ذلك إلا

---

(1). وثيقة بدار المحفوظات التاريخية

(2). وثيقة بدار المحفوظات التاريخية

(3) . شارل فيرو .الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي نقلها عن الفرنسية د.محمد عبدالكريم الوافي .طرابلس : المنشأ ة العامة لنشر والتوزيع والإعلان .الطبعة الثانية 1983 .ص719

(4) . اتوري روسي .ليبيا منذ الفتح العربي.ص389

أن القنصل الأمريكي (فيدال) تدخل لصالح المغربي وادعى بأنه تحت حمايته وأنه من رعايا ليبيرية الخاضعة للولايات المتحدة. وخشي الوالي مصطفى باشا من حدوث تعقيدات بينه وبين ذلك القنصل لما يعرفه عنه من شذوذ في الطبع، فما كان منه إلا أن سلمه المرابط المحتجز.

تشجع القنصل الأمريكي لهذا الانتصار الذي حققه فقام- بإيعاز من الحاج البهلول نفسه- بالاتصال بالمراكشيين المقيمين بالمدينة والذين كانوا منذ سنوات طويلة تحت حماية الباب العالي، وأبلغهم باستعداده لشملهم بحمايته فبادر حوالي خمسين منهم بالذهاب إلى القنصلية الأمريكية لاستلام براءات حماية منها. [1] بل تمادى القنصل (فيدال) في هذا المسلك فشمل بحمايته بعض الجزائريين وأصبح المتذمرون من الحكم العثماني يرون فيه الملاذ الذي يحميهم « وكان من شأن مثل هذه الدعايات أن تنال من مكانة وهيبة السلطان العثماني إذ إنها تؤدي إلى نتائج وخيمة قد يكون من شانها تقويض أمن الولاية وهدوئها. » [2]

ويعلق شارل فيرو في كتابه الحوليات الليبية عن مسلك هذا القنصل الأمريكي فيجد المرء نفسه مضطراً إلى استخلاص النتيجة التالية إما أن يكون القنصل شخصاً (مهووسا) لا يعرف الروية في تصرفاته، يدفعه في ذلك المزاج الشاذ. وإما أنه تلقى من حكومته تعليمات تأمره بالتصرف على تلك الشاكلة، وكان الإفتراض الأول هو الأرجح. بيد أن وجود السيد (فيدال) هذا في طرابلس كان يشكل في كلتا الحالتين خطراً حقيقياً على الحكومة العثمانية، ولذا فقد وجه الوالي إلى الباب العالي تقريراً مطولاً عنه وألح في الإسراع بالعمل على إستدعاء القنصل إلى بلاده فوراً، حيث إن اقامة علاقات طيبة معه أصبحت مستحيلة تماماً.[3]

وقد تمادى القنصل الأمريكي في تصرفاته غير المسئولة وحرص على التدخل في أمور ليست له به علاقة من ذلك توجهه في موكب مهيب إلى مجلس التمييز رغبة منه بدون شك في شد أنظار الناس وإشعارهم بأهميته. [4] وقدم إلى رئيس المجلس رسالة احتجاج في أمر ما إلا أن الرئيس رفض استلامها منه لأنه لا يتلقى مثل هذه الرسائل مباشرة، وحدث أن هدد القنصل رئيس المجلس الذي لم يأبه لتهديده ورفع الأمر إلى الوالي

---

(1) . شارل فيرو ، الحوليات الليبية ، ص 723
(2) . المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(3) . المرجع السابق ، ص 724
(4) . المرجع السابق ، نفس الصفحة

«وبالرغم من أن الوالي كان في أشد حالات الغضب إلا أنه كان مازال لديه من ضبط النفس ما جعله يكتفي بلفت نظر القنصل إلى أن مسلكه يعد مجافياً تماماً للأصول الإدارية التي وضعها الباب العالي، وعندئذ رد السيد فيدال بأن لا شأن له بحكومة السلطان العثماني لأنه لا يعترف سوى بالباشا بك إيالة طرابلس. (1) وفي هذا القول حجب للحقيقة إذ إن الولايات المتحدة تعترف بتبعية طرابلس للدولة العثمانية بل إن القنصل «فيدال» نفسه اعتمد قنصلاً لأمريكا بموجب فرمان من السلطان العثماني.

وضع هذا القنصل العلاقات الليبية الأمريكية في مأزق جديد ففي عهد الوالي مصطفى باشا، وصل أسطول عثماني في 29 يونيه 1876م إلى ميناء طرابلس وأرسى فيه ونزلت منه بعض الزوارق لجلب المياه العذبة من بئر معروفة، وصادف أن أحد الجنود المكلفين بجلب الماء أراد إشعال لفافة تبغ كانت في يده فتسلق رابية عند الشاطئ ثم دخل إلى أحد البساتين وتصادف أن كان صاحبه القنصل الأمريكي فيدال فانهال على الجندي بالحجارة وأخذ في مطاردته إلى أن التقى بثلاثة من ضباط البحرية العثمانية وحاول الاشتكاء إليهم على تعدي ذلك الجندي إلا أن اللغة كانت حائلاً بين تفاهم الطرفين . وأدى ذلك إلى نفاذ صبر القنصل لعدم الرد عليه مما أدى إلى هجومه على أحدهم حيث أخذ يهزه من كتفيه بعنف ولم تلبث هذه الحادثة التافهة أن أدت إلى أزمة، فقد قدم الضباط الأتراك الثلاثة الذين أساء القنصل معاملتهم تقريراً إلى الاميرال حسن باشا – قائد الأسطول العثماني– عما حصل، فقدم هذا بدوره شكوى إلى والي طرابلس مطالباً برد الإعتبار إلى رجاله وحول مصطفى باشا تلك الشكوى إلى القنصل الأمريكي (فيدال) (2)

وقد رد القنصل الأمريكي على تلك الشكوى وطلب «إجراء محاكمة أولئك الضباط والجنود التابعين للأسطول الرأسي في الميناء في محكمة عسكرية»(3) وطلب أن توجه بعض الأسئلة إلى قائد الأسطول حسن باشا « ومنها قول الملازم له بانه كافر وثانيها دخول جندي إلى بيتي من غير أن يطرق الباب بحجة إشعال سيجارة في وقت القيلولة، وهو الوقت الذي يكون فيه أهل البيت في نوم الظهيرة المعتاد هنا حيث حرارة الطقس في هذه المدينة تقتضي ذلك، ثالثها إرسال الضابطين المذكورين الجندي للتجسس والتحقق من أنني موجود

(1) . المرجع السابق ، نفس الصفحة
(2) . شارل فيرو ، الحوليات الليبية، ص 718
(3). وثيقة بدار المحفوظات التاريخية

في البيت أم لا، وعند ذهابي إليهما للاطلاع على مقصدهما وجدت لديهم سجائر مشتعلة ثم عدم جلبهما للجندي الذي فر من البيت والسؤال عن سبب هروبه وتظاهرهما لي وهما يتحادثان بنظرة احتقار وإهانة في الوقت الذي يجب أن يطلبا مني العفو، رابعا لم تكفهما الإهانة التي وجهت إلي بل أنهما جمعا بضعة عساكر من البحرية وكلفوهم بإخراجي من البيت. خامساً تمزيق أحد الملازمين قميصه الصوفي لأني قلت سأدعي عليكما وتقديم تقرير من طرفهما مغاير للواقع.»[1] وطلب في نهاية رسالته أن يقدم له الاعتذار والترضية اللازمة. وقد صعد القنصل الأمريكي هذه الأزمة وكاتب حكومته مدعياً بتهديده والنيل من هيبته فقامت حكومة واشنطن بإصدار أوامرها للطراد (كونجرس Congress) بالتوجه إلى اطرابلس لحماية قنصلها فيها إذا اقتضى الأمر وبالفعل فقد وصلت تلك البارجة الحربية في 17 أغسطس 1876م [2] ثم سويت هذه القضية بتدخل القناصل الآخرين وبرضى الطرفين.
اختلق هذا القنصل إشكالاً آخر إذ طلب من المدينة أن تبدأ بتحية الطراد الأمريكي رغم أن المتبع أن تبدأ البواخر بتحية المدينة التي تقوم بالرد عليها، وكان نفس الطراد بادر بتحية المدينة أثناء زيارة في الشهر السابق، إلا أن القنصل الأمريكي استند على معاهدة سابقة بين اطرابلس في فترة حكم الأسرة القرمانلية والولايات المتحدة متناسياً أن تلك المعاهدة أصبحت ملُغاة نتيجة عودة طرابلس تحت الحكم العثماني المباشر، ومع ذلك رأى القنصل أن في ذلك نيلاً من هيبة العلم الأمريكي، وتأهبت طرادتان أمريكيتان لقصف المدينة لولا تدخل قناصل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا الذين أرسلوا بمذكرة جماعية إلى قائد إحدى الطرادتين يوضحان فيها ما يترتب عليه قصف المدينة من نتائج لا يجهل القائد مدى خطورتها. كما نبهت المذكرة إلى تأثر المصالح الأوروبية الكثيرة في المدينة والتي ستلحقها الأضرار من جراء ذلك القصف. وقد سويت هذه الأزمة بتدخل قناصل الدول الأوروبية فغادرت الطرادتان مياه المدينة ورافقهما (فيدال) لقضاء بضعة أيام في جزيرة مالطا.
كانت تصرفات هذا القنصل قد أدت إلى نزاع بين المسلمين والنصارى في مدينة طرابلس كما أنه تمادى في تصرفاته الطائشة فقد قام بإرسال (ميليشيا) قنصليته لاقتحام بعض بيوت المواطنين في المدينة بحجة التفتيش عن العبيد الأرقاء. وصادف أن اقتيدت سيدة زنجية

---

(1). وثيقة بدار المحفوظات التاريخية
(2) . شارل فيرو . الحوليات الليبية، ص 718

كانت زوجة شرعية لأحد المواطنين العرب إلى مقر القنصلية الأمريكية وبقيت بها إلى أن حضر زوجها وأثبت أنها زوجته شرعاً. وقد « أدى تعدى القنصل فيدال وتجاوزه لاختصاصه إلى ردة فعل عنيفة في هذا البلد الذي تخلع عاداته وطبائعه الشرقية على البيوت حرمة مقدسة وتحاط فيها الأسرة وبالأخص النساء بتكتم غيور، فقد هب المسلمون هبة واحدة وتوجهوا إلى دار الوالي الذي فشل في تهدئة خواطرهم وحينئذ تجمعوا في مقاهي المدينة حيث حرروا عريضة وذيلوها بالتوقيعات محملين القنصل الأمريكي فيها مسئولية النتائج التي ستترتب على ذلك التعدي السافر، وذهب بعضهم إلى حد التصريح بأنه إذ لم تقتص العدالة مما حدث فإنهم سيستعملون القوة في ردع كل أجنبي تخول له نفسه ارتكاب مثل تلك الأعمال مستقبلاً [1] تداول الوالي مع قناصل الدول الغربية في تصرفات القنصل الأمريكي محذراً إياهم من العواقب التي ستترتب عليها بخاصة أن الغليان قد زاد في النفوس المواطنين وأن الأمن العام سيصبح مفقوداً. وأنه يأسف لفشل جهوده العديدة مع الآستانة والداعية إلى استدعاء هذا القنصل إلى بلاده، وقد تلقى الوالي برقية بتاريخ7 يونيه 1876م من رئاسة الوزراء عن عزل قنصل أمريكا بطرابلس جاء فيها « نفيدكم للمعلومية أن الباب العالي أشعر رسمياً بأن الدولة الأمريكية قررت عزل قنصلها هناك « فيدال» وتعيين بديل عنه وأنه لن يبقى إلا مدة انتظار وصول خلفه، ليبق هذا الخبر مكتوماً لديكم لا يشاع لاحد في الوقت الحاضر وإذا وقعت من المومى إليه « فيدال» حركات منافيه في هذه الفترة تبلغ إلى هنا ولأجل المحافظة على حق حكومتنا المكتسب في القضية والاحتراز من أية معاملة توجب شكايته بادرنا ببيان الواقع . »[2]

« استدعت الحكومة الامريكية قنصلها المذكور في 19 يوليه 1876م حيث سلم الوالي رسالة موجهة إليه من رئيس الولايات المتحدة الامريكية يناديه فيها ب(صديقه العزيز بك طرابلس) [3] وبذلك رحل هذا القنصل الأرعن بعد أن ترك تاريخاً لا يشرفه ولا يشرف بلاده بأي حال .

---

(1) . المرجع السابق .ص 727.

(2) . وثيقة بدار المحفوظات التاريخية

(3) . شارل فيرو ، الحوليات الليبية ،ص729

المراجع :

1. وثائق بدار المحفوظات التاريخية – السراي الحمراء .
2. عمر علي بن إسماعيل – إنهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م طرابلس مكتبة الفرجاني الطبعة الأولى 1966م.
3. اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م . تعريب خليفة التليسي بيروت : دار الثقافة، الطبعة الاولى 1974م.
4. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي جتى الغزو الإيطالي .ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية 1983م.
5. منصور عمر الشتيوي ، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة . طرابلس : مؤسسة الفرجاني 1970م.
6. لويس رايت وجوليا ماكليود، الحملات الأمريكية على شمال أفريقية، تعريب محمد روحي البعلبكي، طرابلس: مكتبة الفرجاني (د.ت).

حياة اليهود في اطرابلس من 1551-1911م*

يرى بعض الباحثين « أن اليهود كانوا دون شك قد رافقوا الفينيقيين في سفراتهم إلى الموانئ والمصارف التجارية بأفريقية .» [1] غير أن استقرارهم بطرابلس يرجح أن يكون بعد القرن الخامس قبل الميلاد . إذ أن المؤرخ الإغريقي « هيرودوت» حين عدد سكان ليبيا في ذلك التاريخ لم يذكر العنصر اليهودي.

استقدم بطليموس حاكم مصر عدداً كبيراً من اليهود إلى برقة في القرن الثالث ق . م، ولا يستبعد وفود عدد من أولئك إلى الجهات الغربية . وازداد عدد يهود طرابلس بفضل الهجرات التي أعقبت اضطراباتهم في فلسطين وبرقة (70م ، 115م ، 132م ، 135م) إذ عمد الرومان إلى تشتيت اليهود في أراضي إمبراطوريتهم «وقد وقع تقدير عدد اليهود المبددين في العالم في القرن الأول من الميلاد بما يفوق ستة أو سبعة ملايين، منهم مليون بمصر وكان عددهم مرتفعاً أيضا بطرابلس. »[2] ولكن من الواضح أن هذا الرقم به مبالغة كبيرة جداً . وبالرغم من توافد تلك الاعداد، فقد بقي اليهود أقلية استطاعت أن تحافظ على نقائها العنصري العرقي. تعرض يهود طرابلس في العهد البيزنطي للاضطهاد وعندما فتح العرب المسلمون طرابلس سنة 22هـ /643م رحب اليهود بهم، لما سمعوه عنهم من تسامح، ولانهم أزالوا عنهم الاضطهاد، ولربما كان هذا الترحيب ناتجاً عن أملهم في أن تتاح لهم فرص للكسب والسيطرة على التجارة في ظل الأمن والسلام .

نعم اليهود تحت رأية الإسلام بالأمن والعدالة، وحرية المعتقد والتعليم، وتركت أمورهم القضائية في أيدي أحبارهم. ازدادت الطائفة اليهودية عدداً في طرابلس بفضل الهجرة التي حدثت في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، على إثر طرد الإسبان للمسلمين من الأندلس، فتعرض اليهود للإضطهاد من قبل الإسبان وأجبروهم على التنصر أو الرحيل، فاضطروا لمغادرة الأندلس ووفدوا على الشمال الإفريقي.

استقر عدد منهم في طرابلس ومنطقة جبل نفوسة وغريان، كانت العلاقة بين العرب المسلمين في ليبيا واليهود علاقة حسنة وطيبة على مر العصور، ويفند اليهودي «غابرييل

---

* . نشر هذا البحث في مجلة تراث الشعب، السنة 4، العدد 12، 1984، بعنوان اليهود في طرابلس عبر العصور مع بعض التعديل والإضافة .

(1). أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، تونس : دار النشر بوسلامة، مطبعة العمل، بدون تاريخ، ص 361 . 362

(2). المرجع السابق ، ص 362

ركاح » مزاعم القائلين بتعرض يهود طرابلس للإضطهاد وسوء المعاملة فيقول « واعتراضي على هذا القول نحن نعلم بأن عبد السلام الشهير والذي يعتبره العرب أكبر مرابط في ليبيا وقد دفن في زليطن كانت له أحسن العلاقات مع اليهود . » [1]

عند احتلال الإسبان لطرابلس في 1510م، وقع عدد من اليهود في يد الإسبان، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن دفعوا مبالغ مالية جمعت من أبناء ملتهم في إيطاليا. ولقى اليهود الذين بقوا تحت سلطة الإسبان معاملة سيئة، إذ كان الاضطهاد والعنت وكبت الحريات ميزة العلاقة بين الإسبان ويهود طرابلس .

يهود اطرابلس في العهد العثماني الأول 1551-1711م :

ضم العثمانيون طرابلس سنة 1551م إلى إمبراطوريتهم، على إثر طردهم لفرسان مالطا منها ، وقد طبق العثمانيون نظام «ملت» على الطائفة اليهودية في ليبيا، وهو نظام خاص بالطوائف غير الإسلامية، فقد « كانت الدولة العثمانية تعامل غير المسلمين معاملة مختلفة عن معاملتها للمسلمين من جميع الوجوه مثلا كانت تسمى المسلمين تبعة، وغير المسلمين رعايا وتحتم على غير المسلمين لبس لباس خاص لتميزهم عن المسلمين، وكان رجال الدولة غالوا في بعض الأدوار في هذا السبيل، وفرضوا على هؤلاء حمل شارة خاصة عند دخولهم الحمام، تساعد على تمييزهم عن المسلمين، بعد خلع ملابسهم المعتادة أيضا . » [2]

كما اتخذت ضدهم بعض الأعمال الأخرى من بينها أن شهادة غير المسلم على المسلم لا تقبل، ورغم ذلك فقد تمتعت الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية بالحرية الدينية والتعليمية والشخصية والقضائية، وكانت الطائفة اليهودية في ليبيا تتمتع بكافة الحقوق الممنوحة لها ولم يتدخل ولاة طرابلس في حياة يهودها، ولقد وجدت محكمة «الربّي»[3] التي كانت تفصل في القضايا الخاصة بالطائفة اليهودية، واحتكر يهود طرابلس في هذا العهد التجارة بل وشاركوا في تجارة الرقيق فكان الوالي التركي « لا يتملك كل الأسرى بل يتخلص من بعضهم عن طريق البيع في أسواق الرقيق فيشريهم الأتراك واليهود والعرب من الأسواق ... وكان هؤلاء يتاجرون بهم لتحقيق أرباح كبيرة . »[4] كما احتكر اليهود في العهد العثماني

---

(1). Gabriele V. Raccah , La Coununita Ebreicha della Libia (Firenze ; Tipografia La Poligrafica 1968 . p . 7

(2) . ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ، 1965م، ص 89

(3) . الربى هو كبير أحبار اليهود وكبير طائفتهم أيضا إليه يرجع في كل أمورها

(4) . كستانزيو برينا، طرابلس من 1510 . 1850م، تعريب خليفة التليسي، طرابلس : دار الفرجاني للنشر، طبع في دار الغندور لبنان، 1969، ص 218

الأول بعض الصناعات الثمينة كصناعة الفضة وصهر الذهب، حتى إن الوالي بيالي باشا (1672م) عهد إليهم صهر التبر والذرات الذهبية «القُراضة» الواردة من بورنو لصنع السلطانية المخصصة لأداء الضريبة السنوية إلى الأستانة، تعرض اليهود في العهد العثماني الأول (1551 . 1711م) للإبتزاز في بعض الأوقات، نظراً لتكدس الأموال الطائلة في إيديهم لاشتغالهم بالتجارة والأعمال المالية، واحتكارهم للصناعات الثمينة، وإن كان الأهالي العرب قد تعرضوا إلى مثل هذا التصرف أيضا في ذلك العهد .

اليهود في العهد القرمانلي 1711 - 1835م :

عندما استطاع أحمد القرمانلي أن يؤسس عهداً جديداً في طرابلس وهو عهد الأسرة القرمانلية (1711 - 1835م) نعم اليهود في هذا العهد بالأمن وبتحسن أحوالهم المعيشية بفضل ازدياد الحركة التجارية وبحسن المعاملة التي وجدوها من أحمد باشا، وقد استمرت هذه المعاملة حتى في عهد خليفته محمد باشا القرمانلي (1745- 1754م) وفي بداية عهد علي باشا (1754 - 1793م) كانت الأحوال المعيشية حسنة وكان السكان يتمتعون بحياتهم والتجارة مزدهرة والأمن مستتباً، وكان الوالي علي باشا يتعامل مع اليهود ويقترض منهم إلا أن هذا الرخاء لم يدم طويلا إذ تعرضت البلاد في مايو 1785م لوباء الطاعون، فقضى على كثير من الأهالي، وقد بلغ عدد الضحايا في بعض الأيام ألفا ومائة أغلبهم من العرب واليهود .

استغل اليهود هذه الضائقة التي تمر بالبلاد، فتصف « الأنسة توللي» اليهود في هذه الفترة بأنهم منهمكون في شحن السفن بأسلاب وملابس أولئك الذين قضى عليهم وباء الطاعون لغرض تصديرها لأوروبا ومصر، وحذرت في رسالتها من ضرورة أخذ كافة التدابير والحيطة والوقاية في أوربا لمنع وصول مثل تلك البضائع المهلكة [1].

لقد نعم اليهود في أوائل عهد علي باشا بالأمن، واستطاعت الطائفة. بفضل إحدى محظيات الباشا اليهوديات وتدعى (إستر) أن تتمتع بوضع خاص فقد « كانت كل الالتماسات والنعم التي تمنح لليهود من قبل الباشا يتم الحصول عليها من الوالي بفضل ما تتمتع به من تأثيرونفوذ على الباشا . » [2] وعندما قام الصراع بين ابنى علي باشا القرمانلي أحمد ويوسف قدم اليهود المساعدة إلى الابن الأصغر يوسف خوفا من بطشه بهم .

تعرض اليهود في أثناء استيلاء « علي برغل» على طرابلس (30 يوليو 1793م) للاضطهاد

---

(1) . راجع الآنسة توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة عبد الجليل الطاهر، بنغازي : دار ليبيا للنشر، 1967م، ص 209

(2) . المرجع السابق ، ص 398

ومصادرة الأموال، وفي الحقيقة فإن هذا الطاغية لم يخص اليهود بتلك المعاملة فقط بل إن الأهالي العرب تعرضوا للكثير من المحن والظلم، وإن كان اليهود أكثر تعرضا لاضطهاده ويصف كوستانزيو برينا حالة الأهالي بقوله « وامتص علي برغل دماء الشعب وأرهقه، وفرض على الجالية اليهودية ضريبة مقدارها (240) ألف فرنك . بعد أن هددها بالقتل والفقر، وقتل عدداً من الأعيان بأسباب تافهة واهية وصادر أموالهم ، لمصلحته الخاصة .»[1]

استطاعت الأسرة القرمانلية أن تسترد حكم الإيالة وتولي أحمد باشا كرسي الإيالة ولكن لم ينعم بالحكم لمدة طويلة، إذ تمكن أخوة يوسف باشا من الإستيلاء على الحكم وإقصاء أخيه من منصبه. أعاد يوسف الأمن إلى البلاد وشمل برعايته اليهود فازداد نشاطهم واعتمد عليهم إذ أنهم « كانوا على استعداد دائم لتقديم القروض بالإضافة إلى أنهم عنصر مطيع وخاضع وقد تعاون معهم تعاونا قويا في إعادته إلى الحكم ، ويذكر يوسف أيضا أن والده علي القرمانلي الذي ترك طرابلس ولجأ إلى تونس . قد ضرب له مثلا في اللجوء إليهم عند الضيق » . [2]

ازداد ثراء اليهود بفضل الحركة التجارية النشطة. إذ أدى نشاط الغارات البحرية إلى ازدهار التجارة وتكدست الأموال في أيديهم ونعموا برغد العيش طوال بداية حكم يوسف باشا حتى أن كثير من يهود البلاد الأخرى قدموا إلى طرابلس للإقامة بها إذ وفد بعض يهود تونس في سنة 1802م نظراً للاضطرابات التي شهدتها حينذاك، وفي سنة 1805م وصل عدد كبير منهم من الجزائر بسبب اضطراب الأحوال فيها، كما استقبلت طرابلس يهود من أوروبا وعلى الأخص الإيطاليين للتخلص من الأحوال التي نشأت نتيجة لحروب نابليون».[3]

وبذلك انتعشت الحياة الاقتصادية لليهود وتركزت في أيديهم الحرف والمهن المختلفة وخاصة صياغة الذهب والفضة وسيطروا على التجارة خاصة مع البلاد الأوروبية وكان لهم في طرابلس في سنة 1806م ثلاثة معابد وبلغ عددهم نحو ألفين نعموا برغد العيش.

عندما وجد يوسف باشا نفسه في ضائقة مالية في أواخر حكمه فرض على اليهود الضرائب وجرد بعضهم من أملاكهم، ومع ذلك لم يستطع يوسف أن يتخلص من الضائقة المالية ولا أن يسدد الديون التي على ذمته من قبل كل من انجلترا وفرنسا، واضطر إلى التنازل عن الحكم لابنه علي 1832م ولكن هذا لم يهنأ بالحكم طويلاً إذ ارسلت الدولة العثمانية أسطولا إلى طرابلس وإعادتها إلى سيطرتها المباشرة في سنة 1835م.

---

(1) . كوستانزيو برينا، ص 31
(2) . المرجع السابق، ص 318
(3) . ميكاكي، ص 134

اليهود في العهد العثماني الثاني 1835-1911م :

استطاع العثمانيون أن يستردوا حكم إيالة طرابلس سنة 1835م، وقد عومل اليهود معاملة حسنة . وعندما قام غومة المحمودي بثورته على الولاة العثمانيين سنة 1837م عاملهم بالرفق واللين، وقرر تطبيق عقوبة الإعدام على كل من يقتل يهودياً في المنطقة الخاضعة لنفوذه . ولم يستطع غومة الاستمرار في فرض سيطرته على منطقة جبل نفوسة إذ جرد العثمانيون حملة عسكرية في سنة 1841م بقيادة أحمد باشا استطاعت أن تخضع منطقة غريان والجبل، وحاول سكان غريان إلقاء تبعة الثورة على اليهود، ويذكر برينا بأن أحمد باشا أدرك « أن هذا لا يخلو من دس دفعت إليه المصالح، وأرضاء لضميره فرض على يهود غريان ضريبة خمسين كيلو من الزعفران الممتاز» .

يظهر أن اليهود قد اشتركوا في ثورة غومة وأن أحمد باشا لما فرض عليهم تلك الضريبة لم يكن ليرضى ضميره وإنما كان عقوبة لهم على اشتراكهم في الثورة ، إذ يذكر اليهودي «غربرييل ركاح» أن غومة « وجد الساعد القوى في شخص إبرام اربيب. »[1] وكان يهودياً من منطقة غريان، القى القبض على غومة في سنة 1842م حيث أرسل إلى الاستانة ونفى إلى طرابيزون، إلّا أنّه استطاع الفرار في سنة 1854م ولجا إلى تونس ومنها دخل إلى منطقة جبل نفوسة حيث أعلن الثورة مجددا وسيطر على المنطقة « وأصبح اليهود تحت حمايته ، ولكن في الوقت الذي حافظوا فيه على ولائهم للزعيم غومة، لم يتخلفوا عن إرسال الضريبة المعتادة إلى طرابلس، بصفة سرية، وكان ذلك من الحكمة وبعد النظر وقد علمتهم التجارب وجوب مراعاة كافة الاحتمالات . » [2]

جرد الوالي العثماني حملة ضد غومة في سنة 1856م استطاعت أن تستولي على الجبل وقام الضباط والجنود بتجريد اليهود من ممتلكاتهم رغم عدم انقطاعهم عن إرسال الضرائب إلى العاصمة، وقد لقى غومة حتفه في سنة 1858م في وادي أوال، وخضع الجبل لوالي الولاية.

معاملة الدولة العثمانية ليهود منطقة اطرابلس :

عامل الولاة العثمانيون يهود منطقة طرابلس بنفس المعاملة التي اتسمت بها فترة حكمهم الأولى لإيالة طرابلس، فقد عومل اليهود بمقتضى قانون التنظيمات الذي صدر سنة 1856م في عهد السلطان عبدالمجيد الذي أعلن فيه معاملة جميع تبعة الدولة العثمانية

---

(1) . غابرييل ركاح، مذكرات لأرشيف العائلات اليهودية في ليبيا (فرينس 1938)، ص 8

(2) . المرجع الأسبق، ص 352

معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم. « إن منشور التنظيمات اعلن إبقاء السلطات الممنوحة لرؤساء الدين، على أن تنظم بقوانين جديدة ، والقوانين التي صدرت لهذا الغرض، جعلت لكل طائفة دينية مجلساً جسمانياً ومجلساً روحانياً، حددت سلطات كل من المجلسين، كما أوضحت كيفية تأليفهما مع كيفية انتخاب رؤساء الأديان وتعيينهم، تركت جميع الأحوال الشخصية لبناء الطائفة لهؤلاء الرؤساء وتلك المجالس، وكذلك جميع الأمور المتصلة بأوقاف الأديرة والكنائس وشؤون المدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بالطائفة. »[1]

استمر اليهود يدفعون ضريبة خاصة تسمى ضريبة البدل العسكرية، إذ كان غير مسموح لليهود بالدخول في صفوف الجيش. وتعرض يهود طرابلس في العهد العثماني الثاني لعدة حوادث دبرت من قبل بعض الأفراد ففي عهد محمد نديم حدث بمدينة زليطن « أن قام تاجران شقيقان هناك وهما علي ومنصور بن قدارة بإشعال النار في كنيس اليهود وكان الغرض من ذلك هو ترحيل التجار اليهود. » [2] على أن هذا الحادث كان حادثاً شخصياً إذ أراد الأخوان طرد اليهود المنافسين لهما في المجال التجاري، وفي سنة 1871م تعرض الكنيس اليهودي في العمروص للحرق وقبض على الجاني « ثم صار الكشف عليه بمعرفة حكماء الخستخانة «أطباء المستشفى» فأورد أيضا أبرت « تقرير » يتضمن اختلال عقله في بعض الأحيان وبالمذاكرة في ذلك والتأمل مما هنالك بات القرار بترك سبيله»[3]

يتحدث الحشائشي عند زيارته للولاية سنة 1895م عن حادث سرقة تعرضت له كنيسة اليهود في مصراتة فيذكر « ولما كنت هناك عمدت عدة من الأشقياء إلى جامع اليهود فدخلته ليلا وأخذت منه جميع الفضة والتي كانت بها أسفار التوراة وقناديل من الفضة وصندوقاً به عشرة آلاف قرش كانت موضوعه لتوزع على الفقراء والمساكين منهم ولما بلغ الأمر الحكومة خرجت العساكر للبحث وإلقاء القبض على أنفار متهمين وبطشت الحكومة بالجاني البطش العظيم بالغرامة والعقاب الشديد . » [4] إن حوادث الاعتداء كانت تقع من الطرفين وكانت الحكومة تعاقب الجناة؛ ففي سنة 1291هـ حدث أن تعدى أحد

---

(1) . ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص 90

(2) . انتوني كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني، ترجمة يوسف العسلي، مصر : دار إحياء الكتب العربية د . ت ، ص 48

(3) . وثيقة . رقم 788طرابلس : دار المحفوظات التاريخية

(4). الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت : دار لبنان، ط 1، 1965م ، ص 103

اليهود ويدعى « موشي ولد يعقوب» على شخص طرابلسي يدعى « محمد الجعفري » فحكم عليه بالسجن أسبوعاً .

تظلم يهود غريان في سنة 1905م من معاملة القائمقام ومن ثقل الضريبة المفروضة عليهم وتبلغ قيمتها عشرة آلاف قرش من بدل عسكري وتمتع بأملاك وحيوانات وغيرها وقد عرضت هذه المظلمة على مجلس إدارة القضاء الذي اتخذ قراراً بأن الضريبة المفروضة عليهم باهظة حقا وأن درجة تحملهم السنوي لا يزيد عن ستة آلاف قرش وبعثوا بقرارهم هذا للولاية.

حاول اليهود في السنة التالية الامتناع عن أداء الضرائب التي قررت عليهم وعلى الأهالي واشتكوا من تصرفات القائمقام إلى الوالي وأنه « سجن بعضنا وهدد بملاحقة الآخرين ويذكرون بأنهم قد دفعوا الميرى وضريبة البدل العسكري ويملكون « إيصالات. » [1]

قد عرضت هذه الشكوى على الولاية فأوضحت بأن الضريبة التي فرضها القائمقام عليهم كانت مقررة من الولاية إذ طرأ تعديل على دفع الضرائب سواء من الأهالي أو من اليهود وقد أضيف على ضريبة اليهود السابقة (1058) قرشاً و (17) بارة على البدلات العسكرية وأنه قد جرى توزيع هذه الضريبة على كافة اليهود وكان ذلك في يناير 1906م . » [2]

إن تلك الضرائب التي فرضت لم تكن تقتصر على اليهود بل فُرض على العرب أيضا ودفع ضرائب إضافية، وهنا تتضح الحرية التي كانت تتمتع بها الطائفة اليهودية إذ كان مسموحاً لهم بتقديم شكواهم إلى الوالي أو المتصرف أو القائمقام، كما تمتعوا أيضا بالحرية الدينية وكانت محكمة الربى تقضى في القضايا الخاصة بهم، وكان اليهود في بعض الأحيان يحيلون قضاياهم إلى محكمة البداية ، كما فعل اليهودي « باباني أربيب» الذي قدم طلبا لرئيس محكمة البداية في طرابلس ذكر فيه « أن الخاخامباش أفندي كان حرر حكما على العاجز إلى أخوتي بانو وشمعون وأودعاه إلى دائرة إجراء محكمتكم العلية وصار إجراء القسم الأعظم منه وتضررت بذلك وحيث مقتضى الأمر السامي الوارد تلغرافيا من نظارة العدلية الجليلة أن تلك الدعوى خارجة عن وظيف وصلاحية الخاخامباش أفندى ولا جواز لاجراء حكمه المذكور ... وعليه نطلب ... برفع المعاملات الإجرائية التي كان نفذها بمقتضى الحكم المذكور. » [3] وكان ذلك في 18 «أيلول» سبتمبر 1901م.

(1) . أنظر وثيقة رقم (32) اليهود . دار المحفوظات التاريخية
(2) . أنظر وثيقة رقم (32) اليهود . دار المحفوظات التاريخية
(3) . وثيقة (غير مفهرسة . دار المحفوظات التاريخية

لقد دأب الولاة على تنفيذ طلبات اليهود التي لها صبغة قانونية، ولم يكونوا مقصرين في إتخاذ الاجراءات اللازمة حيالهم فنلاحظ في العريضة المقدمة من يهود يفرن إلى الوالي في 23 فبراير 1907م أنهم يشتكون من معاملة المتصرف الذي منعهم من الاشتغال بالتجارة (كباعة جائلين) ويطلبون من الوالي رفع هذا المنع عنهم لأنهم يعولون أسراً كبيرة وكذلك لتعارضه مع المبدأ الذي تنادي به الولاية وهو تنمية التجارة وتنشيطها، ويفيدون الوالي بأنه إذا استمر هذا المنع فإنهم سيصبحون غير قادرين على دفع الضرائب. [1] أحالت الولاية هذه العريضة إلى بكر سامي بن موسى متصرف لواء الجبل الغربي للإجابة عليها فذكر بأنه علم من بعض المراجعين أن بعض السفهاء والبسطاء يسرقون في الليل حب الزيتون ليستبدلوا به بعض البضائع من الباعة الجائلين في القرى، ويسببون بذلك الأضرار لبعض الناس فإنه عملا بقرار مجلس الإدارة منع استبدال حب الزيتون بالبضائع حتى يتاح للأهالي الإستفادة من الفرصة الممنوحة لهم ويتمكنوا من جمع زيتونهم وبما أن الأهالي باشروا في جمعه فأنه قد رفع المنع وأذن للباعة بالتجوال [2]

إن قرار منع الاتجار في حب الزيتون كان قراراً للمصلحة العامة للأهالي ، كما أنه لم يكن قرارا دائما بل كان لفترة محدودة، ولم يكن القصد منه اضطهاد اليهود ومحاربتهم، إذ عندما زال الخطر على أموال الأهالي رفع المنع ليتسنى للتجار اليهود الجائلين مباشرة أعمالهم. حاول اليهود في عهد المشير رجب باشا 1904م . 1908م الذي كان يعاملهم دوما بالحسنى . كما أشار الكتاب الأجانب الذين زاروا طرابلس في عهده إلى الدس على بعض رجال السلطة المحليين وذكروا في « عرض الحال » الذي قدموه للوالي أنهم قد أخذوا بالقوة من طرف الجندرمة وأوقفوا لمدة أربع ساعات في أحد أعيادهم وطالبوا الوالي بإصدار أوامر إلى جهات الاختصاص لتأديب أفراد الجندرمة الذين تعرضوا لهم وقدم عرض الحال للوالي في 2 « تشرين أول » أكتوبر 1907م من يهود تاجوراء وقد علق الوالي رجب باشا على الطلب بما يأتي « لا يمكن أن يكون ما وقع كما صُوّرَ وزُوِّرَ في العريضة ومن الطبيعي وقوع جزء منه .» [3] وأحال العريضة إلى مديرية تاجوراء للإفادة عن حقيقة الواقعة . وقد جاء رد مديرية تاجوراء أحمد عزيز في 6 أكتوبر الذي نفى الواقعة، وعلق المشير رجب باشا

---

(1) . راجع الوثيقة رقم (36) دار المحفوظات التاريخية

(2) . أنظر وثيقة رقم (36) اليهود . دار المحفوظات التاريخية

(3) . وثيقة رقم (914) ، دار المحفوظات التاريخية

على الرد بأن ادعاء يهود تاجوراء على رجال الجندرمة لا أساس له من الصحة حسب ما جاء في تقرير مدير تاجوراء فأمر بحفظ العريضة . حاول اليهود استغلال المعاملة الطيبة والتسامح الذي يلقونه من الوالي رجب باشا بالدس على بعض مسؤولي الولاية ولم يراعوا حقيقة الوقائع والحوادث، كان اليهود دائما عندما يعاملون باللين والرفق والتسامح يحاولون الدس والخديعة، فقد تقدم وكيل خاخامباشى طرابلس الغرب في 27 (شباط) فبراير 1909م ورفع عريضة إلى الوالي يشكو من إلغاء عضويات اليهود في المجالس والمحاكم خاصة في المجلس العمومي للولاية ويذكر أن الحكم الدستوري الذي يعيش في ظله يأمر بالعمل على قاعدة المساواة، فإنه يطالب باسم الأمة العثمانية والعدالة والحكم الدستوري استخدام شخص من اليهود في المجالس كافة وبالخصوص في المجلس العمومي وقد أحال الوالي العريضة إلى مجلس الإدارة الذي درسه وقرر بتاريخ 20 « حزيران» يونيو فيه « بما أنه يوجد في كافة المحاكم والمجالس أعضاء من اليهود فإن هذه العريضة أصبحت غير ذات موضوع . أما فيما يتعلق بعضوية المجلس العمومي فإن الشخص الذي ينتخب حسب الأصول من قبل الناخبين الثانويين من المقتضيات القانونية سيقبل بموجب المساواة بدون تفريق في العنصر والدين.»[1]

لقد تمتع اليهود بالحرية والمساواة وكان لهم أعضاء في جميع المجالس البلدية، إلا أن عضوية المجلس العمومي كانت عن طريق الانتخاب : عن كل قضاء ولواء شخص واحد ويصعب على اليهود الدخول في المجلس العمومي لأنهم آقليات متفرقة في الأقضية والألوية ويصعب على المرشح منهم الحصول على الأغلبية لذلك السبب، وكان عدد اليهود في جنزور وتاجوراء والنواحي الأربع وطرابلس حوالي (11) ألف يهودي، وكان يُعين في مجالس محاكم الاستئناف والبلدية والتجارة عضو من اليهود.

اشتغل يهود طرابلس بالتجارة، فقد تم إحصاء كبار التجار في طرابلس في طرابلس في سنة 1908م، فوجد أن عددهم خمسون تاجراً ، كان من بينهم تسعة من اليهود والباقي من الليبيين . وهي نسبة عالية جداً لو قيست بالنسبة العددية للطائفة اليهودية والأهالي .

أهتم يهود طرابلس بالمقاولات وكذلك بالطباعة، فقد أسست في سنة 1908م مطبعة أربيب وهي أول مطبعة أدخلت الحروف اللاتينية إلى الولاية .وكذلك كانت المطبعة الشرقية أو مطبعة « أبرام تشوبة» – الذي كان مقاولا أيضا وطلب منحة امتياز إنارة مدينة طرابلس بالكهرباء وكان عضواً بمحكمة استئناف طرابلس- التي أسست في سنة 1910م

(1) . وثيقة رقم (31) اليهود . دار المحفوظات التاريخية

وكانت المطبعة تطبع بالعربية واللاتينية والعبرية، تعامل اليهود بالربا، والذي يطلع على القضايا التي رفعها اليهود مطالبين بأموالهم من العرب والمدونة بسجل محكمة التجارة بدار المحفوظات التاريخية يعرف مدى تعامل هؤلاء بالربا وحرصهم على جنى الأموال عن طريق أي مصدر.

عاش يهود طرابلس في أمن وحرية، فيذكر كاوبر عندما تحدث عن مستقبل طرابلس (زار طرابلس في 1895،1896م) أنهم يعاملون معاملة حسنة « ولا يستطيع المالطيون واليهود في العاصمة نفسها أن يذكروا أشياء كافية يمكن أن تكون مصدراً للشكوى ... بل إن طرابلس، من بين مدن الشرق هي تحت حكم معتدل وأهلها قانعون راضون . » [1]

ولاحظ ناحوم شلوس « حين زار طرابلس سنة 1906م أن السلطات العثمانية كانت تعامل اليهود بالحسنى وأشاد بالوالي رجب باشا الذي كان يعاملهم دوماً بالحسنى، والود، وكان مستعداً أن يقدم الإمداد والعون للأليانس الإسرائيلي . » [2] كانت أمور اليهود التعليمية والدينية والقضائية في أيدى أحبارهم ولم تكن الدولة تتدخل في تلك الأمور .

اليهود والامتيازات الأجنبية :

تدهورت الحياة الاقتصادية في اطرابلس في أواخر العهد العثماني الثاني، إذ انتشر الفساد والرشوة وحاول الولاة إصلاح الأمور المتداعية بالولاية إلا أن قصر فترات حكمهم حالت دون ذلك، وقد دفع هذا الفساد المنتشر في الإدارة بعض يهود ولاية طرابلس إلى التخلي عن الرعوية العثمانية والإنضواء تحت رعوية أجنبية . كما أن هذا التخلي كان نتيجة لطمع اليهود في الحصول على امتيازات الرعايا الاجانب وخاصة رعايا إيطاليا وفرنسا وانجلترا.

حاول الوالي أحمد راسم عند توليه الحكم 1882م، أن يحد من هذه الظاهرة « فكان نتيجة همته العلية أن توفق لإخراج هؤلاء المحميين من الحماية واحداً فواحداً وأرجعهم لتابعيتهم الأصلية وذلك بأساليب سياسية حكيمة وعلى هذه الصورة قد صار كل فرد في الولاية متلذذا بنعمة العدالة، وآمنا على كل حقوقه في ظل عدالة الحضرة السنية السلطانية، وبهمة الوالي

---

(1) . هنري كاوبر ، مرتفع الآهات الجمال ، ترجمة أنيس زكي حسن ، طرابلس : دار نشر الفرجاني ، بدون تاريخ ، ص 264

(2) . أحمد صدقي الدجاني ، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي ، مصر : المطبعة الفنية الحديثة ، الطبعة الأولى 1971م ، ص 227

-المشار إليه- الجليلة ولم يخطر بعد ببال أحد أن يفكر في هذه الحماية الأجنبية . » [1]
ولم يذكر لنا أحمد النائب تلك الأساليب الحكيمة التي اتبعها الوالي أحمد راسم، وإن كان يظهر من كلامه أن أحمد راسم قد فرض العدالة وأمن على حقوق هؤلاء ، ولكن توجد شكوى قدمها اليهود إلى الصدر الأعظم في الأستانة تفيد أنهم كانوا معفيين من الضرائب الأميرية، يذكرون أنه « في زمن الواليين الأسبقين المرحوم سامح وأحمد راسم باشا، هناك فرمانات سلطانية تعفى يهود طرابلس الغرب من جميع التكاليف الأميرية ... وكنا نقدم خدمات مالية في حدود استطاعتنا ونجمع مبالغ باسم البدلات العسكرية كل سنة 29 ألف قرش غير هذه المبالغ لم تكن تدفع بنظام ....» [2] ويطلبون في نهاية عريضتهم اعفاءهم من دفع الضرائب وتاريخ هذه العريضة 2 «حزيران» يونيو 1903م ويظهر من هذا أن اليهود في عهد أحمد راسم كانوا معفيين من دفع الضرائب الميرية ولم يكونوا يدفعون سوى البدلات العسكرية ولكنهم كانوا يدفعون الضرائب الأخرى ولعل هذا هو الذي شجع اليهود على عدم التخلي عن رعوية الدولة العثمانية كما ساعد على الحد من ظاهرة التخلي عن الرعوية العثمانية والتجنس بالجنسيات الأجنبية القانون الذي أصدرته الدولة العثمانية في 1892م والذي نص فيه على أن العثماني الذي يغادر البلاد ثم يتخذ تابعية دولة أخرى إذا أراد الرجوع للبلاد العثمانية لا يسمح له بدخولها إلا إذا تنازل عن رعويته الأجنبية واسترجع الرعوية « الجنسية » العثمانية.

يهود اطرابلس وتمهيد إيطاليا لغزو ليبيا :

أصيبت طرابلس في سنة 1910م بانتشار وباء « الكوليرا» وقد كانت الإصابات بالغة بين اليهود في حارتهم، وقد حاولت سلطات الولاية محاصرة الجهات المصابة بالوباء خوفاً من انتشاره في الجهات المجاورة، إلا أن اليهود رفضوا هذه الإجراءات وقاموا بمظاهرات قادها مسيو صامان المترجم بالقنصلية الإيطالية بطرابلس وغوستاف أربيب وشقيقه أميليو، وقد اعتدى المتظاهرون اليهود على الشرطة وعلى طبيب البلدية وعلى بعض الأهالي بالضرب وإلقاء الحجارة عليهم وساروا إلى القنصلية الإيطالية وهم يهتفون « الحكومة تظلم اليهود ولا نريد الحكومة العثمانية، نريد الحكم الإيطالي، تحيا إيطاليا . » [3] وحاول رجال

---

(1) . أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ج 2 عنى بنشره الطاهر الزاوي، طرابلس : دار نشر الفرجاني ، ط 1 ، 1961م ، ص 2
(2) . وثيقة رقم (43) اليهود . دار المحفوظات التاريخية
(3) . وثيقة رقم (870) دار المحفوظات التاريخية

السلطة المحلية في طرابلس حماية اليهود من الإصابات وكذلك معالجة المصابين منهم، ولكن اليهود انساقوا وراء دعاية إيطاليا في تمهيدها لغزو ليبيا.

ظهر ميل اليهود إلى إيطاليا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث تقدموا بطلب إلى السلطات المحلية يطلبون فيه السماح لهم بتدريس اللغة الإيطالية في مدرستهم، حاول الأخوان أربيب «غوستاف وأميليو » حمل القنصل الإيطالي على التدخل لدى الوالي لمصلحة اليهود ولما لم ينجحا في مسعاهما « نشرا نداء على صفحات جريدة صدى طرابلس بتاريخ 21 «كانون الثاني» يناير 1911م وطلبا جمع المبالغ لمساعدة العائلات اليائسة » وقد جمعت مبالغ لا يستهان بها ليس من يهود طرابلس وحدهم ولكن حتى من يهود بنغازي واسكندرية مصر وباريس ومرسيليا ونيويورك ولندن .[1]

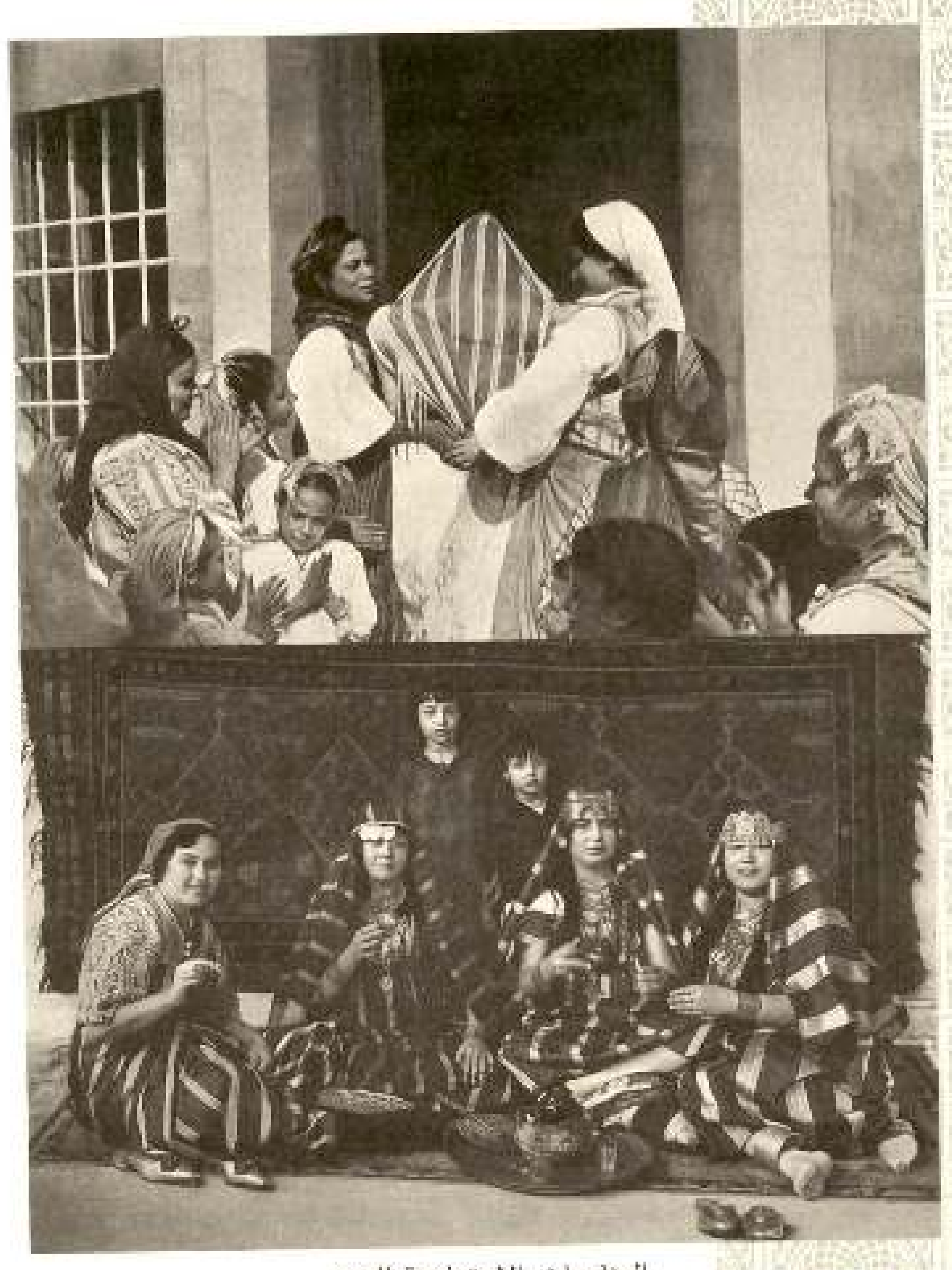
من خلال التقارير الموجودة في دار المحفوظات التاريخية عن هذه الحادثة يتبين أن السلطات المحلية في الولاية لم تهمل اليهود بل عزلتهم خوفا من انتشار الوباء إلى الجهات غير الموبؤة وقد عملت سلطات البلدية ما في وسعها لمعالجة هذا الوباء ويدل على ذلك أن المتظاهرين اليهود قد اعتدوا على طبيب البلدية أحمد افندى اليمنى الذي كان « يشرف على حجز المرضى واخراجهم للمحلات المعدة لهم رجماً بالحجارة من طرف أشخاص معلومة أسماؤهم . »[2] وقد قبضت الشرطة على المحرضين على قيام تلك المظاهرة، وعلى الذين تعدوا على رجال السلطة المحلية وأحالتهم إلى وكيل مأمور التحقيق لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة وكان ذلك في 7 « تشرين الثاني » نوفمبر 1910م. والحقيقة التي لا ينكرها حتى الكتاب الأجانب أن اليهود عوملوا معاملة حسنة حتى قبيل الاحتلال الإيطالي لليبيا فيذكر جورج ووبري مؤلف كتاب شمال افريقيا الذي زار طرابلس سنة 1911م أي قبيل الاحتلال أنه «يبدى اعجابه بما شاهده الأمر الذي يتنافى وما كان يدعيه بعضهم من اضطهاد لليهود في ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي . »[3]

رغم هذا فقد أساء اليهود إلى البلد الذي أكرمهم فقد تظاهروا مطالبين بسيطرة إيطاليا على ليبيا ووجدت إيطاليا فيهم خير معين لها على احتلال البلاد، وقد كانت مساعدة اليهود لإيطاليا ليس حباً في إيطاليا كما يتبادر إلى الذهن وإنما كان غرضهم الحصول على

(1) . جابرييل ركاح ، مذكرات الأرشيف العائلات اليهودية في ليبيا ، ص 12

(2) . وثيقة رقم (870) دار المحفوظات التاريخية

(3) . مصطفى بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، ج 2، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1972م ، ص 227



المناسبات الاجتماعية لليهود

امتيازات جديدة وطمعا في كسب وفير ، كما حاولوا في العهد الإيطالي الاستعلاء على الأهالي الذين استظلوا بظلهم وعاشوا معهم مكرمين طيلة قرون عديدة .



أحدى المناسبات الاجتماعية لليهود



نزول قوات المشاة الإيطالية (طريق الحصن - باب البحر) 1911/10/11م

وضع اليهود في اطرابلس فيما بين 1911 م / 1969م *

وجهت إيطاليا كل اهتمامها إلى ليبيا عقب احتلال فرنسا لتونس 1881م وأرادت أن تضع قدمها في الشمال الإفريقي لحل المشكلات التي تعانيها، وقد مهدت لذلك بتوسع نشاطها الاقتصادي في ليبيا وعقد عدة معاهدات مع الدول الأوربية لكسب تأييدها على وضع يدها على البلاد .وجدت إيطاليا في يهود طرابلس عنصرا مؤيدا ومساعدا لها على احتلال البلاد فعندما انتشر وباء أبي كماش (الكوليرا) في طرابلس سنة 1910م، كانت الإصابات بالغة بين اليهود في حارتهم وقد حاولت السلطات العثمانية محاصرة الجهات المصابة خوفاً من انتشاره في الجهات المجاورة، ونادوا بسيطرة إيطاليا على اطرابلس.

يهود اطرابلس في العهد الإيطالي :

في سنة 1911م تعرضت البلاد للغزو الإيطالي وقد حمل الأهالي السلاح للدفاع عن أرضهم وخاضوا معارك مريرة ضد الإيطاليين عند نزولهم على الشواطئ وكان موقف اليهود مناصرين لإيطاليا مؤيدين لها على الاحتلال، فقد لاحظ (فرانسيس مكولاغ) مؤلف كتاب (حرب إيطاليا من أجل الصحراء) والذي عمل كمراسل أثناء الحرب بين الإيطاليين والليبيين في سنة 1912م، لبعض الصحف الأجنبية، لاحظ وجود جميع يهود مدينة طرابلس وعدم تغيب أي أحد منهم وهو يعنى بذلك عدم اشتراكهم في معسكرات المجاهدين خارج المدينة استعداداً للهجوم على القوات الإيطالية، وسجل المؤلف شعور اليهود نحو الحملة الإيطالية وترحيبهم بها على أساس إتاحة فرصة جديدة لهم للقيام بأعمال اقتصادية ... ويذكر المؤلف بصراحة تامة أن اليهود كانوا مناصرين لإيطاليا . [1]

عندما سيطرت إيطاليا على الأمور في ليبيا طمع اليهود في الحصول على مزيد من الكسب ومزيد من السيطرة على النواحي الاقتصادية في البلاد، وحاول اليهود الاندماج مع العناصر الإيطالية الغازية وهكذا «انفصلوا عن المحكومين واندسوا في الحاكمين وتطاولوا على المواطنين وأخذوا بكل مقومات الحياة الأوروبية طلبا للانطباع عليها والامتزاج بأهليها والدنو والقرب من أهل الملة اليهودية فيما وراء البحر.» [2]

كانت سياسة إيطاليا تجاه يهود ليبيا هي سياسة إقرار الوضع القديم الذي كان يعمل به أثناء الحكم العثماني، ويتمثل ذلك في تمييزهم بحكم ذاتي ونظام طائفي، فقد

---

* نشر بمجلة تراث الشعب (السنة الرابعة، العدد 12 سنة 1984).

(1) مصطفى بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، ج 2، ص 159.

(2) محمد الحبيب بالخوجة ، يهود المغرب العربي ، ص 70.



معبد يهودي



مجلس الطائفة اليهودية

اعترفت إيطاليا بمجلس الطائفة اليهودية ومهمته في تمثيل وحماية المصالح الطائفية ورعايتها منشآتها الدينية والتعليمية، وقد« كان لمجلس الطائفة اليهودية بطرابلس كلمة مسموعة في الدوائر الإيطالية، ولا غرابة في ذلك فكثير منهم كان يتمتع بالجنسية الإيطالية أو جنسيات أوربية أخرى وبعضهم وافد من إيطاليا أصلاً « وقد أصدرت لذلك القانون رقم 1145 بتاريخ 26 أغسطس 1916م، بتنظيم أوضاع الجالية اليهودية في ليبيا.
عبر أحد الإيطاليين عن واجب إيطاليا تجاه يهود ليبيا بقوله « لقد وجدوا مكانا تحت الشمس وأمسكوا بأنفسهم الحياة الاقتصادية للبلاد فماذا يجب أن يكون موقفنا منهم ؟ يجب أن نساعدهم على تكوين جماعة متماسكة . » [1]
حاولت إيطاليا اصلاح أحوال الطائفة اليهودية بليبيا فسمحت لأبناء الطائفة بالانتساب إلى المدارس الإيطالية، وسمحت لهم بإنشاء معهد فني خاص تديره هيئة يهودية لتدريب ابنائهم على بعض الحرف الفنية بمدينة اطرابلس، وسمحت إيطاليا لهم بإنشاء نادي المكابي الصهيوني بطرابلس، وسمحت للمنظمات اليهودية بالخروج في طوابير وبأزياء وشارات المنظمة الصهيونية تتقدمهم في بعض الأحيان فرقة موسيقية حديثة .
أسست إيطاليا في السنوات الأخيرة من حكمها (مدرسة طبية لعلاج الأطفال المصابين بمرض التراكوما. وكانت هذه المدرسة تقبل الأطفال المقيدين بالمدارس اليهودية والإيطالية فقط بمدينة طرابلس، كما أنشىء قسم مماثل ملحق بإحدى مدارس اليهود في بنغازي . »[2]
وفي ظل العطف الإيطالي على اليهود حاول هؤلاء بدورهم تحسين وضعهم، فقد « تمكن الكثير منهم من الحصول على شهادات عليا من جامعات إيطاليا أو الجامعات الأوربية والأمريكية في مختلف العلوم كالطب والهندسة والحقوق وغيرها مما ساعد على النهوض بطائفتهم اجتماعيا واقتصاديا وسياسية أيضا .» [3] وعندما تحسنت أحوالهم المعيشية انتقل الكثير منهم من أحيائهم الحقيرة بالحارتين الكبيرة والصغيرة داخل أسوار المدينة إلى الأحياء المشيدة خارجها وتملك بعضهم بساتين ومزارع قريبة من المدينة .
حاولت السلطات الإيطالية في طرابلس تشجيع اليهود على الاستقرار في المزارع والاشتغال بالزراعة، فقد جاء في تقرير نهائي عن سنتي 1929–1931م لمندوب الحكومة فوق العادة

---

(1) . بلدية طرابلس في مائة عام ، ص 222
(2) . جبريل ركاح ، مذكرات لارشيف العائلات اليهودية في ليبيا
(3) . نفس المرجع


موسوليني داخل الحي اليهودي 1937


المدرسة اليهودية بطرابلس 1930م

لدى الطائفة اليهودية بطرابلس، وعادة يكون هذا المندوب من اليهود ومتمتعا بالجنسية الإيطالية جاء فيه « أنه تقرر بالاتفاق مع الحاكم العام إنشاء مزرعة تضم عددا من الشبان اليهود لتدريبهم على أعمال الزرع والفلاحة. ووقع الاختيار على مزرعة بمنطقة عين زارة وتحمل رقم 190 كان يملكها السنيور سالفاتوري انكراسيا وتمت إجراءات البيع، ويصفها التقرير بأنها كانت ذات تربة خصبة غزيرة المياه الجوفية وقليلة العمق، يضاف إلى ذلك ثمنها وقربها من مدينة طرابلس، هذا في رأي الفنيين الذين زاروها، أما اليهود فقد كانوا على خلاف ذلك يرون أنها بعيدة عن المدينة وإن مياهها الجوفية عميقة يمكن أن تمتص كل أو معظم رصيد الصندوق. » [1]

لقد تحرك اليهود أثناء الاحتلال الإيطالي فعملوا على نشر المبادئ الصهيونية فيذكر جبريل ركاح أن « اسم رفائيل أربيب يحتل في تاريخ الصهيونية ذكرى المبشر بالصهيونية الطرابلسية، وقد بقى سنين عديدة المدير للأسبوعية الطرابلسية (دغل صهيون) [2] ومن بين الشخصيات اليهودية في طرابلس التي لعبت دوراً في دعم الصهيونية (روبرتو أربيب) وقد كان رئيسا لنادي ما كابي في طرابلس من عام 1925 إلى 1939م،« وإلى نشاط هذه الشخصية يجب أن نعزي التنظيم المتعلق بالسفر إلى أرض اسرائيل (في الحقيقة أرض فلسطين العربية) في مجموعة تشكلت من أربعين شابا رياضية رافقهم بنفسه شخصيا ومرنهم على الاشتراك في دورة ماكابي الثانية التي جرت في تل الربيع في شهر مارس 1935م » [3]

لقد لاحظ الزوار الأجانب موقف اليهود من الحكم الفاشستي الإيطالي.

فيذكر الرحالة (كنود هولمبو) أنه أثناء الاحتفال بافتتاح معرض طرابلس في السنة الثامنة من عهد موسولينى « ارتفعت أيدى الإيطاليين بالتحية حين مرت الرايات وارتفع معها الهتاف: عاشت إيطاليا وعاش موسولينى وأخذ رجال الشرطة يرمقون الناس محذرين فارتفعت ببطء أيدي العرب وكان اليهود قد سبقوهم إلى التحية بحماس غير أن العرب لم يشاركوا في الهتافات على الإطلاق . » [4]وعندما زار موسولينى طرابلس سنة 1937م دخل إلى الحي اليهودي حيث غطت أرض الحارة بالبسط واستقبل من طرفهم استقبالا حافلا وخطب رئيس الطائفة بين يديه فأشاد بالرعاية التي استظل بها اليهود تحت راية حكام إيطاليا بليبيا .

---

(1) . ينظر : بلدية طرابلس في مائة عام

(2) جابر بيل ركاح ، مذكرات الأرشيف العائلات اليهودية في ليبيا

(3) . المرجع السابق

(4) . المرجع السابق



إحدى المدارس اليهودية



صورة أرشيفية لبعض اليهود الليبيين

أما عن العلاقة بين العرب واليهود فقد « كان روح التعاون والثقة مسيطرين على كل العلاقات بين العرب واليهود قبل الاحتلال الإيطالي وبعده في جميع الميادين الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، فالتعايش في كنف المودة والاحترام المتبادل كان ظاهرة ملموسة غالبة في العواصم والمدن والقرى والبوادي, عندما قامت الحرب العالمية الثانية ساعد اليهود الحلفاء ولكون إيطاليا إحدى دول المحور فقد صدرت في روما قوانين وأنظمة ضد العنصر اليهودي « ولولا التساهل في التطبيق الذي لوحظ بليبيا لقضى على أكثر من بها من اليهود قضاء نهائيا ومع ذلك فان الصنف الثالث منهم وهم اليهود الأجانب ومن حصل على الجنسية الإيطالية بعد 1919م قد تعرضوا إما للطرد إذ لم يبق لهم الحق في الإقامة بالتراب الإيطالي والمستعمرات التابعة له وإما للنفى والاعتقال، وسخر الكثير منهم للخدمات وخاصة بعد انهزام إيطاليا على الحدود المصرية سنة 1940م بتهمة تعاونهم مع الحلفاء وقيامهم بنشاطات تخريبية .» [1]

يهود اطرابلس بعد الحرب العالمية الثانية :

عندما قامت الحرب العالمية الثانية انحاز اليهود لجانب الحلفاء لاسيما بعد الاجراءات القاسية التي اتخذتها إيطاليا ضدهم . وحينما دخلت قوات الحلفاء للأراضي الليبية رحب بها اليهود وهللوا لانتصارها فقد رأوا في هذه القوات تخليصا لهم من جور الإيطاليين لهم في المدة الأخيرة وقد ازداد فرحهم حينما شاهدوا فرقا يهودية بجانب قوات الحلفاء .

عندما تقاسم الحلفاء السيطرة على ليبيا وقعت طرابلس تحت الإدارة البريطانية وقد سارعت القوات البريطانية إلى إزالة الأسلاك الشائكة حول الأحياء اليهودية وأعادت لليهود الحرية والأمن فقد «مكنتهم من التمتع بكل حقوقهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وهكذا أرجعت دور التعليم إلى وظيفتها بعد أن أوصدت أبوابها، ومجالس الأحبار إلى سالف نشاطها، وتشكلت المجالس الطائفية من جديد بطرابلس وبنغازي . » [2]

استغل يهود ليبيا عطف الادارة البريطانية وحدبها عليهم فقاموا بايحاء من الفرقة اليهودية في الجيش البريطاني بتأسيس نواد صهيونية وفرق للكشافة اليهودية، وقد ارتفعت الأعلام والشعارات اليهودية بواجهات النوادي بمدينة طرابلس . كان تشجيع جنود الفرق اليهودية في الجيوش البريطانية ليهود ليبيا أثره الكبير في افساد العلاقات الودية التي كانت تربط

(1) . سامي حكيم ، ثورة ليبيا ، ص 208

(2) . محمد الحبيب بالخوجة ، يهود المغرب العربي ، ص 167



اجتماع بين الإنجليز والعرب واليهود لإنهاء العنف



طرابلس الغرب

فتوى شرعية

نصيحة دينية من مفتي ليبيا

إليكم اخواني المؤمنين سكان القطر الطرابلسي

نصيحة دينية من مفتي ليبيا.
إليكم اخواني المؤمنين سكان القطر الطرابلسي .

العرب باليهود. فقد أحيت هذه الفرق التعصب العنصري لدى اليهود وتعالي اليهود على أهالي البلاد وكان لظهور الفرق اليهودية بالشعارات الصهيونية وترديدها للأغاني والأناشيد الصهيونية أثره الكبير في انفجار الغضب لدى الأهالي وحدثت تصادمات بين الطرفين بتاريخ1945/11/4م، فانقضت جموع العرب على اليهود وشهدت المدينة القديمة بطرابلس خاصة التحاما داميا بين العرب واليهود « ولم ينته يوم 7 من نوفمبر 1945م، إلا وقد قتل 124 يهوديا وجرح 251، بينما بلغ عدد القتلي من العرب 5 والجرحى 49 . وأُلقي القبض على 864 شخصا ونفذ حكم الإعدام في اثنين من العرب وقدر التلف الذي أصاب الممتلكات الثابتة بما يزيد على 10 آلاف جنيه في حين بلغت خسائر البضائع وغيرها بنحو مليون جنية، وأصبح 1400 يهودي بلا مأوى . » [1]

وعقب هذه الحوادث حاول بعض الوطنيين إيقاف الأمر عند هذا الحد فاستنكروا تلك الأعمال ووجهوا « نداء من أجل السلام حرصوا فيه على التمسك بالعلاقات الطيبة العادية بين العرب واليهود، وأعلنوا أيضا مقتهم للعنصر الصهيوني وغضبهم من أجل ما يقوم به من تحديات واستفزازات لا يرجى من ورائها خير للساكنين بليبيا ولم يكتف الساسة الليبيون بهذا النداء في علاج الموقف والقضاء على الأساليب المثيرة للاضطربات والحوادث، بل اتبعوا ذلك بالاتجاه إلى الإدارة البريطانية مطالبين أولا: بإبعاد الفرقة العسكرية اليهودية من بنغازي وطرابلس وثانيا: بحل المنظمات الكشفية التي تولدت عنها وتأسست بإشارة وإيحاء منها .»[2]

غير أن الاضطرابات قد تجددت عندما أحس الشعب الليبي بأن الحلفاءلا يهتمون كثيراً بقضية بلاده، فقامت عدة مظاهرات في كل من برقة وطرابلس، بلغت ذروتها في يوم 4 فبراير سنة 1946م، حيث قامت في ذلك اليوم مظاهرة كبرى في مدينة طرابلس لنزول عدد كبير من الجنود الإسرائيليين التابعين للجيش البريطاني، وأخذوا ينشدون الأناشيد اليهودية، فثارت حفيظة الناس وحدثت حوادث مؤسفة، نتج عنها قتل عدد من اليهود وإحراق بعض مخازنهم فقبض البوليس على عدد كبير من المتظاهرين وسجنهم.

إن أهالي ليبيا لم ينووا باليهود شراً ولكنهم بقدر مودتهم لهم وعطفهم عليهم ورعايتهم للذمة التي بينهم والتي أوصى بها نبيهم ينتصبون لمقاومتهم ويعرضون بهم لألوان العذاب والعقاب

---

(1) . ينظر : بلدية طرابلس في مائة عام

(2) . حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص 257



بعض الحرفيين اليهود بطريق الحلقة بطرابلس.



احد السكان اليهود وبائع حليب يهودي يقود معيزه.

كلما نكثوا العهود أو غدروا أو انقلبوا عيونا للأعداء على المسلمين وأصبحوا صهاينة محاربين .

في سنة 1948م عندما أعلن قيام دولة اسرائيل في فلسطين العربية تحمس اليهود لها وهللوا فرحين فأثار هذا شعور الأهالي فحدثت مصادمات بين الطرفين وهاجر بعض اليهود إلى فلسطين « ولم يبق منهم بليبيا غير القليل ممن آثروا العيش بموطنهم الأصلي إما تعلقا به وإما هو الأكثر حماية وحفاظا على مصالحهم التجارية والاقتصادية، وبالفعل فإن هؤلاء وإن كانوا قلة لم يجدوا من العرب بقية هذا العهد إلا تعاونا ومودة كالذي كانوا عليه قبل وقوع الحوادث والاضطرابات.

إن الشعب في ليبيا لم يرفض بقاء اليهود في أرضه فقد آواهم قرونا طويلة وعاملهم معاملة حسنة كريمة وأكرم وفادتهم إلا أنه رفض الحركة الصهيونية التي أرادت أن توطن اليهود في برقة وتؤسس لهم فيها وطناً قوميا قبيل الاحتلال الإيطالي ولما لم يتحقق لهم ذلك اتجهوا بأنظارهم إلى فلسطين حيث استطاعوا لمّ شمل اليهود من جميع بقاع العالم وإنشاء دولة في أرض فلسطين العربية .

عندما أعلن قيام دويلة اسرائيل عام 1948م في أرض فلسطين العربية هلل لها يهود طرابلس وأعلنوا عن فرحتهم وتحمسوا للهجرة إلى فلسطين المحتلة وكانوا يرددون بعض الأغاني التي تشجع على الهجرة مثل « توتي كان جاك البابور يا تقعد في الحارة ادور ... وهذه الدولة اللي نبوها بن غوريون وتشرشل بوها » .

لقد كانت علاقة يهود ليبيا بالكيان الصهيوني في فلسطين المغتصبة علاقة وطيدة وقد سهلت بعض الحكومات الليبية وسائل الاتصال بين الطرفين أو تغاضت عن ذلك، بل أن اليهود كانوا يسافرون إليه عن طريق إيطاليا ثم يعودون إلى طرابلس ويجهرون بذلك . وقد أثارت هذا الموضوع صحيفة الدفاع لصاحبها المرحوم صالح مسعود بويصير وطالبت بوضع حد لهذا الاتصال المباشر

وبوضع حد لهذه التصرفات، وختمت مقالها بما يأتي : إننا نرجو أن تستيقظ الحكومة التي لا يداخلها إغفاء فتعير هذه المسالة جانبا مهما من عملها الحاسم وتصدر التشريعات الحازمة التي تمنع كل علاقة بإسرائيل تجارية أو سياسية أو مدنية فلا صلة ولا تجارة ولا بريد، وإن علاقة الشقيق بالعدو عدواة »، ورغم هذا النداء الذي توجهت به صحيفة الدفاع ورغم صيحات وغضب الشعب فإن الحكومة في ذلك الوقت لم تقم بواجبها بل سمحت

برسو باخرة يهودية لنقل اليهود الراغبين في الهجرة إلى أرض فلسطين المحتلة مع كافة حاجياتهم وجواهرهم مما حدا بأحد النواب إلى تقديم سؤال إلى مجلس النواب يوم 6 ديسمبر 1952م عن عمليات التهريب التي يقوم بها اليهود فجاء رد الحكومة على لسان وزير ماليتها في الجلسة السابعة المعقودة يوم 15 ديسمبر بما يلي :

« يشير حضرة النائب المحترم كما اعتقد إلى المحاولات التي بذلها المهاجرون لتهريب البضائع والأشياء الممنوعة إلى خارج البلاد عند مغادرتهم لها في الشهر الماضي من العام الحالي، وقد تلقينا من بوليس ولاية طرابلس الغرب معلومات مفادها أن المهاجرين اليهود الذين سافروا إلى اسرائيل حاولوا إخفاء كميات كبيرة من الأشياء الممنوعة وحاولوا كذلك تهريب الأمتعة والأثاث، وكنتيجة لهذه المحاولات فقد عملت مصلحة الجمارك على تطبيق الإجراءات المتبعة في مثل هذه الحالات وقامت بنقل الأمتعة والأثاث إلى عنبر حجز البضائع في مصلحة الجمارك لإعادة تفتيشها، ونقلت إلى مخازن الحكومة جميع الأمتعة والمنقولات بما في ذلك الأشياء التي نقلت إلى الباخرة لشحنها والأشياء التي حملت إلى الصنادل الراسية بالقرب من الباخرة لشحنها، وقبل القيام بهذه العمليات أجرى أحد موظفي الجمارك تفتيشا جزئيا على هذه الأجزاء وإلى الآن لم نتعرف على المسئولين عن هذا الأهمال، وأن نية الحكومة متجهة إلى تشكيل لجنة للتحقيق في هذا الحادث وموافاة المجلس بنتائجه . » [1]وقد أثير هذا الموضوع ثانية يوم 5 من يوليو 1953م بمجلس النواب وتلقى النواب من الحكومة نفس الرد السابق على لسان وزير المالية.

لقد تعاون رجال العهد الملكي مع اليهود وسهلوا لهم الأمور في جمع الأموال وتستروا عليهم، بل أنهم سمحوا باستمرار نشاط نادي المكابي الصهيوني بطرابلس ولقد ناقش مجلس النواب في اجتماعه يوم 5 أبريل 1953م استجوابا حول المؤسسات الأجنبية الموجودة في ليبيا والتي لها خطورتها وفي مقدمتها نادي المكابي الصهيوني بطرابلس الذي كان يرفع إلى مدة قريبة العلم الإسرائيلي والذي يعتبر همزة الوصل في هجرة اليهود إلى إسرائيل، وطالب أعضاء المجلس إغلاق هذا النادي لما له من نشاطات صهيونية معادية للأمة العربية. كان رد الحكومة على مطلب بعض النواب انكار وجود نادٍ صهيوني في طرابلس وقد أصر الأعضاء على ضرورة اغلاق نادي المكابي بأسرع وقت ممكن وأن يصدر المجلس قرارا بذلك. وهنا تدخل إبراهيم بن شعبان وزير المعارف وقال: « ليس من حق المجلس أن يتخذ

(1). سامي الحكيم ، حقيقة ليبيا ، ص 307

قرارا لأن الحكومة لا يمكنها أن تنفذه، بل يجب أن يكتفى بتوصية تحيلها الحكومة إلى سلطات ولاية طرابلس». وتجاهل الوزير في إجابته اختصاصات الحكومة الإتحادية التي يمثلها لأن تنظيم الأندية والمؤسسات يدخل في اختصاصات هذه الحكومة، وإذا كان مجلس النواب لا يستطيع أن ينفذ قراراً وافق عليه الأعضاء فليس هناك ما يدعو إلى بقائه .[1]

وقد اصدر المجلس قرارا بأن تعمل الحكومة على إغلاق أية مؤسسة يخشى منها على كيان الدولة الليبية وفي مقدمتها نادي المكابي، ورغم هذا القرار فإن نادي المكابي استمر لعدة أشهر مفتوحاً حتى حدثت حادثة وصول أحد النواب الصهيونيين إلى طرابلس وقصد نادي المكابي حيث اجتمع ببعض اليهود ثم غادر البلاد، وقد أثار هذا الموضوع في مجلس النواب النائب صالح مسعود بويصير في الجلسة الواحدة والأربعين المعقودة يوم 17 نوفمبر 1953م . وكان رد الحكومة بأن هذا الاسرائيلي قد منع من مغادرة إحدى السفن الراسية بميناء طرابلس إلا أنه تسلل بطريقة غير مشروعه، عندئذ تحرك والي طرابلس وأصدر بتاريخ 16 ديسمبر 1953م أمراً بإغلاق نادي المكابي.

ولولا هذا الحادث الذي لفت الانتباه ونشر في إحدى الصحف المحلية لبقى النادي يزاول نشاطه الصهيوني « ومن الراجح أن المسئولين في الحكومات المتعاقبة كانوا يساهمون مع الجالية اليهودية في كثير من ألوان النشاط الاقتصادي، وهذا ما يفسر لنا تجاهلهم للقضية الفلسطينية. ولا يتمثل هذا التجاهل في إغماض العين عن نشاط اليهود داخل ليبيا بل امتد إلى قضايا أخرى من ذلك مثلا مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين، فقد أخذ على الحكومة الليبية أنها قبلت مشروعاً لوكالة غوث اللاجئين يقضي بتوطين عدد منهم في ليبيا على أن تتحمل الوكالة نفقات هذا التوطين التي قدرت بمليون جنيه، ولما استجوبت الحكومة عن هذا الموقف الذي يتنافى مع السياسة العربية العامة التي تعارض توطين اللاجئين في أراضيها حفاظا على الكيان الفلسطيني، بنت ردها على أساس أن المشروع لا يكلف شيئاً ومرة أخرى اختفت تحت ستار النظام الفيدرالي وادعت أن حكومات الولايات هي المختصة بعقد الاتفاقيات مع وكالة غوث اللاجئين .»[2]

وتهاونت الحكومات المتعاقبة في الموافقة على قانون مقاطعة إسرائيل في الفترة ما بين 1952م إلى منتصف 1956م، فلم يحظ القانون بالموافقة إلا في 2 مايو 1956م ومع ذلك فقد حدث تساهل في التطبيق، فقد كانت قاعدة الملاحة الأمريكية بطرابلس نافذة لدخول

---

(1) . المرجع السابق ، ص . ص 304 . 305

(2) . صلاح العقاد ، ليبيا المعاصرة ، ص 130

البضائع المصنعة في فلسطين المحتلة إلى الأراضي الليبية، وعندما انعقد مؤتمر مقاطعة إسرائيل في طرابلس الغرب سنة 1960م خف إلى طرابلس عن طريق مطار الملاحة بعض غلاة الصهيونيين الذين حملوا التجار اليهود على الإضراب احتجاجا على عقد هذا المؤتمر، بل أن هؤلاء المحرضين ركبوا سيارة عليها العلم الاسرائيلي وطافوا بالمدينة، ثم عادوا ثانية إلى المطار المذكور، وتسربت أيضاً عن هذا المطار الأمريكي (سابقا) في عام 1964م عصابة صهيونية قتلت اليهودي (ناحوم) في مكتبه لإثارة الفوضى والشغب في البلاد بعد أن تعالت في الأرجاء المطالب الشعبية بإلغاء المعاهدات الأجنبية وتصفية القواعد العسكرية.» [1]

ورغم الأعمال التي قام بها اليهود فإن هؤلاء قد وجدوا في رجال العهد الملكي سندا قويا لهم، « بل أن الملك السابق إدريس، عين الدكتور اليهودي شمعون منشه كطبيب خاص له وكان عمله أكثر من طبيب صديق ورفيق. كما أن الطبيب الألماني الذي رافق إدريس منذ الاستقلال حتى طردته الثورة كان يهوديا من ألمانيا اسمه باركر. [2]في يونيو 1967م عندما شنت إسرائيل عدوانها الأثم على البلاد العربية تجاوبت جماهير الشعب الليبي وخرجت في مظاهرات كبيرة احتجاجا على العدوان وصبت جام نقمتها على اليهود وقد حمت السلطات الليبية اليهود فحجزتهم في أماكن أمنية وسمحت لهم بمغادرة البلاد وبقى منهم عدد قليل.

وبعد سنة 1969م أصدرت الحكومة الليبية ثلاثة قوانين نصت فيها على ضم أملاك اليهود الذين غادروا البلاد وتصرفوا تصرفات مريبة، وبذلك آلت إلى الدولة بموجب هذه القوانين جميع ممتلكات 2073 يهوديا، ومع ذلك فإن الدولة قد ساعدت اليهود المقيمين في البلاد وأعطت العجزة منهم المساعدات الاجتماعية كأي مواطن عربي.

وقد صرح العقيد معمر القذافي (رئيس مجلس قيادة الثورة) في الندوة التي عقدها في باريس بتاريخ 24 نوفمبر 1973م بقوله : « قبل 1948م كان اليهود يعيشون في فلسطين ويعيشون في البلاد العربية، وأنا أدعو دول العالم في هذه المناسبة أن تسحب مواطنيها والجمهورية العربية الليبية تفتح أراضيها لليهود العرب واليهود الليبيين الذين هاجروا من تلقاء أنفسهم إلى فلسطين أن يعودوا وينالوا حقوقهم المتساوية مع الليبيين ».

وقال كذلك : « أنا أدعو إلى حرية الإنسان وفتحت بلادي لليهود الذين يريدون العيش بها واليهود الذين يعيشون في بلادي والعاجزين عن العمل الآن يتلقون المساعدات الاجتماعية من الدولة الليبية ».

---

(1) . سامي الحكيم ، حقيقة ليبيا ، ص 210

(2) . المرجع السابق ، نفس الصفحة

المراجع :

1. بالخوجة، محمد الحبيب، يهود المغرب العربي، القاهرة : منشورات الجامعة العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية 1973م .
2. بعيو، مصطفى عبدالله، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1972م .
3. بلدية طرابلس، بلدية طرابلس في مائة عام ، 1972م .
4. حكيم، سامي، ثورة ليبيا، طرابلس : مكتبة الفرجاني، الطبعة الأولى 1971م .
5. حكيم، سامي، حقيقة ليبيا، القاهرة : مطبعة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى 1968م
6. هولمبو، كنود، رحلة في الصحراء الليبية، طرابلس : مكتبة الفرجاني ، 1969م.
7. ركاح، جابريل، مذكرات لارشيف العائلات اليهود في ليبيا، فيرنسي 1938(باللغة الإيطالية) .
8. الشيخ، رأفت، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، بنغازي : دار التنمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1972م .
9. محمود، حسن سليمان، ليبيا بين الماضي والحاضر، القاهرة : مؤسسة سجل العرب، سلسلة الألف كتاب .
10. العقاد، صلاح، ليبيا المعاصرة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية 1970م .





الفصل الثاني : الرحالة واطرابلس



منظر عام لطرابلس، رسمه لانسلوت، تظهر فيه بعض معالم اطرابلس، في عام 1860م

مدينة اطرابلس عند الجغرافيين والرحالة العرب*

تعتبر مدينة طرابلس الغرب من المدن القديمة التي أسسها الفينيقيون في الألف الأولى قبل الميلاد، وقد ظلت تابعة للمدينة الفينيقية قرطاجة في تونس من القرن السادس إلى حين سقوطها سنة 146ق.م وأصبحت تابعة للدولة النوميدية حتى احتلها الرومان سنة 46 قبل الميلاد، وظل الرومان يحكمونها من هذا التاريخ إلى أن سقطت في يد الوندال سنة 439 م، وفي سنة 534 م تمكن البيزنطيون من الإستيلاء عليها وظلت خاضعة لحكمهم إلى أن تمكن القائد العربي عمرو بن العاص من فتحها سنة 22هـ / 643 م، وهذه السنة نعتبر نقطة تحول حاسمة في تاريخ طرابلس إذ جاء العرب المسلمون ينشرون مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية وأصبحت طرابلس أحد الرباطات التي انطلق منها العرب المسلمون لفتح باقي الشمال الأفريقي .

ونذكر هنا أن الاسم العربي الصحيح لمدينة طرابلس هو (اطرابلس) فهذا هو الاسم الذي سميت به منذ سنة 22هـ أول ما فتحها العرب فقد جاء في جواب عمرو بن العاص الذي كتبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة بعد أن فتح شروس عاصمة جبل نفوسة إذ ذاك قوله (إن الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين افريقية إلا تسعة أيام ...) كما ذكرها الكثير من الكتاب والرحالة العرب القدماء باسم (اطرابلس) إلا أنه مع استمرار الزمن حذفت الألف وبقيت طرابلس وقد عنى بالكتابة عن مدينة طرابلس الكثير من الكتاب والرحالة العرب الذين زاروا المدينة .

ففي كتاب البلدان لليعقوبي وصف المدينة في القرن الثالث الهجري بقوله (أطرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهله) . وذكرها كل من خرداذبه في كتابه المسالك والممالك، وقدامه في كتابه الخراج، والكرخي في كتابه المسالك والممالك، أما ابن حوقل فقد وصفها في القرن الرابع الهجري في كتابه صورة الأرض بقوله « فأما اطرابلس فكانت قديماً من عمل إفريقية ... وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض. على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة، ذات ربض صالحة الأسواق، وكان لها في ربضها أسواق كبيرة فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور، وهي ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع والبادية ..

وأهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والأحوال، متميزون بالتجمل

---

* . نشر بمجلة الثقافة العربية ، العدد 12 ، السنة 2 ، يسمبر 1975م .

في اللباس وحسن الصور والقصد في المعاش، إلى مروءات ظاهرة وعشرة حسنة ورحمة مستفاضة ونيات جميلة، إلى مراء لا يفتر وعقول مستوية وصحة نية ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان سديد، ورباطات كثيرة ومحبة للغريب أثيرة ذائعة، ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيهم أهل بلد، إذا وردت المراكب ميناهم عرضت لهم دائما الريح البحرية فيشتد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء، فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين، فيقيد المركب ويرسى به في أسرع وقت بغير كلفة لأحد ولا غرامة حبة ولا جزاء بمثقال»، كما وصفها المقدسي في نفس القرن في كتابة أحسن التقاسيم بقوله « واطرابلس كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل، لها باب البحر وباب الشرق وباب الغرب، شربهم من آبار وماء مطر كثيرة الفواكه والانجاص والتفاح والألبان والعسل واسمها كبير» .

أما البكري صاحب كتاب المسالك والممالك فيصف المدينة وأهلها، أواخر القرن الخامس الهجري بقوله « فإن أهل طرابلس أحسن خلق الله معاشرة وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب ... وتسمى مدينة اطرابلس أيضاً مدينة أناس، وعلى مدينة أطرابلس سور صخر جليل البنيان وهي على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، ولها أسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة، وبأطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود ... وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون، أعمرها وأشهرها مسجد الشعاب، ومرساها مأمون من أكثر الرياح».

وفي منتصف القرن السادس الهجري فقد وصف الإدريسي مدينة طرابلس في كتابه نزهة المشتاق بقوله « ومدينة أطرابلس مدينة محصينة عليها سور وحجارة، وهي في نحر البحر بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق وبها صناع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميع جهاتها كثيرة شجر التين والزيتون وبها فواكه جمة ونخل إلا أن العرب أضرت بها وبما كانت حولها من ذلك وأجلت أهلها، وأخلت بواديها وغيرت أحوالها، وأبادت أشجارها، وغورت مياهها، واستفتحتها الملك رجار في سنة 540هـ فسبى حرمها، وأفنى رجالها وهي الآن في طاعته، ومعدودة في جملة بلاده، وأرض مدينة أطرابلس عديمة المنال في إصابة الزرع ولا يدري أن على معمور الأرض مثلها في ذلك وهذا مشهور معلوم».

نلاحظ أن الإدريسي قد أشار إلى أن العرب أضرت بالمدينة وبما حولها وهو يقصد هنا هجرة قبائل بني سليم وبني هلال إلى أفريقية الشمالية، وكان حدوث هذه الهجرة نتيجة للصراع بين الفاطميين الشيعيين والزيريين حكام المغرب السنيين الدين انحازوا إلى الخلافة العباسية

فقد أراد الخليفة الفاطمي القضاء على حكم أسرة بني زيري في المغرب فشجع تلك القبائل على الهجرة إلى شمال أفريقية وحثهم على القضاء على المعز بن بلكين، ولقد أضرت هذه الهجرة بمدينة طرابلس وذلك لما أحدثه المهاجرون من تخريب إلا أنها كانت ذات نفع كبير إذ أنها جلبت إلى المغرب عنصراً قوياً وكبيراً من العرب الذين كان لهم أثر واضح في تعديل التكوين السلالي والوضع اللغوي في المنطقة، وقد هز هذا العنصر الوافد العنصر البربري الغالب بل قضى عليه في بعض الأحيان، وأثر تأثيراً واضحاً في النظام السياسي للمنطقة .

أما ملك صقلية الذي استولى على طرابلس سنة 540هـ ، فقد استمرت المدينة تابعة له حتى سنة 553هـ، التي قام فيها أهل البلد بثورة على حكمة واستطاعوا طرد الحامية التي بها، وأعلن الأهالي الاعتراف بسيادة الموحدين .

أما صاحب كتاب الاستبصار في القرن السادس الهجري فيقول عن مدينة أطرابلس :« فأول مدن أفريقية على الساحل مدينة أطرابلس، وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، والبحر يضرب في سورها، وسورها من حجر جليل من صنعة الأولين، وقيل أن تفسير أطرابلس 3 مدن، وقيل مدينة اياس، وبها سوق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين في شرقها، وهي كثيرة الفواكه جمة الخيرات، وأكثر أهلها تجار يسافرون براً وبحراً، ولهم سمح في تجاراتهم، وهم أحسن الناس معاملة ... وداخل أسوارها بئر يعرف ببئر أبي الكنود، ويقال أنه من شرب منه يحمق فهم يعيرون به، يقال للرجل منهم إذا أتي بما يلام عليه : لا عتب عليك لأنك شربت من بئر أبي كنود ».

يذكر الطاهر أحمد الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية بأن مدينة اطرابلس في العهد التركي سميت(طرابلس الغرب) لأن الترك كانوا يحتلون طرابلس الشام فاضطروا إلى أن يضيفوها إلى الغرب تمييزاً بين البلدين، أما قبل العهد التركي فكانت تسمى طرابلس بدون إضافتها إلى الغرب » ، إلا أننا نلاحظ أن ياقوت الحموي في معجم البلدان في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي يضيف صفة الغرب إلى طرابلس في عدة مواضع في كتابه وهذا يخالف ما ذكره الأستاذ الطاهر الزاوي في كتابة المذكور.

في أواخر القرن السابع الهجري وصف القزويني مدينة طرابلس في كتابه آثار البلاد وصفا نقله عن الكتاب السابقين له ولم يأت بأي جديد في وصفها. إلا أن الرحالة ابن رشيد السبتي الذي قام برحلته في أواخر القرن السابع الهجري (685هـ) وزار خلالها مدينة طرابلس فيصفها بقوله « فرأينا بلداً حسناً وناساً فضلاء ... وبها مدينة حسنة الوضع رائعة الصنع

والمدينة بجملتها حسنة البناء متسعة الشوارع حتى كأنها تحاكي شيئاً من وضع الإسكندرية اجتزت تلك الليلة التي أقمنا بها، بعد المغرب، بشارعها الأكبر، ولم أكن عرفت المدينة فنفحني نسيم عاطر كأنه باكرة ماطر، فخلت نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل، فالتفت نحو تضوعه متنشقاً ذلك النسيم، وعهدي بالمتنسم العطر عهد قديم، فألفيت عن يسار المار باباً شارعاً، لما حوله من الأبواب فارغاً، فتوقفت انتشق ذلك العرف إلى أن تعرفت أنها مدرسة فأقدمت على الدخول تحكيماً في الأذن للعرف، فوافيت وسطها روضة مخصلة من خيري أحمر، قد استوى على سوقه، وناصي بعضه بعضاً بسوقه، وقد علل بالسقى شجره فأينع وتفتح زهره فاستكمل واستجمع، فأقمت بها ساعة أتعلل بذلك النسيم. » .

وابن رشيد لم يذكر اسم المدرسة ولا موقعها في المدينة ولعل المدرسة هي المستنصرية التي تحدث عنها الرحالة التجاني، أما الرحالة العبدري الذي قام بزيارة طرابلس أثناء رحلته التي بدأها سنة 688هـ من المغرب فإنه يتحامل على المدينة وأهلها ويصفها بصفات تخالف وصف الكتاب والرحالة الذين زاروا المدينة قبله وبعده فيقول العبدري في رحلته « ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس، وهي للجهل مأتم وما للعلم بها من غرس، أقفرت ظاهراً وباطناً وذمها الخبير بها سائراً وقاطناً، تلمع لقاصدها لمعان البرق الخلب، وتريه ظاهراً مشرقاً والباطن قد قطب، اكتنفها البحر والقفر، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر، ولا ترى بها شجراً ولا ثمراً، ولا تخوض في أرجائها حوضاً ولا نهراً، ولا تجتلي روضاً يحوى نوراً ولا زهراً .... هي أقفر من جوف حمار وأهلها سواسية كأسنان الحمار، ليس على ناشئ منهم فضل لدى شيبة، ولا لدي الفضل بينهم وهيبة، ترى أجسامنا حاضرة والعقول في عقل غيابات الغيبة، ملابس يلبسها ليلبس بها من ملأ من العيون العيبة إلى بخل لو مازج ماء البحر جمد، وخالط الهواء سكن في آذار ركد...»، ولم يثن العبدري إلا على مبنى الجامع والمدرسة وقوس ماركوس أوريليوس فيقول : « ولم أر بها ما يروق العيون، وسما عن أن يقوم بالدون، سوى جامعها ومدرستها فإن لهما حسن الصورة نصيباً، ومن اتقان الصنعة سهماً مصيباً، مارأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة ...ولم أر باطرابلس أثر عناية سوى ما تقدم ذكره إلا قبة باب البحر من بناء الأوائل في غاية الاتقان وآية الأحكام مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم، منقوشة بأحسن النقش مرصوفة بأعجب الرصف..» .

ترى ما الذي دفع الرحالة العبدري ليتحامل على المدينة وأهلها ؟

لقد حاول ابن عبد السلام الناصري أن يدافع عن طرابلس، ضد تحامل العبدري، ملتمساً لها الأعذار في الظروف التاريخية غاية ما يجاب به عن العبدري أنه أثر بعض الفتوحات دخلها قبل أن يقوى ساعد أهل الإسلام فيها، فكانت إذ ذاك ما به من حال على أن الرجل قد يرد البلد على جناح طائر على ما أعلم حال الركاب فلا يشفى من خبرها .وكان الناصري هذا قد مر بطرابلس في رحلته إلى الحج 1211هـ، وقد تحمس لها ودافع عنها. والحقيقة أن الفترة التي زار العبدري خلالها طرابلس كانت فترة اضطرابات وفتن وثورات فقد حاول أحد امراء الموحدين ويدعى عثمان وهو ابن أبي دبوس آخر امراء الموحدين استعادت ملكة الذي أفل، وكان عثمان هذا ضيفاً على ملك أراغون في برشلونة فقدم الأراغون سفناً وجنوداً وأطلقوا سراح قائد عربي يدعى مرغم بن صابر وكان أسيراً بصقلية وبعثوه رفقة عثمان الذي وصل إلى طرابلس، وحاولا الاستيلاء على المدينة بواسطة المسيحيين والعرب الذين جمعهم مرغم (588هـ)، 1289-1290م ولكنهما فشلا في هذه المحاولة، وتخليا عن الحصار ورجعت السفن بعد أن أنزلت عثمان ومرغم بسواحل طرابلس، حيث أخذا يجوبان المنطقة ويجمعان الخراج من الأهالي وبهذه الطريقة جمعا المال اللازم لدفع أجرة المسيحيين لقاء المساعدة التي قدموها لهما .

أما الرحالة التجاني الذي زار مدينة طرابلس أثناء رحلته في البلاد التونسية وطرابلس من سنة 706هـ إلى سنة 708هـ فإنه يصفها بقوله « ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يغشى الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء وخرج جميع أهلها مظهرين الاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء وتخلي والي البلد إذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها، ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الخراب تمكن منها، وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن إنما استخرجت منها، ولها رحبتان متسعان وفي الخارج منها المسجد المعروف في القديم بمسجد العشرة لأن عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها فلما تملكوها ارتفع ذلك الاسم، وزال عن المسجد ذلك الاسم .

ويصف التجاني حمامات طرابلس فيقول « ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حماماً صغير الساحة إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها، وهو الآن محبس على بعض المساجد، وبالبلد حمامان آخران غيره إلا أنهما في الحسن دونه.





أحدى أزقة مدينة اطرابلس القديمة



المدينة القديمة اطرابلس من الاعلي

ثم يصف شوارع مدينة طرابلس بقوله « فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعاً واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولا وعرضاً من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية ».

ويصف أسوار طرابلس بقوله « ورأيت بسورها من الاعتناء، واحتفال البناء، ما لم أره بمدينة سواها، وسبب ذلك أن لأهلها حظاً من مجباها، يصرفونه في رم سورها وما تحتاج إليه من مهم أمورها، فهم لا يزالون أبداً يجددون البناء فيه» ، ويتحدث التجاني عن أسوار المدينة فيقول « واحتوى عمرو على المدينة فهدم سورها، وارتحل عنها ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبدالرحمن بن حبيب المتغلب على أفريقية في آخر دولة بنى أمية سنة اثنين وثلاثين ومائة، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى ولاية هرثمة بن أعين على أفريقية من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذي ابتناه على يد ثقته زكرياء بن قادم، ثم زاد في إتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معاً أبو الفتح زيان الصقلبي متولى طرابلس عام خمسة وأربعين وثلاثمائة . ويحيط بهذا السور الآن فصيل آخر أقصر منه على العادة في ذلك يسمونه الستارة ولم يكن في القديم وإنما أمر ببنائه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان من سنة أربع عشرة وستمائة رأت هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبدالله، ولم يصلوا الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس « . ويشير أن أهالي طرابلس معتنين بترميم أسوار المدينة ويصرفون جزءاً من مجباها عليها وهم دائما ما يجددون البناء فيها ،وعدد أبوب المدينة ومنها الباب الأخضر وباب ستارة ويسمى أيضا باب عبدالله (وهو يطابق باب المنشية) ثم باب هوارة وهو بالسور القديم ثم باب البحر وهو الذي يؤدي إلى الميناء.

وذكر التجاني أهم مساجد طرابلس وهي مسجد عمرو بن العاص ومسجد العشرة مقابل القصبة ومسجد الشعاب وهو خارج المدينة ناحية الشرق على البحر ومنها المسجد المعروف بالجدود ويعرف أيضاً بمسجد الجدة لأن إحدى جدات بنى الأغلب ولاة أفريقية بنته والجامع الأعظم (جامع الناقة) الذي بناه بنو عبيد ومسجد المجاز وذكر بأن مساجد البلد لا تحصى كثرة وهي تكاد تناهز الدور عدة .

وقد زار هذه الرحالة بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي محمد عبدالوهاب القيسي وكان أهل طرابلس يعظمونه كثيراً ويحتمل أن المسجد الحالي الموجود بباب البحر لم يكن قائما في عهد التجاني وإلا لوجب أن يتحدث عنه كمسجد لا كضريح



منظر لجزء من القلعة والميناء

ويذكر الخروبي من القرن السادس عشر المسجد ، ويحكى عن الشيخ عبد الوهاب القيسي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامة نحو أربعمائة مرة، وأنه كان يشاور النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل إلا بإشارته. ومصلى البلد وهو الذي تقام فيه صلاتا العيدين كان يوجد عند زيارة التجاني جانب البلد بين جنوب وشرق منه، أما المصلى القديم فقد كان في الجانب الغربي وقد بناه عبدالله بن أبي مسلم وخليل بن إسحاق سنة ثلاثمائة وموضع المصلى القديم يعرف في عهد التجاني بالعيون سمى بذلك لأن هنالك عيوناً وماء عذبا ينصرف ماؤها إلى البحر ويرجح ايتوري روسي أن يكون هذا الموضع هو المكان الواقع غربي طرابلس بين السور والمقبرة اليهودية وما يزال يعرف بالعيون بسبب المياه النابعة من الأرض المنصرفة إلى البحر .

وأشار التجاني في رحلته إلى المدرسة المستنصرية ويذكر أن بناءها كان على يد الفقيه أبي محمد عبدالحميد بن أبي البركات ابن أبي الدنيا، وذلك بين سنتي 655 ـ 658هـ ، وهي تقع بالقرب من القوس الروماني ووصفها بقوله « من أحسن المدارس وضعاً وأظرفها صنعاً» وقد تم دمارها في القرن السادس عشر، كما وصف التجاني القوس الروماني وذكر بعض الشيوخ والعلماء الذين كانوا في المدينة، وقد لاحظ الرحالة التيجاني في ضواحي طرابلس كثرة المحارس والمساجد وذكر أن هذه المحارس تقع في المرتفعات الحصينة وهو تصلح لمراقبة الأعداء الزاحفين عن طريق البر والبحر وينسب بناؤها إلى الأغالبة (القرن العاشر الميلادي) الذين شيدوها على طول سواحل أفريقية والمغرب ويلحق بها في العادة مسجد وقد زالت عنها فيما بعد الوظيفة الدفاعية لتصبح مجرد أماكن للعبادة .

يشير ابن بطوطة في رحلته أنه قد بقى مدة بمدينة طرابلس وكان قد عقد بصفاقس على بنت لبعض أمناء تونس فبنى عليها بطرابلس وكان تلك سنة 726هـ . ولم يُعطنا وصفاً لها .

أما الرحالة العياشي فيصف مدينة طرابلس في أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بقوله « وهي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة ونكايتها للعدو شهيرة ومآثرها جليلة، ومعايبها قليلة، أنيقة البناء فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة الأدوار واسعة طرقها، سهل طروقها، إلى ما جمع لأهلها من زكاء الأوصاف، جميل الأنصاف وسماحة على المعتاد زائدة، وعلى المتعافين على أنواع المبرة عائدة، لا تكاد تسمع من واحد من أهلها لغواً إلا سلاماً ولو لمن استحق ملاماً، سيما مع الحجاج الواردين ومن انتسب إلى الخير من الفقراء العابدين، فإنهم يبالغون في إكرامهم، ولا يألون جهدا في إفضالهم عليهم وإنعامهم، ولهذه

المدينة بابان : باب إلى البر وباب إلى البحر، لأن البحر يحيط بكثير من جهاتها والحصن الذي فيه الأمير متصل بالمدينة من باب البر، بينه وبين البحر .

وذكر العياشي في رحلته أفاضل أهل طرابلس وعلمائها ممن لقيه ووصف مراكب الجهاد التي أعدها الوالي للجهاد ضد المسيحيين، وأثنى عليه لجهاده وحسن معاملته للحجاج وترفقه بهم، كما أثنى العياشي على أهل مدينة طرابلس وسماحتهم وحسن خلقهم وحسن تعاملهم مع الحجاج وتزويدهم بما يحتاجونه من زاد .

ويذكر العياشي أنه نزل في غرفة علوية على باب المسجد المسمى بجامع الحاج إبراهيم بأقصى المدينة قرب ضريح الولي سيدي سالم المشاط، ويذكر بأنه كانت في مدينة طرابلس فيما مضى « مزارات كثيرة لكثير من أكابر الصالحين ولا يعرف منهم الآن إلا قليل كسيدي سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة وقبره يزار» ، ويذكر السبب في اختفاء كثير من قبور الصالحين مرجعه إلى أن البلد قد تداولته أيدى المسلمين والنصارى مراراً عديدة .

أما الرحالة الحشائشي الذي زار طرابلس 1313هـ / 1895م، وألف عن رحلته كتاباً أسماه(جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) ، فقد استعرض في كتابه تاريخ المدينة وما بها من علماء وقد استند في ذلك لنصوص نقلها من الرحالة العرب السابقين وخاصة الرحالة التجاني .

ويذكر الحشائشي عن أهل طرابلس أنهم لا يميلون إلى الغرباء في أول الأمر إلا أنهم بعد ذلك إذا عاشروا الغريب أكرموه واعتبروه كأنفسهم وأورد بيتين من الشعر للفقيه أبي الحسن :

لأهل طرابلس عادة ... من البر تنسى الغريب الحميما

حللت بها مكرها ثم إذ ... أقمت بها أبدلوا الهاء ميما

ويصف طرابلس بقوله « والبلد القديم بناؤه على الشكل العربي المعروف عندنا بتونس إلا أماكن الافرنج فإنها على الشكل الأورباوي » ، ويصف نعيم وخيرات طرابلس بقوله « أما لحوم البلد وفواكهها وغلاتها فجميعها طيبة، وفيها من كل ما خلق الله لعباده من أصناف النعم بثمن متهاون »، ويذكر الحشائشي الحامية العسكرية التركية في طرابلس، يصف حالة مرساها وذكر ما تستورده المدينة وما تصدره دول أوروبا .

ويعطي نبذة عن تاريخ ابتداء الحرب بين الطليان والعثمانيين وأسبابها، إن مدينة طرابلس

القديمة التي ذكرها الرحالة السابقون وغيرهم تمثل تاريخاً وتراثاً، فهي بمعالمها إرثاً وطنياً يجب العناية به والحفاظ عليه.

وهنا نورد ما كتبه المهندس الإيطالي ميسانا في كتابه المعمار الإسلامي في ليبيا عن مدينة طرابلس القديمة حيث يقول « وتدل ملامحها الحالية على أنها ملامح مدينة عربية عتيقة قد أجرى الأتراك فيها بعض التوسيعات لخلق سوق الترك ولإحداث سوق المشير وغيرهما وما تبع ذلك من أعمال لإنشاء وإعادة تعمير البيوت والحوانيت والفنادق والأسواق والمساجد والتحصينات الدفاعية ... الخ.



جانب من السراي الحمراء في الفترة العثمانية

وفي عهد أقرب بدأت تتخلل كتلة المدينة القديمة عمارات سكنية على النمط الأوروبي.

وعلى أية حال فإن التعديلات التي أحدثها الأتراك في المدينة لم تغير من جوهر طابعها العربي، أو بالأحرى لم تنل من مميزاتها الإسلامية الشرقية، وذلك لأن تصورات تخطيط المدن العثمانية تشبه إلى حد بعيد تصورات تنظيم المدن في ربوع المغرب الإسلامي ».

مصادر والمراجع : .

1. ابن حوقل ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
2. المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة الخياط .
3. التجاني ، رحلة التجاني ، قدم لها حسن حسنى عبدالوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، 1958م .
4. الحشائشي ، رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) ، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي ، طبعة أولى ، 1975م ، بيروت .
5. محمد نجم ، إحسان عباس ، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، مطابع دار صادر ، 1388هـ / 1968م .
6. الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، الطبعة الأولى 1968م .
7. الدكتور المهندس غاسبري ميسانا ، المعمار الإسلامي في ليبيا ، تعريب علي الصادق حسنين ، الناشر مصطفى العجيلي .
8. ايتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، تعريب وتقديم خليفة التليسي، الطبعة الأولى 1394هـ / 1974م ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
9. خليفة التليسي ، مقال طرابلس كما يصفها الرحالة الذين مروا بها في العهد القرمانلي نشر في جريدة الاسبوع الثقافي ، العدد 128 .



السلطان العثماني مراد الثالث

اطرابلس والنفحة المسكية*

بين أيدينا كتاب ألفه الحسن علي بن محمد الجزولي التمجروتي أسماه (النفحة المسكية في السفارة التركية) دون فيه ما شاهده في رحلته التي بدأها من دياره بتمجروت بالمغرب إلى اسطنبول وقد ودع أهله وعشيرته يوم السبت أول جمادى الاولى سنة 997هـ/1589م كان التمجروتي موفدا من سلطان المغرب إلى السلطان العثماني مراد الثالث حاملا معه رسائل وهدايا وقد رافقه في رحلته الكاتب محمد بن علي القشتالي ومحمد بن علي بن أبي القاسم. أمدنا التمجروتي بمعلومات هامة عن مدينة اطرابلس في فترة عصيبة تأججت فيها نيران ثورة يحيي بن يحيي السويدي[1] التي بداها في شوال سنة 996هـ .

يذكر الرحالة بأنه وصل إلى مرسى اطرابلس يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 997هـ « ووجدنا بذلك المرسى نحو ستين سفينة وردت من القسطنطينية وفيها قبطان العمارة بنفسه، وهو الباشا المتولي أمر البحر والسفن كلها وأمر أفريقيا كلها بيده.. ورد هذا الباشا بما معه من الجند بسبب قايم قام في بلاد اطرابلس وعاث فيها، وأفسد أوطانها وأضرم فيها نار الحرب، واجتمعت عليه العرب وحشرها واستولى على ما سوى المدينة من القرى والبادية و الأوطان كلها، وجبي خراجها، وجمع أموالها، وزحف إلى المدينة وحاصرها وقاتلهم فقتل كل من خرج إليه من الجند وأهل البلد وأفناهم فقتل منهم في يوم واحد ثمانية عشر مائة نفس حتى قتل اليهود الذين يجرون الأنقاض (المدافع) سوى ما قتله في غير ذلك اليوم في وقائعه منهم وغاراته..»

ويظهر من رواية التمجروتي أن الثائر يحيي بن يحيي السويدي أظهر لأهل البلد التقوى والورع في بداية أمره، ثم لما دانت له الرعية وأصبح صاحب الأمر و النهي، تغير حاله فيصفه بقوله (وهو فظ غليظ القلب متهاون بالشرع وبحدود الله، سفاك للدماء، فأوجب ذلك نفور عقول الناس عنه لما ناقض فعله قوله إذ كان أولا زعم أنّه يقوم بتغيير مناكر الترك وقمعهم، وبسط العدل بدل جورهم، وغير ذلك من أكاذيبه التي حاول التوصل بها إلى غرضه من الرئاسة والجاه).. ويظهر من حديث التمجروتي أن بذور الثورة على الأتراك موجودة لدى الأهالي وهي في

---

* اطرابلس والنفحة المسكية -العدد(21)- 1987/06/02م من جريدة إطرابلس القديمة. تصدر عن مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة اطرابلس

(1) . ومن اراد الاستزادة عن هذه الثورة فليرجع ما كتبه أستاذنا محمد الاسطى بمجلة البحوث التاريخية العدد الأول يناير 1982م في مقاله المعنون بثورة يحيي بن يحيي السويدي أو سويدان..

حاجة إلى من يمنحها الشرعية ومن أسباب الثورة كما يذكر التمجروتي (أن الترك جاروا على أهل تلك البلاد كثيرا وأفسدوها، وضيقوا على أهلها في أرضهم وديارهم وأموالهم، حتى استباحوا حريم المسلمين، وحتى أن بنت الإنسان من الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لا يقدر أحد أن يمنعهم منها، أعنى بالنكاح، ولا أن ينكحها لغيرهم إلى غير ذلك من الذل والإهانة التي هم فيها معهم، وهكذا أهل إفريقية كلهم فأوجب ذلك استماعهم لكل ناعق وإتباعهم لكل قائم رجاء ان يجدوا الفرج معه)، ويذكر التمجروتي المعارك التي جرت بين الثائر و القوات العثمانية إلى أن يصل إلى نهاية الثورة بالقضاء على زعيمها فيذكر ان العرب اختلفوا على القائم بعد ذلك اختلافا كبيراً كان سبب قتله وسلخ جلده وحشوه بالتبن وبعثه إلى اسطنبول .. ونحن هناك (أي أيام مقامه باسطنبول)..

وبعد أن ينهي الرحالة قصة هذه الثورة يتفرغ لوصف مدينة اطرابلس فيقول (واطرابلس مسورة حصينة وجدناها ضعيفة جدا لتوالي الفتن عليها، وهي في بسيط من أرض لينة مسترملة شبيهة بأرض الصحراء منشرحة الأوطان واسعة الأقطار وفي قراها نخل كثير)..

ينتقل بعدها إلى وصف من لقيه باطرابلس من العلماء فذكر بانه التقى بـ « فقيهها وخطيبها السيد أبى عبدالله المكنى » و وصفه بقوله (كان فقيها عالما متفننا مشاركا ذا سمت حسن وهدى و وقار وحسن معاشرة كان «أهله من صفاقس فنقل إلى اطرابلس فاستوطنها وصار مفتيها، لقيناه بمسجدها فتلقانا بالبشر والترحاب وسر بنا وحدثنا وأفادنا) ونقل عنه قصيدة نونية في ذم الدنيا تتكون من 37 بيتا .. وذكر بان المكنى هذا توفى أيام مقامه باطرابلس فجأة من غير مرض.

تردد التمجروتي في الرحيل عن اطرابلس لحلول فصل الشتاء وكبر عليه ركوب البحر نظراً (لإرتجاجه وشدة هوله وموجه) إلا أن ملاطفة مرافقيه وتهوين الأمر له، وطوال مدة الغربة عن الأوطان، وانف من الغربة واعتزاله العمارة والصحبة جعله يعتزم السفر، ولولا هذه العوامل لبقى باطرابلس فترة الشتاء والربيع ولدون معلومات كانت ذات فائدة كبيرة لنا سواء عن الحياة الثقافية أو العلمية والاقتصادية ولكن تلك العوامل فوتت علينا الفرصة وجعلتنا نبحث عن مصادر أخرى عن تلك الفترة.

وصف التمجروتي البحر والمرسى أيام مقامه باطرابلس فيذكر بانه كان « يضطرب اضطرابا شديدا ويهول هولا عظيما حتى ربما يمنع النوم في الديار، وتفرقت المراكب في المرسى وبعد بعضها من بعض خوفا من أن يضطرب الموج فيصيب بعضها ببعض ومرسى اطرابلس

لايمنع إلا من الريح الغربية تكسر فيه السفن تفسد كثيرا وقد كنا نشرف على البحر في تلك الأيام فنشاهد من قدرة الله آيات عظيمة باهرة أمواجا وكأنها جبال وتأتي خاضعة إلى البر كأنها تقبل منه كفا وتأتيه أحيانا فتعصف عصفا، وقد بقى الرحالة التمجروتي باطرابلس شهرا وأثنى عشر يوما من26 من ذي القعدة سنة 997 هـ(1589/9/27م) إلى 9 محرم 998 هـ (1859/11/8م) ، وركب البحر في طريقه إلى بلاد الترك مع العمارة كلها ونحن من الحياة والسلامة السوى من الحياة) ولكن رافقته السلامة فدون لنا هذا الكتاب (النفحة المسكية في السفارة التركية) وقد توفي سنة 1003هـ /1594م.



منظر عام لطرابلس



رسم يوضح موكب للحجاج



استعمال الجمال لذهاب إلى الحج

الطريق إلى مكة وشيخ الركب*

تعددت وتنوعت الرحلات فكان منها، الرحلات الدراسية، والرحلات العلمية الإستكشافية والرحلات الرسمية والدبلوماسية، والرحلات السياحية الترفيهية والثقافية، والرحلات التجارية من أمثلتها رحلة الشتاء والصيف. والرحلات عامة « مما تزيد علما بقدرة الله تعالى وحكمته وتدعو إلى شكر نعمته، والمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب .»[1] ومن أهمها الرحلات تلك التي ترتبط بأداء الفرائض الدينية أو الزيارة والتي من أجلها الرحلات الحجازية والتي يتوجه فيها المسلمون إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج وزيارة المدينة المنورة.

والحج في اللغة القصد، والحج شرعاً مناسك يؤديها المسلم في الأراضي المقدسة استجابة لأمر الله في قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .»[2] وقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. »[3] وقال تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله .»[4] كما أن هناك الكثير من الأحاديث النبوية ومنها عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا».

في الفترة الإسلامية المبكرة كان الوصول إلى الأراضي المقدسة يتم بطريقتين. البحر والبر « وكانت الحكومات بالجملة لا تتعرض للأفراد والمسافرين، ومن الثابت أنه لم يكن بالمشرق في القرن الثاني الهجري على أبواب المدن من يسجل أسماء من يدخلها، وقد تكلم أحد الرحالة العرب في النصف الأول من القرن الثالث الهجري عن جوازات المرور عند الصينيين بشيء من التعجب، كأنه عنده شيء غريب، أما مصر فقد كان فيها منذ أقدم العصور الإسلامية نظام دقيق لجوازات المرور ، فلم يكن أحد يستطيع أن يترك الناحية التي يقيم فيها إلى ناحية أخرى بدون إذن ولي الأمر.

---

* . نشر بمجلة تراث الشعب ، السنة 25 ، العددان 1 ، 2 ، سنة 2005م

(1) . محمد بن عثمان السنوسي. الرحلة الحجازية. ص.45

(2). القرآن الكريم سورة ال عمران، الآية 97

(3) . القرآن الكريم سورة الحج، الآية 25

(4) . القرآن الكريم سورة البقرة، الآية 195



الرحلات البحرية التي كان يستخدمها الناس سواء الحجاج أو التجار

ويقال أن عامل مصر أصدر أمره عام 100هـ/720م بأن يقبض على من وجد مسافرا أو متنقلا من مكان إلى مكان من غير سجل، ويؤخذ من رواية لابن سعيد أنه كان لابد من الجواز للخروج من مصر، ولابد أن يدرج في هذا الجواز كل من يرافقون المسافر، ولو كانوا عبيده» [1] وكان حجاج شمال أفريقية في رحلاتهم الحجازية يستعملون وسيلتين : هما البحر والبر.

الرحلات البحرية :

ارتبط ازدهار الرحلات البحرية في الفترات التي ينعدم فيها الأمن وتتسم بالاضطرابات والظروف السياسية غير الملائمة التي تمر بها منطقة الشمال الأفريقي فيفضل التجار والحجاج ركوب البحر رغم عدم خلوه من الأخطار، ففي منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ومع تغير الظروف السياسية في منطقة إفريقية وتحرك بعض القبائل العربية في هجرة من المشرق إلى المغرب وعدم تمكن دولة بني زيري من السيطرة على مناطقها الشرقية كل ذلك أدى إلى انعدام الأمن وانتشار الفوضى وكثرة أعمال السلب والنهب فلم تأمن قوافل الحجاج أو التجار من المخاطر ففضلوا السفر في رحلات بحرية من اطرابلس إلى الشرق.

وفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لم تتمكن الدولة الموحدية من مد نفوذها باتجاه منطقة برقة فانعدم فيها الأمن، وترتب على ذلك أن شهدت الحركة البحرية نشاطا كبيرا بين اطرابلس والإسكندرية، كان ميناء اطرابلس هو الميناء الرئيسي في المنطقة الغربية من ليبيا. فكانت قوافل الحجاج تصل إلى اطرابلس عن الطرق البرية المختلفة سواء تلك التي تربطها بالمناطق الساحلية القريبة أو الطرق التي تصلها من جبل نفوسة أو من الدواخل كما أن ركبان تونس والجزائر والمغرب تصل إلى اطرابلس برا ويفضل بعضها استكمال الرحلة عن طريق البحر.

وكانت الرحلات البحرية تتم عن طريق السفن الشراعية التي تتطلب ظروفا جوية ملائمة، فيحدث في بعض الأحيان ان تتعرض هذه السفن إلى مصاعب جمة نتيجة للأنواء البحرية حتى يضطر بعضها إلى اللجوء إلى بعض المراسي الصغيرة على الشاطئ فتنتظر حتى يصفو الجو ويهدأ الموج فتستأنف رحلاتها وفي بعض الأحيان يحبذ بعض الحجاج النزول إلى الشاطئ وتكملة رحلتهم عن طريق البر.

---

(1). أدم متز. الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري. ج2 .ص ص.835.836

نجد وصفا للمصاعب التي تواجه الرحلات البحرية لدى الرحالة أبي الحسن القلصادي في كتابه « تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب والذي قام برحلته في سنة 1447 فيذكر أنه سافر من مرسي اطرابلس « يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأولى 851هـ/ 22-7-1447م وبلغ إلى ثغر الإسكندرية، يوم غرة جمادى الآخرة (14-8-1447م) بعد مشقات عظام تحار في وصفها المحابر والأقلام حتى من وقع من فيها لأمر الله الاستسلام وصار الإنسان ينادي بلسان حال (أنا الغريق فما خوفي من البلل)[1] وهذا يدل على أن الرحلة في الأوقات غير الملائمة من اطرابلس إلى الإسكندرية تحتاج إلى ما يزيد عن عشرين يوما في البحر. وبعد أداء القلصادي لمناسك الحج والزيارات، وصل إلى الاسكندرية ثم غادرها فيما بعد وركب البحر يوم السبت 24 من ربيع الأول 853هـ / 10-5-1445م. وجاء في رحلته « بلغنا إلى العمارة برقة ثمانية أيام أخرى، لأجواء غير مساعدة والرياح غير موافقة:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

إلى أن سار بعض الركاب في البر وبقى أصحاب المراكب متحيرين ضمن قائل بالقعود والإقامة إلى فصل الخريف، ومن قائل بالرجوع إلى الإسكندرية. إلى أن (من) المولى بالريح المساعدة، فارتحلنا من ذلك المرسى، ونحن في أربعة مراكب للمسلمين، وبلغنا اطرابلس يوم الخميس الموفى عشرين من ربيع الآخر (853هـ) 12-6-1445م « في كنف العصمة والسلامة، حمدا لله تعالى.[2]

وها هو الرحالة التمجروتي – الذي لم يكن في طريقه إلى الحجاز وأنما موفد في سفارة أرسلها سلطان المغرب المنصور السعدي إلى السلطان العثماني مراد الثالث بأسطنبول يصف لنا هيجان البحر واضطرابه أثناء إقامته بطرابلس التي وصلها في يوم السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 998هـ/1590م فيقول « كانت أقامتنا في اطرابلس شهر واثني عشر يوما وقد ضاق الوقت وحان دخول الشتاء وكبر علينا ركوب البحر...

وعظم علينا الخوف لارتجاجه وشدة هوله وموجه حتى كان يترجح عنا التخلف عن تلك العمارة والمقام بطرابلس مدة الشتاء حتى ينسلخ... وقد كان البحر وموجه تلك المدة التي أقمنا بطرابلس يضطرب اضطراباً شديداً ويهول هولاً عظيماً حتى ربما يمنعنا النوم في

---

(1) . أبو الحسن القلصادي الأندلسي. رحلة القلصادي ص 124

(2) . المصدر السابق.ص.159.

الديار، وتفرقت المراكب في المراسي وبعد بعضها من بعض خوفا من أن يضطرب الموج فيصيبها فتكسر...وقد كنا نشرف على البحر في تلك الأيام فنشاهد فيه قدرة الله آيات عظيمة باهرة أمواج كأنها جبال...تعصف عصفا وتقصف قصفا وتأتي خاضعة إلى البر كأنها تقبل منه كفا وتأتيه أحيانا فتعصف عصفاً . [1]

في بعض الأحيان تكون الرحلات أقصر مدة فيذكر الفقيه، ضمن يومياته، في يومية الخميس30 ربيع الأول 1247هـ قدمت علينا مركب سيدنا – دام عزه : البريك متاع الماسترو (يقصد به مركب المرشد البحري) وهو من إسكندرية على عدد 17 يوم ،وأخبرونا بأنه ماتوا من الحجاج– رحمة الله عليهم وهو ميسوق حجاج [2] . أي أنه مزدحم بالحجاج. تقطع السفن الشراعية المسافة بين اطرابلس وبنغازي في حالة الرياح المعاكسة...حوالي 14 يوما...وفي حالة الرياح المناسبة فتقطع السفينة الشراعية المسافة في ثلاثة أو أربعة أيام وأحيانا في يومين فقط .[3]

ويذكر الرحالة الألماني رولفس الذي قام برحلة بحرية بين اطرابلس وبنغازي -2-1869 20م أنه صعد في سفينة شراعية ذات صاريين يملكها شيخ البلد في اطرابلس علي القرقني « وسارت الأمور على وجه أفضل مما ظننت ومع شيء من دوار البحر وشيء من العاصفة وهدوء الريح... كان الرايس رجلاً ذا خبرة وعوض أن تظل على مقربة من الشاطئ سار في طريق مستقيم نحو بنغازي، ولذلك غاب الشاطئ عن أنظارنا وفي اليوم السادس لمحنا البر وبرزت المنارة ثم المدينة التي بدت من بعيد ضخمة...إلا أننا لم نخرج منها دون قسط من الرعب، وكان على ظهر السفينة مرشد فتولى القيادة بذاته عندما أصطدمت السفينة ببضعة نتوءات بين الصخور الناتئة...وتمثلت العاقبة في زعيق عال وتأرجح، كل يصرخ ويأمر ولكن ما من أحد يطيع .. وأعتقدت أن الأمر ينتهي عند الله أكبر وبعون الله ... وإذا بالعديد من الزوارق قد انطلقت من الشاطئ، وأن الرايس الذي كان الأعقل بين الجميع أمر على الفور بإنزال جميع الركاب، وبعدئذ وبسرعة أنزل جزءا من الحمولة، وبعد وقت قصير أصبحنا عائمين دون ان تتعرض السفينة الشراعية إلى أضرار ثم سحبنا إلى الميناء. [4]

---

(1) . أبو الحسن علي بن أبي عبدالله محمد الجزولي التمجروتي. النفحة المسكية في السفارة التركية. (صورة من المخطوط).ص.ص.77..87.

(2) . حسن الفقيه حسن .اليوميات الليبية .ج1 ص55

(3) . غيرها رد رولفس. رحلة من اطرابلس إلى الإسكندرية.ص.108.

(4) . المصدر السابق. ص.109.

من المشاكل التي يواجهها المسافر في وسائل الموصلات البحرية المعاناة من دوار البحر حتى أنه أعجز الأطباء في السابق فلم يجدوا له دواء. فصاحب الرحلة الحجازية محمد بن عثمان السنوسي الذي سافر من تونس إلى أوربا ثم إلى أراضي الدولة العثمانية ومنها إلى الأراضي المقدسة حيث أدى الفريضة وغادرها إلى بلاد الشام ومنها ركب البحر إلى مالطا ومنها إلى تونس سنة 1882م.يقول عند « أول ركوب لي في البحر وجدت من دوارها ما لم أعهده. وهذا الدوار البحري قد عجز الأطباء عن إيجاد دواء له سوى أن بعضهم عين وجها باستنشاق الهواء عند ارتفاع السفينة وإخراجه عند هبوطها. فإذا فعل المسافر ذلك عند أول دخوله للسفينة لا يلبث حتى يعتاد عليه ويصير يمارسه بلا تكلف.»[1]

وفي الرواية المتداولة بين بحارة اطرابلس القدامى أنه يمكن التخلص من دوار البحر بأن يقوم المسافر عند صعوده إلى السفينة أو القارب بغرف قليل من ماء البحر وشربه فلا يصيبه الدوار وحسب ما يقال في التعبير الشعبي الليبي (دواه منه فيه) ولعل ذلك لا يكون مفيداً ومحاولة النوم كما ينصح البحارة القدماء أجدى وأنفع.

تواجه الحجاج المغاربة بعض المشاكل مع أصحاب وسائط السفر البحرية، فيقوم أصحابها بتصرفات تخالف الاتفاق المعقود ومنها ذلك « التصرف الذي قامت به باخرة تابعة لجمهورية دوبرونيك أو (Raguse) حيث تخلت عن عدد من المغاربة في مرسى اطرابلس وقد كان الشرط أن تصل بهم إلى الشواطئ المغربية الأمر الذي استدعى من السلطان محمد بن عبد الله إصدار تصريح وزعه على دول البحر الأبيض المتوسط بتاريخ 6 جمادى الأولى 1194 (10 ماية 1780م) يشهر فيه الحرب على دوبرونيك (Raguse) وينذر فيه الدول الأخرى إن هي ناصرت (راكوس).. [2]

كما تعرض حجاج تونس إلى بعض المشاكل في اطرابلس وطلبوا من السلطات فيها منحهم تسهيلات للرجوع إلى بلدهم إذ لم تعترف القنصلية الفرنسية بهم فلم تمنحهم تعاريف طلبتها منهم وكالات السفر، إذ جاء في وثيقتهم ما يأتي : « معروض العاجزين أننا من أهالي تونس وفي هذه السنة المباركة توجهنا لبيت الله الحرام وأتممنا أداء الفريضة ولما رجعنا وأتينا ليونبع [3] فوجدنا وابور (سيتوجه) إلى تونس فجعلنا معه تأويل إلى أن يوصلنا إلى اطرابلس حيث أنه لم (رضا ؟!) أن يوصلنا إلى تونس وقال لنا أنها اطرابلس ليس بها قرنتينة فأعطينا

---

(1) . محمد السنوسي. الرحلة الحجازية.ص.68.
(2) . عبد الهادي التازي. أمير مغربي في اطرابلس أو ليبيا من خلال الوزير الاسحاقي.ص.20.
(3) . ينبع ميناء على شاطئ البحر الأحمر في السعودية الآن

له عن كل نفس (ثلاثة ؟!) ليرات وأتينا إلى اطرابلس فتوقفنا ثلاثة أيام بالكرنتينة [1] هنا فخرجنا فلما أردنا السفر إلى تونس كلفتنا لاجنتات بان ناتو بتذاكر من قنصلات دولت فرانسة الفخيمة فلما راجعنا القنصلات المذكورة صار يماشى فينا باليوم غد إلا أنه اليوم جاوبنا بأنه ليس معترف بالعاجزين ولا يقبل الحجاج والحال أفندم أبقينا من غير مصارف وتوقفت أحوالنا وصرنا في غاية السفالة نسترحمو النظر في حالنا ولا يقع علينا هذه في بلدة الدولة العلية بان تجعل لنا تأويل في التسهيلات للتوجه إلى وطننا وباقي الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر... وفينا من هو كاري إلى تونس وأبقاه الوابور هنا في 11 صفر 1314 الحاج محمد بن (عطية) والحاج العربي بن صالح وبقيت الحجاج من إيالت تونس . » [2]

مع تطور الذي صاحب وسائل المواصلات البحرية وفتح قناة السويس للملاحة البحرية1869م أصبح الوصول إلى الأراضي المقدسة عن طريق البحر أيسر وأسرع وأكثر أمناً وكانت اطرابلس تشهد في أواسط شهر ذي القعدة من كل عام نشاطاً وحركة في الأسواق، فالحجاج الذين يتوجهون لأداء فريضة الحج عن طريق البحر. يتهيأون للسفر في هذا الوقت.. وبالتالي يشترون احتياجاتهم من الأسواق. الحجاج ليسوا قاصرين على الحجاج الليبيين فمن بينهم حجاج من تشاد وتونس وأقطار أفريقية أخرى كلهم يأتون إلى اطرابلس .. ومنها يبحرون في البحر الأبيض المتوسط عبر قناة السويس. [3] ونتيجة للإحتلال الإيطالي لليبيا في شهر أكتوبر 1911م فقد أتسم موسم الحج الذي صادف شهر نوفمبر من نفس العام بالركود ولم تشهد البلاد تلك الحركة المعهودة التي توقفت بسبب الاحتلال والحرب .

الرحلات البرية :

يخترق ليبيا طريقان بريان يؤديان إلى الأراضي المقدسة: الأول الطريق الشمالي الساحلي الذي يحاذي البحر الأبيض المتوسط والثاني الطريق الجنوبي الصحراوي[4] الذي يخترق فزان عن طريق وادي الآجال مارا بتساوه فمرزوق فتراغن ثم زويلة و أوجلة إلى واحة سيوة.

---

(1) . الكرنتينة = الحجر الصحي

(2) . وثيقة بدار المحفوظات التاريخية السراي الحمراء، مصلحة الآثار اطرابلس

(3) . محمد الأسطى، ورقات مطوية.اطرابلس. ص.61

(4) . ينظر ابن مليح. أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب. وسعيد علي حامد. ملامح من تاريخ فزان في القرن السابع عشر.مجلة تراث الشعب

ترك لنا الرحالة الذين مروا بليبيا الكثير من كتب الرحلات التي دونوا فيها وصفاً لمدنها ومواقعها وأبارها ومعاطنها ومسالكها ودروبها وأوضاعها الاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها. وكان الرحالة الأندلسيون والمغاربة أكثر تقييداً لرحلاتهم. فقد دفعت عدة عوامل الأندلسيين إلى القيام بذلك. « منها الميل إلى الاستطلاع واكتشاف المجهول والتعرف على المظاهر الكونية. وهو ميل غذته تعاليم والإسلام التي تحث على النظر في الكون واستجلاء خصائصه والسير في الأرض ومنها القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة... ومنها الرغبة في ارتياد مراكز العلم في أنحاء المغرب العربي وبلاد المشرق للاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم...» [1] وهي نفس العوامل التي دفعت المغاربة إلى القيام بأسفارهم ورحلاتهم وتدوينها ليستفيد منها غيرهم وتفوقوا في ذلك نظرا الولوع المغاربة بكيفية عامة بالسياحة وارتيادهم لأقاصي البلاد..» [2]

ترك العديد من الرحالة مخطوطاتهم التي تصف طريقي الحج، الساحلي والصحراوي وان كان الأول قد أخذ النصيب الوافر من الرحلات لكونه أسهل، مع وجود المدن العامرة الأهلة به، ولكثافة السكان بالمناطق الشمالية فكانت « تنطلق إحدى أعظم القوافل في إفريقيا من مدينة فاس وتخترق حدود المحيط الأطلسي كلها، ولا تترك الساحل حتى تستطيع أن تعبر إفريقيا.. وتنطلق القافلة الثانية من مراكش حيث يزيد عدد من الحجاج والمسافرين عندما تسير بمحاذاة ساحل البحر المتوسط كله من مراكش إلى مصر خاصة من الجزائر وتونس واطرابلس .» [3] ثم تعددت الركبان المغربية إضافة إلى مراكش وفاس كان هناك ركب سجلماسة وركب شنقيط علاوة على ركبان الجزائر وتونس وركبان البحر ويفضل الحجاج مصاحبة القوافل الكبيرة حتى يكونوا في مأمن من الإعتداء والنهب، تقطع القوافل المسافة بين مدينة فأس وبداية الأراضي الليبية في نحو من سبعين يوما تزيد أو تنقص قليلا بين رحل وظعن. وعادة ما تبيت قوافل الحجاج بزوارة ثم بالقرب من الولي أبي عجيلة، ثم الزاوية الغربية ثم تحط رحالها بمدينة اطرابلس وفي بعض الأحيان تحط القوافل في صرمان وجنزور، وكان من عادة القوافل إذا دخلت اطرابلس « سيما في الذهاب، أن يقيموا بها نحوا من شهر يستعدون فيها لدخول المفازة التي قل نظيرها وهي مفازة برقة، ومن هذه المدينة يشتري الحجاج ما يحتاجون إليه من الإبل والقرب ويتخذون زادا لنحو ثلاثة أشهر إلى مصر

(1) . القلصادي. رحلة القلصادي.ص.59.
(2). محمد بن عثمان المكناسي. الإكسير في فكاك الأسير. ص.ب. المقدمة
(3) . الآنسة توللي . عشرة أعوام في اطرابلس-ص..318.

إن كان الوقت شتاء فان كان صيفا فنحو شهرين.. وهذه المدينة قد شاهد أهلها بركة الحجاج والمجاهدين في أمر معاشهم ، فربما اجتمع فيها من الركبان الذاهبين والأيبين خمسة أو ستة، ويصادف ذلك في كثير من الأحيان خروج عسكر البحر للجهاد، ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على ما كان . »[1]

وقد أسهب الكثير من الرحالة في وصف مدينة اطرابلس باعتبارها من أهم المدن العامرة في طريق الحج إذا استثنينا الرحالة العربي المشهور ابن بطوطة الذي اقتضب في وصف معالم المدن الليبية التي مر بها ركبه ، ففي اطرابلس أهتم بالبناء (الزواج) بابنة لبعض أمناء تونس كان قد عقد عليها بصفاقس فشغله ذلك، فحرمنا من وصف أحوال المدينة والتعريف ببعض رجالها في فترة مقامه بها، ومن الرحالة من نظم القوافي بالفصيح ومنهم من نظم باللهجة العامية بالمغرب وهو المعرف فيها باسم الملحون في وصف مدينة اطرابلس والطريق المؤدي إلى الحج « فهذا محمد الدلائي الذي حج مع والده المرابط عام 1079هـ (1668 م) يلذ له أن يتحفنا بداليته الفصيحة في تعداد المسالك الرئيسية التي على الحاج أن يمر بها وفي صدرها اطرابلس التي جمعت متناقضات على حد قول الشاعر الدلائي. إذ كانت تحفة البحر ومتعة البر ...

زم الهوادج وإتئد يا حادي   فلقد حملت بها جميع فؤادي

إلى أن يقول عن اطرابلس :

نعم المدينة للحجيج وحضرة   ذات النخيل غزيرة الإمداد

من كل ما يحتاجه ذو حاجة   جُمِعَتْ – وحقك جملة الأضداد

تحف البحور ومتعة البر التي   خرجت بزهرتها عن المعتاد [2]

وكانت من عادة الركبان أن تنزل بخارج مدينة اطرابلس في منطقة الظهرة التي كانت تعرف بالزرارية بمتاعها، يكترى الحجاج بها الدور ويجعلون بها أمتعتهم ودوابهم، وتخرج الإبل لمحل رعيها فلا ترجع إلا عند إرادة السفر، والحجاج يدخلون اطرابلس لقضاء أغراضهم ويبيتون بالزرارية مع أمتعتهم. [3]

---

(1) . أبو سالم العياشي. الرحلة العياشية– ماء الموائد–ج.2ص،60
(2) . التازي.أمير مغربي في اطرابلس. ص.36
(3) . علي فهمي خشيم. الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية.ص.143

إضافة إلى جانبها الديني فإن لقوافل الحجاج أثرها الاقتصادي على المدن التي تمر بها، فطرابلس تعد سوقاً رائجة في مواسم الحج، فقوافل الحجاج المغاربة تشتري الزاد منها وكان مبدأ المقايضة هو الغالب بين أهلها والحجاج ومن النادر جداً أن تكون العملة هي المستعملة بينهم فأهل ليبيا عموما كانوا يبيعون للحجاج الإبل والأغنام والزيت والتمر والحبوب وغيرها بينما يحصلون من الحجاج المغاربة على ما يقابلها من بضائع وسلع يجلبونها معهم، وخاصة ريش النعام والجلود المراكشية. ومما يساعد على عمليات البيع والشراء والمقايضة أن أحمال قوافل الحجاج غير خاضعة للمكس (الضرائب)، فتكون أسعارها أرخص من بقية السنة. كما أن المناطق الأخرى تستفيد من ذلك كمصراتة وسرت وبنغازي والجبل الأخضر.

ويثني الرحالة العياشي على بعض المنتجات المحلية ومن ذلك عند مبيت قافلته تحت جبل النقازة على بعد نحو 95كم إلى الشرق من طرابلس « وهناك تسوقنا أهل جبال مسلاتة بزيت كثير طيب رخيص اشترى الناس منه حاجتهم. وزيت هذا البلد أطيب الزيوت مذاقا. سيما ضرب منه ما يسمونه ضرب الماء يعصرونه بالماء ولا أدري كيف يصنعون ذلك لا تكاد تميز بينه وبين السمن .»[1] كما يعطينا العياشي وصفا للحركة الاقتصادية في مرسى بنغازي وفيه تصب أودية السمن والعسل والشحم والودك من الجبل الأخضر الذي لا أخصب منه ولا أكثر إداما فيما رأينا من البلاد، وتحمل كل ذلك السفن إلى طرابلس وجربة وما بازائهما من البلدان، ومن هذا الجبل ... وتسوقنا طائفة من أهله بما قضينا منه العجب من السمن والغنم والإبل، ولم نعهد مثل ذلك في بلد من البلاد، ولا رأينا أرخص منه سعرا أو أقل معرفة بالبيع والشراء من أهله يؤخذ منهم زهاء القناطير من السمن بالثمن التافه من بز أو عروض أو غير ذلك من الحوائج ولا يعرفون لدرهم قدرا.»[2]

تنطلق القوافل من طرابلس محاذية للبحر فتقطع المراحل، كل مرحلة يبلغ طولها أربعين كيلومترا تزيد قليلا أو تنقص، فتمر بالمدن العامرة كتاجوراء ومصراتة وسرت وأجدابيا وبعدها يتفرع الطريق في مساره نحو الشرق، فهناك الطويل الآمن نسبيا، المستأنس الذي هو طريق الجبل الأخضر حيث يتم المرور بمرسى بنغازي ليقطع منعرجات ومرتفعات الجبل الأخضر، وهناك الطريق الثاني طريق الصحراء المختصر المخطر الموحش المعروف عند

---

(1) . العياشي رحلة العياشي.ج.1ص90

(2) . المصدر السابق.ص.ج.1ص.106.

الحجاج باسم « السروال » حيث تؤخذ الطريق مباشرة من سلوق إلى المخيلي، عبر وادي موسى و « وادي سمالوس . »[1] ويقع طريق السروال عن يمين الجبل وهي مسافة سبعة أيام لا ماء فيها إلا ما غادرته الأمطار في قيعان الأرض .» [2]

ويذكر صاحب الرحلة الفاسية أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي الذي قام برحلته سنة 1211، 1212هـ، أن « جملة ما بين بنغازي ومحروسة طرابلس خمس وثلاثون مرحلة، وجملة ما بين قاهرة مصر ومحروسة اطرابلس سبع وسبعون مرحلة.» [3] كما أنه حددها أيضا بالساعة في قوله « جملة ما بين بنغازي وقاهرة مصر مائة ساعة وخمس وثمانون ساعة غير كسر. وجملة ما بين محروسة طرابلس وقاهرة مصر ثلاثمائة ساعة وخمس وعشرون ساعة غير كسر. قطعنا ذلك في أربعة وأربعين يوما ما بين أيام السفر والمقام.»[4] بعد المخيلي يصل الركب إلى التميمي ثم إلى درنة ومنها يحاذي الساحل إلى طبرق ومن ثم إلى الإسكندرية.

إن الرحلات الحجازية التي قام بها المغاربة جاءت غنية بالوصف للدروب والمعالم التي مروا بها، وماذا ننتظر من قاصد بيت الله الحرام، عابر الفيافي والقفار إليه، سوى الحديث عن شيئين متصلين به كل الاتصال: الماء وأولياء الله الصالحين؟ ومن هنا امتلأت الرحلات – حتى حافتها – بالكلام عن الماء، ومواطنه، ومعاطنه، وغدرانه، في كل صفحة تقريبا منها وبالكلام عن الأولياء والصالحين ممن قابلوه حيا أو زاروا قبره ميتا وتبركوا به، والتمسوا نفحات بركته الطيبات.. وصور كثيرة من مشاق الطريق وأخطارها، وتعبير عن شدة السفر في الصحراء القاحلة، والفرح بواقع الحياة والعمران.» [5]

لقد اكتسبت كتب الرحلات الحجازية أهمية خاصة فهي تعد من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ للأحداث السياسية والاقتصادية والحركة الثقافية إضافة إلى وصفها المواقع الأثرية والمدن التاريخية وذكر بعض الأحداث الهامشية والشخصية. فكثيرا ما نجد وصفا للأوضاع السياسة وسير الولاة مع الرعية والصراع على السلطة بين الشخصيات المتنفذة والقصف البحري الذي تتعرض له مدينة اطرابلس من قبل الأساطيل الأجنبية والثورات الداخلية والحملات البرية التي يتم تجهيزها للسيطرة على المدن والواحات الداخلية الخ.

(1) . التازي.رحلة أمير مغربي .ص.ص.61.60
(2) . العياشي. رحلة العياشي.ج.1ص107
(3) . خشيم ، الحاجبة.167
(4) . المرجع السابق.ص.156
(5) . المرجع السابق.ص.9.8

وكان لأصحاب الرحلات الحجازية التي مرت بليبيا دور كبير في التعريف بالحركة العلمية بها وهي « من أفضل المصادر (الوصفية) للحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي لمكانة مؤلفيها من النشاط الثقافي واتصالهم به ، خاصة وأننا نجدها كثرتها تغطي ذلك العهد تغطية جيدة، فضلا عن تبنيها النوعي، إذ دونها علماء وفقهاء متنوعو التكوين والمشارب، ما بين صوفي مستغرق كأحمد بن ناصر الدرعي (1121هـ)،وأديب لغوي شاعر جزل العبارة كابن الطيب الفاسي (1139هـ)، وعالم طلعة شغوف بالكتب والآثار العلمية كابن عبد السلام الناصري (1196هـ/1211هـ).» [1]

زخرت هذه الرحلات بسرد أسماء العديد من علماء ليبيا وذكر مصنفاتهم ومؤلفاتهم واهتماماتهم العلمية، وحرصهم على اقتناء أنفس المخطوطات، ومثال ذلك إشارة الرحالة الناصري في رحلته الثانية (1211هـ) إلى « تلك النسخة النفيسة من صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدفي (ت514هـ /1120م.) التي وجدها بمكتبة الشيخ أحمد أبي طبل (ت 1252هـ / 1837م.) فتعلق بها وقال (من الكنوز التي وقفت عليها بيدي سيدي أبي طبل المذكور نسخة من صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في مجلد بخط الحافظ أبي علي الصدفي شيخ القاضي عياض، قال اشتراها بثمن بخس في عدة كتب بمدينة إسطنبول، وراودته على بيعها عازما على إعطائه مائة دينار فامتنع .» [2]

أشار إلى هذه المخطوطة النفيسة أيضا الرحالة الفاسي في رحلته التي قام بها في سنة 1211هـ/6-1797م. « وذكر أن مالكها اشتراها من إسطنبول، وحين اشتراها اجتمع علماؤها وقالوا له: أخليت إسطنبول وبعد أن بلغ الناصري مستقره دفعه الحرص على تلك النسخة إلى مفاتحة ملك المغرب السلطان سليمان (ت 1238هـ/1823م.) فاهتم السلطان بالأمر وبعث بثمنها (ألف مثقال أو ريال) إلى مالكها، فأجابه بالقدوم، ولكن بعض الظروف حالت دون ذلك، وظلت المخطوطة النفيسة بليبيا ..» [3]

وترد الكثير من الإشارات إلى المخطوطات التي بحوزة علماء ليبيا ومؤلفاتهم وإهداء بعضها إلى الفقهاء والعلماء المغاربة أو قيام بعضهم بنسخ بعض المخطوطات رغم قصر مدة الإقامة ، لقد استفاد الكثير من علماء ليبيا من الرحلات الحجازية فهذا ابن الأجدابي« وكان من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم، كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تواليف

---

(1). عمار جحيدر. مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي.ص.100

(2) . المرجع السابق.ص.94

(3) . المرجع السابق.ص.95

جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وفي غيره... ولم تكن له رحلة من بلد اطرابلس إلى غيرها، وقد سئل: (أني لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: اكتسبته من بابي هوارة وزناتة).. يشير إلى أنه استفاد من العلم بلقاء من يفد إلى اطرابلس، يدخل من هذين البابين من المشرقيين والمغربيين. [1] ولم يفت الرحالة العبدري أن يشير إلى فصاحة عرب برقة فيذكر أنهم « من أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضا فصحاء. ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره ، وهم الآن على عربيتهم لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا ما لا قدر له بالإضافة إلى ما يعربون . » [2] وقد أورد العديد من الشواهد التي سمعها في رحلته في سنة 688هـ.

ومما يستفاد من الرحلات الحجازية الإشارات الكثيرة الواردة في متنها والتي تتعلق بالمعالم الأثرية التي تزخر بها ليبيا فالعبدري يصف المعالم والمواقع الأثرية التي شاهدها كالقوس الرخامي والمدرسة المستنصرية بطرابلس وآثار لبدة وقصر أجدابية ومدينة برقة، وطلميثة، وسوسة، وبعض القصور بالجبل الأخضر كما وصف العياشي الكثير من المواقع الأثرية وذلك بالإشارة إليها مثل مدينة لبدة في قوله: « أكل البحر كثيرا منها، وفيها مبان عظيمة، وهياكل جسيمة وأبراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الإتقان .. ومن هذه المدينة ينقل كثير من أعمدة الرخام إلى اطرابلس وإلى مصر وإلى غيرها من البلدان.»[3]

اما الرحالة ابن مليح (السراج) فيترك لنا – في رحلته المسماة (أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب) والذي قام برحلته سنة 1040هـ/ 0-1631م مخترقا الجنوب الليبي- واصفا للعديد من المدن والمواقع التي مر بها مثل سردلس (العوينات) ، ومدينة أوباري، وجرمة، وتساوه ، ووادي عتبة ، ومرزق وتراغن، وزويلة ، وزلة، وأوجلة ... الخ . وهاتان الرحلتان إضافة إلى رحلة العياشي وغيرها تعد من أهم مصادر المساعدة في الدراسات الأثرية وتميط اللثام عن الكثير من الغموض الذي يلف تاريخ المنطقة.

ونظرا لطول الطريق فقد يتعرض الحجاج إلى بعض ذوي النفوس المريضة ممن اعتاد على السرقة والنهب، كما تحدث لهم بعض المفارقات ومن ذلك ما ذكره

---

(1) . خشيم. الحاجية.ص.34.33.

(2) . محمد يوسف نجم د. إحسان عباس. ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. بنغازي. دار ليبيا للنشر والتوزيع.1968.ص.111.

(3). العياشي. رحلة العياشي.ج.1ص.90.

العياشي في رحلته فيقول: « تعرفنا برجل قدم معنا في الركب زعم أنه شريف وأنه من أهل المدينة المشرفة، وأنه أحد بوابي باب الرحمة من أبواب الحرم الشريف، وزعم أن الشريف زيد أمير الحرمين بعثه بكتاب إلى تونس لجمع أوقاف الحرمين التي بها وعامله أمير تونس حمودة بإحسان غزير، وقدم مع ركب أهل تونس، فلما وصل اطرابلس غضب عليهم زعما منه أنهم لم يقوموا بحقه، فجاء لركبنا فعظمناه غاية التعظيم لنسبه ووطنه الذي انتسب إليه، وكانت فيه دعابة فحمله الناس على ما هو عليه، ولما وصلنا مصر تبين كذبه فيما زعم من أنه من أهل المدينة.» (1)

أما بالنسبة للقوافل المحلية التي تنطلق من اطرابلس إلى الأراضي الحجازية فنجد وصفا لإحداها قام بها السفير عبد الرحمن الدغيس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في كتاب عشرة سنوات في بلاط اطرابلس للآنسة توللي وهي تورد الرواية التي رواها الحاج عبد الرحمن نفسه « كانت القافلة التي سافر فيها مؤلفة من حاشيته وعدد من الأغنياء والفقراء التابعين لقافلة مراكش التي التحقت بالسفير لتفيد من حمايته. كانت القافلة معسكرة وقتئذ في سهل اطرابلس، أسرعوا في القيام بمهامهم ليلحقوا بقافلة السفير، وبالرغم من سفرهم من اطرابلس في أكثر فصول السنة ملاءمة ومناسبة، إلا أن المصاعب التي تزخر بها الصحاري كانت كبيرة جدا، حتى توقع الحاج عبد الرحمن أن يهلك القسم الأكبر من أفراد أسرته. سافرت السيدات في عربات مغطاة بمظلات (هوادج) موضوعة على ظهور الإبل، وحين تتوقف القافلة تنقل السيدات عادة إلى الخيام حيث ينتظرهم السجاد وكل وسائل الراحة. ولكن في معظم أنحاء الصحراء لم يكن بالإمكان استخدام وسائل الراحة تلك لأن أعدادها يتطلب المزيد من الوقت..» (2) وعندما وصلت القافلة إلى القاهرة بلغ عدد الإبل فيها الألف وعدد الناس بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف.

وبعد أداء فريضة الحج وفي طريق عودتهم إلى اطرابلس فاجأت الرياح الجنوبية في صحاري برقة حاج عبد الرحمن وأسرته تلك الرياح العاتية التي ظنوا بأنها ستواري برمالها القافلة كلها وبدأت تلك الرياح الخطيرة بالهبوب العنيف القاسي، وبعد أن انقطعت يوما واحدا هبت رياح محرقة طوال ثلاثة أيام، كانت سببا في هلاك كل الذين تعرضوا لها . توفي عدد من القافلة قبل أن يصل إلى اطرابلس، وكان من المحتمل ان تبلغ الوفيات أعظم

(1) . المرجع السابق.ج.1ص90

(2) . توللي عشرة أعوام في اطرابلس .ص.317.

من ذلك بكثير لولا أنهم لحسن الحظ حصلوا على كمية كافية من الماء .» [1] وأمام المشاق والصعوبات التي يتعرض لها الحجاج نتيجة لطول الرحلة التي يخترق فيها الحجاج الصحاري والسهول والجبال والبحار إضافة إلى تقلبات الأجواء من برد وحر ورياح عاتية باردة وساخنة وأمطار ووديان وغياب عن الأهل والأحباب لما يقرب من سنة، وبدائية الوسيلة فإنه ظهرت في التعبيرات الشعبية بعض الأمثال التي جرت على الألسن مثل « يبي الحج والسلامة » والذي يعني أنه لا يمكن أن يكون الحج دون مشاق وصعوبات يتكبدها الإنسان في رحلته.

شيخ الركب:

كان من عادة قوافل الحج في العالم الإسلامي أن يتقدمها إحدى الشخصيات البارزة و يعرف باسم أمير الحج أو الركب وكان يتحمل مسؤولية قيادة القافلة ورعاية شؤون أفرادها، تنطلق قافلة الحجاج الليبية من مدينة اطرابلس تحت قيادة شيخ الركب. وكانت رئاسة الركب تتم مناوبة بين المناطق في ولاية اطرابلس، وكان يطلب من مرشح للمشيخة قبل صدور أمر التعيين أن يأتي بكفلاء يكفلونه، بينما كان يطلب من الراغب في أداء فريضة الحج أن يأتي بعلم وخبر يبين فيه مراده بأداء الفريضة وأنه ليس عليه مطالب ميرية ولا أعشار شرعية ولأجل إبراء ذمته يحرر له علم وخبر ،وقد أوضحت وثيقة موجودة بدار المحفوظات التاريخية بالسراي الحمراء كتبت بتاريخ 21 محرم 1289هـ الواجبات المنوطة بشيخ الركب وقد جاء فيها ما يأتي :

نحمد الله الذي شرف الكعبة والبيت الحرام العتيق وسمع نداء من رفع أركانها فأتوها رجلا وركبانا من كل فج عميق ونصلي ونسلم على مشيد دعامة الإسلام والداعي إلى دار السلام سيدنا محمد وعلى صحبه الكرام ما طاف طائف وسعى وعج وتج حاج (ودعى ؟!)، وهذا ولما وفي موسم الحج في هذا العام وحنت الركايب إلى ذلك المقام، ونهض من وفقه الله إلى الرحيل بخالص نية وقارب زمن سفر ركاب حجاج (ولايت ؟!) اطرابلس الغرب، وتأهب العازم وهيا الزاد والمطية قلدنا مشيخته قدوة الأكابر والأعيان ذا الحمية والعرفان الشيخ الحاج أحمد أفندي البدوي بموجب إنهاء من قايمقامية الخمس متضمنا بتنظيم مضبطة في انتخابه، فإذا علمت أمر ما ذكر أيها الشيخ سر متوكلا على الله مصحوبا بسلامته وتنبه لشئون من معك وسر فيهم بسيرة حسنة مرضية موافقة للخصال الحميدة

(1) . المرجع السابق.ص.329.



شيخ الركب (في الوسط) في طريقه إلى قصر الولاية في الفترة الملكية .



تقليد شيخ الركب استمر حتى إلى العهد الملكي .

المرعية، وأنصف بينهم بما أمر الله مع حسن معاشرة واتحاد على الحق من غير ميل عنه ولا مراعاة لوم لايم ثم أن قرر الله بالموت المحتوم على إنسان ممن معك يصير ضبط تركته بدفتر يعمل بمعرفة أعيانهم في المحكمة الشرعية التي تقع فيها موته ويمهر بمهر قاضية وتأتي به والتركة واحفظها ليصل كل ذي حق بحقه هنا بمعرفة الشرع الشريف والحكومة وأبدل جهدك في أسباب استراحتهم ما استطعت، وأنتم جملة من معه عاملوه بمعاملة الاحترام والمراعاة والتوفير واتبعوه وعليكم جميعا بالتقوى والإخلاص وتعظيم شعائر الله وكونوا على الخير أعوانا وفي دين الله إخوانا حتى (ترجعون؟!) إلى أوطانكم سالمين بحول الله وقوته.» [1] كان السفر في الماضي قطعة من العذاب، ومع ذلك فإن الوصول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة غاية كل مسلم، وكان ذلك يتطلب القدرة على تحمل المصاعب والمشاق وغياب يقارب السنة لسكان شمال إفريقية عن الأهل والأصحاب والديار، مع توفر المال الحلال الكثير للسفر حتى لا يقع الحاج فيما عبر عنه الشاعر بقوله:

إذا حججت بمال أصله دنسٌ فما حججت ولكن حجت العيرُ

ما يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرورُ

إضافة إلى ما يتركه من مؤن للأهل. وكان من عادة ركب ولاية اطرابلس أن يأخذوا ما يحتاجون إليه من مؤن وأبل ما يكفيهم إلى مدينة الإسكندرية، وفيها تجري عمليات المقايضة والبيع والشراء، ثم تنطلق القافلة إلى الأراضي المقدسة لأداء الشعائر، وبعد ذلك تحن الركائب إلى أوطانها وهو ما عبر عنه القول الشعبي الليبي الشائع (بلادكم يا حجاج) إذ ينتهي ارتباط بقائهم في الأراضي المقدسة بأدائهم فريضة الحج. وكانت الأيادي قد ارتفعت بالدعاء ليكون حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا وسعيهم مشكورا وليكون عودهم محمودا.

---

(1). دار المحفوظات التاريخية اطرابلس. وثيقة غير مصنفة

المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر :

1. القرآن الكريم

2. دار المحفوظات التاريخية. اطرابلس. وثيقة غير مصنفة.

3. ابن مليح، أبو عبدالله محمد ابن أحمد القيسي الشهير بالسراج. أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الآعاجم والآعارب حققه محمد الفاسي. فاس.1968م.

4. الأسطى، محمد. ورقات مطوية اطرابلس: المنشاة العامة لنشر والتوزيع والإعلان (سلسلة كتاب الشعب.10) 1983م.

5. الأندلسي، أبي الحسن القلصادي.رحلة القلصادي. دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان. تونس : الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.

6. التمجروتي، أبي الحسن علي بن أبي عبد الله محمد الجزولي . النفحة المسكية في السفارة التركية . (صورة من المخطوط).

7. توللي (الأنسة).،عشرة أعوام في اطرابلس . ترجمة د. عبد الجليل الطاهر .بنغازي : منشورات الجامعة الليبية 1967م.

8. حسن ، الفقيه اليوميات الليبية. تحقيق محمد الأسطى، عمار جحيدر اطرابلس: مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية.الأول الطبعة الثانية 2001م.

9. رولفس، غيرهارد. رحلة من اطرابلس إلى الأسكندرية . ترجمة عماد الدين غانم . اطرابلس :مركز الجهاد الليبيين لدراسات التاريخية . الطبعة الأولى .2002م.

10. السنوسي . محمد بن عثمان الرحلة الحجازية. تحقيق علي الشنوفي . تونس: الشركة التونسية للتوزيع 1976م.

11. العياشي ، أبو سالم. الرحلة العياشية– ماء الموائد– وضع فهارسها محمد حجي . الجزء الثاني . الرباط : أوفسيط دار المغرب .1977.

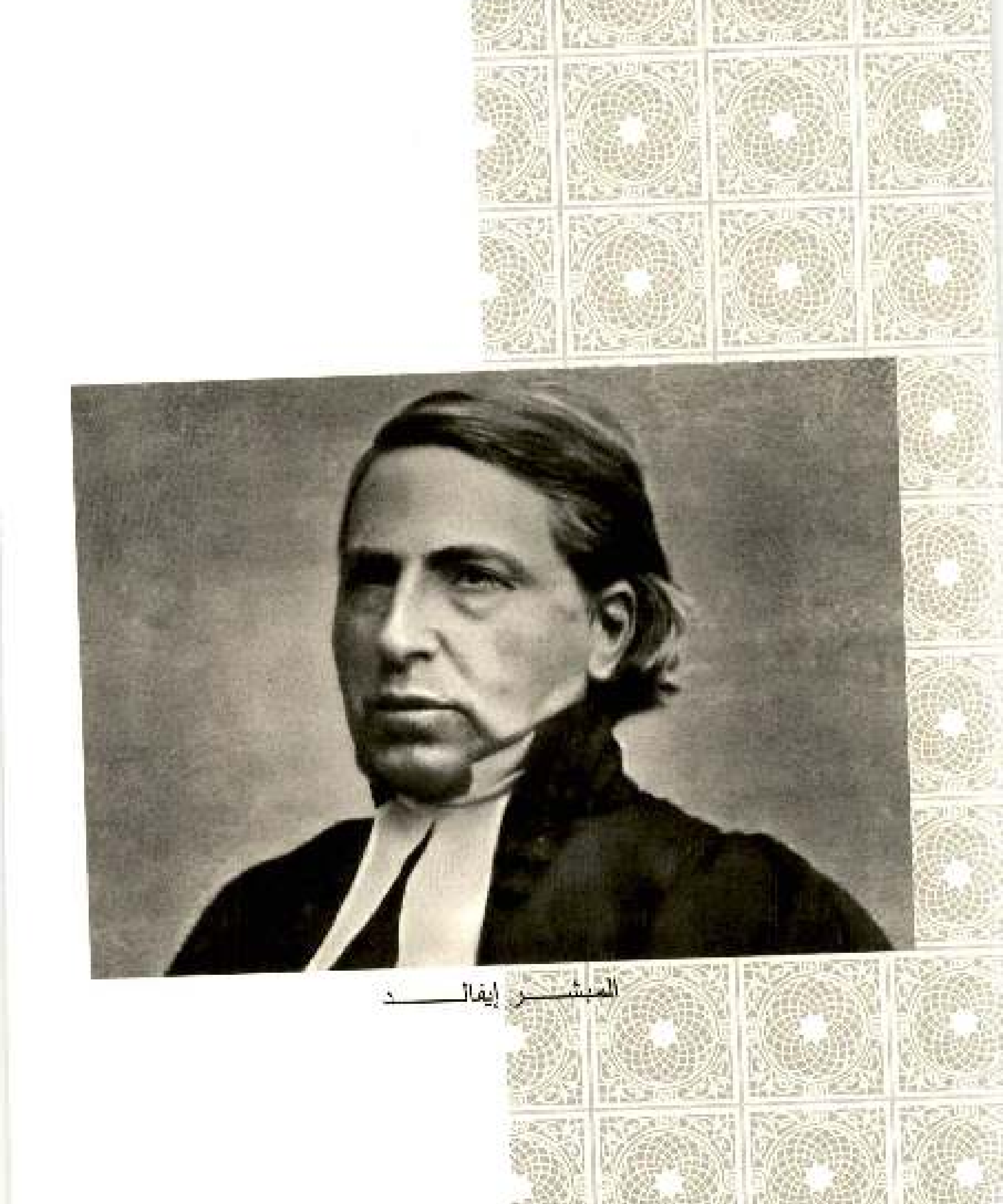
12. المكناسي ، محمد بن عثمان. الإكسير في فكاك الأسير. حققه محمد الفاسي . الرباط : منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي . جامعة محمد الخامس . كلية الآدب .1965م.

ثانياً المراجع :

1. بن موسى ، تيسير . المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني . ليبيا – تونس : الدار العربية للكتاب 1988م.
2. بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته. الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع1981م.
3. التازي . عبد الهادي. أمير مغربي في اطرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي. المغرب . مطبعة فضالة.(د.ت)
4. جحيدر، عمار مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في عهد القرمانلي . اطرابلس:مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .2003م.
5. حامد، سعيد علي. المعالم الإسلامية المتحف الإسلامي بطرابلس. اطرابلس : منشورات مصلحة الآثار.1978م.
6. خشيم ، علي فهمي . الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية . اطرابلس : دار مكتبة الفكر. الطبعة الأولى.1974م.
7. متز، أدم . الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري. نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبوريدة. تونس : الدار التونسية للنشر . الجزء الثاني. 1986م.
8. موسى . عز الدين أحمد. النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري . بيروت – القاهرة: دار الشروق . الطبعة الاولى .1983م.
9. نجم ، محمد يوسف د. إحسان عباس . ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات : بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع . 1968م.

الدوريات :-

1. حامد ، سعيد علي . ملامح من تاريخ فزان في القرن السابع عشر . مجلة تراث الشعب . اطرابلس .اللجنة الشعبية للإعلام والثقافة العدد الأول . السنة العاشرة 1990م.
2. حامد ، سعيد علي . اطرابلس عند الجغرافيين والرحالة العرب . مجلة الثقافة العربية . اطرابلس : المؤسسة العامة للصحافة . العدد الثاني عشر . السنة الثانية. ديسمبر 1975م.



المبشـــر إيفالـــد

اطرابلس كما شاهدها المبشر إيفالد في نهاية الحكم القرمانلي*

تعددت الرحلات وتنوعت فكان منها الرحلات الدراسية والرحلات العلمية الاستكشافية والرحلات الرسمية والدبلوماسية والسياسية ورحلات الاستجمام والترفيه والرحلات التجارية والرحلات الدينية لزيارة الأماكن المقدسة (كالحج والعمرة) وغيرها.

نتناول-هنا-رحلة كان القصد منها تبشيرياً قام بها مبشر مسيحي يدعى (كريستيان فرديناند إيفالد) اتجه إلى بلدان الشمال الإفريقي (الجزائر-تونس-ليبيا) لينشر الدين المسيحي بين أبنائه من المسلمين وبين الطائفة اليهودية . [1]

والمبشر إيفالد من أصل يهودي أعتنق المسيحية وتفرّغ للتبشير بها، زار اطرابلس بعد سقوط الدولة القرمانلية عام 1835م « ليشملها زمنا بعنايته « الإنقاذية « إذ إنها كانت رحلة تبشيرية صرفا غايتها التبشير بالإنجيل والدعوة إلى الدين المسيحي على طول الطريق بين تونس واطرابلس والاجتهاد في كسب الأنصار من بين أهالي المدن الواقعة على هذه الطريق، اليهود منهم أولا ثم من وجد إقناعه سبيلا من بين المسلمين أيضاً. [2]

وصل إيفالد إلى اطرابلس في أغسطس من سنة 1835م بعد أن أنهى الأسطول العثماني الحكم القرمانلي لإيالة طرابلس الغرب، ومن ثمّ عودتها إلى التبعية المباشرة للسلطان العثماني في الآستانة، وقد دفعه حماسه بالتبشير بالمسيحية متسلحا بإيمانه في النجاح في مهمته تساعده في ذلك اللغات الأجنبية التي يجيدها ومعرفته باللغة العربية وبمجموعة من الكتب المقدسة التي يعتقد أن الكثير من الأهالي واليهود سيقبلون عليها لما فيها من خلاص وإنقاذ، متكئا على حماية القنصل الإنجليزي ونوابه في بعض النواحي.

غادر هذا المبشر تونس في إتجاه طرابلس في 11 مايو 1835م ووصلها في 17 أغسطس 1835م إثر رحلة بحرية توقف خلالها بكل من سليمان ونابل والحمامات وهرقلة وسوسة والمنستير والمهدية والجم وقابس فجربة التي بارحها في 10 أغسطس 1835م على متن سفينة صغيرة قائدها مالطي، وكان عدد الركاب بها يزيد على خمسين مسافرا بين مسلمين ويهود ونصارى جميعهم ممن فر أنفا من طرابلس ورام العودة إليها بعد أن أستتب الهدوء بها.

---

* نشر بمجلة تراث الشعب العدد (2) السنة30،2010م .

(1) . اعتمدت في تتبع هذه الرحلة على كتاب "رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى اطرابلس في سنة 1835م نقلها من الألمانية إلى العربية منير الفندري، وهي من المنشورات دار الحكمة قرطاج تونس

(2) . رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م.نقلها من الألمانية إلى العربية منير الفندري. تونس: منشورات دار الحكمة قرطاج ، مقدمة المترجم،ص11

وكانت إيالة طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية (1711-1835م) شهدت ثورة تزعمها أهالي المنشية والساحل ونادوا بخلع حاكمها يوسف (1795- 1832) وتنصيب حفيده محمد بن محمد بن يوسف القرمانلي والياً، حاول يوسف تهدئة الثوار وامتصاص نقمتهم إلا أن مساعيه باءت بالفشل وأمام ذلك اضطر أن يتنازل عن العرش في 12 أغسطس 1832 م لابنه الأكبر علي باشا وهو يأمل في حصول أمنية الأهالي فيه وإنقيادهم إليه. » [1] ولكن هذه الخطوة لم تسفر عن أية نتائج إيجابية واستمر الصراع بين الطرفين. ورغم حصول علي باشا على فرمان تولية من السلطان العثماني على طرابلس فان الثوار لم يعترفوا بولايته إذ جاء في خطاب أرسلوه إلى حسين باشا باي تونس بتاريخ 16 جمادى الآخر 1250هـ/1835م ما يأتي :

نحن أناس طائعون لله ولمولانا السلطان وتحت أمره ونهيه في السر والإعلان غير أن ولاية علي لا تصلح بنا ولا نرضى به وحاش الله أن يتولى علينا أو نبايعوه .. .» [2]

أمام هذا الصراع على السلطة وتدخل فرنسا وإنجلترا في هذا الصراع لخدمة مصالحهما والوضع المتردي بالإيالة رأت الدولة العثمانية إعادة السيطرة على طرابلس الغرب فسارعت بإرسال أسطول بقيادة مصطفى نجيب باشا أرسى بميناء طرابلس في 25مايو 1835م، وبخطة معدة مسبقا احتل الجنود العثمانيون المواقع الدفاعية المهمة بأمر من علي باشا الذي اعتقد أن الأسطول قدم لمساعدته ضد الثوار، ثم أستدعاه مصطفى نجيب باشا إلى سفينة القيادة حيث قبض عليه وقرأ فرماناً بأنهاء حكمه ونفيه إلى الآستانة وبذلك أنتهى حكم الأسرة القرمانلية التي أستمر من 1711-1835م، وعادت إيالة اطرابلس الغرب إلى الحكم العثماني المباشر.

يصف المبشر إيفالد رحلته على السفينة الصغيرة وما تعرض له من دوار ونقص في الزاد والماء، إذ كانت الرحلة من جربة إلى طرابلس لا تتطلب أكثر من يومين فقام خادمه بشراء زاد يومين فقط وأوشك الماء على النفاد، وطالت الرحلة واستمرت خمسة أيام لأن الرياح لم تكن مواتية وفي يوم 16أغسطس 1835م. لاح عند منتصف النهار الساحل فغمرت الجميع الفرحة. يشير الرحالة إلى موقع مدينة اطرابلس فيذكر أنها تقع في برزخ وتحيط بها أسوار شامخة تعلو على سائر مباني المدينة، كما تحميها علاوة على ذلك منظومة مدفعية مهيأة في شكل

(1) . أحمد النائب الأنصاري. المنهل العذب في تاريخ اطرابلس العذب. الجزء الأول اطرابلس: منشورات دار الفرجاني،(دت)ص337

(2) . دار المحفوظات التاريخية. وثيقة رقم ق/40

نصف دائرة كما أن هناك عدة مدافع منتصبة وشتى التحصينات الدفاعية والمتاريس تحمي الميناء الذي يؤوي حالياً خمس عشرة سفينة حربية تركية، وما أن أرسينا حتى أسرع إلينا قارب فكان على قائد سفينتنا أن أدلى بما طلب إليه من إرشادات، وعقب ذلك حضر ترجمان القنصل الإنجليزي ومعه التصريح الذي يخول لي النزول إلى البر فعجلت بالاستفادة من صلاحيته».(ص99).

يستعرض إيفالد بعض من تاريخ اطرابلس وأسباب ثورة أهل المنشية في العهد القرمانلي فيقول « لم أستشف الخبر الصحيح فيما يتعلق بثورة طرابلس الهامة الأخيرة إلا على عين المكان فقبل ما يزيد على 150[1] سنة استولى ال «القرمانلي» على عرش طرابلس وعكفوا بالاشتراك مع تونس والجزائر على سلب النصارى واسترقاقهم. إلا أنه والحمد لله تم منذ سنة 1816م محو هذا الشنار الذي ظل زمنا طويلا يثقل عاتق الأمة المسيحية قاطبة. وكان من نتائج ذلك أن تقلص دخل هؤلاء اللصوص بنسبة هائلة ولحق الضرر اطرابلس بالخصوص إذ يقال إن هذه الممارسة كانت تدر على الباشا بمفرده ربحا خالصا يقدر ب600.000 دولار، ولم يذكر إيفالد أنَّ هذه الأعمال في حقيقتها كانت ردة فعل تجاه ما يقوم به الأوروبيون من قرصنة ولصوصية في مياه البحر المتوسط.

أحس يوسف باشا كثيرا بالخسارة ولكنه عرف في البداية كيف يجاري الوضع ببعض التقشف في نمط عيشه، ولكن مع تقدمه في العمر ازداد ولعه بعديد النساء فكان أن دفعته في دوامة النزوات الجنونية. وغرق في ديون بالغة وطالب أصحابها بأموالهم وأخيرا لم يجد حلا سوى أن دعا إليه شيوخ العربان وقال لهم إنه في حاجة إلى المال لتسديد ديونه وأنه يطالب كل فرد منهم بمبلغ معين، ثارت ثائرة العربان قاطبة وأهالي المدن خارج اطرابلس، وعلت من الخيام والقرى والمدن خارج طرابلس صيحة واحدة تنادي بان يوسف باشا غير جدير بالعرش ولما وصلت هذه الصيحة المفزعة مسمع يوسف، تصرف بحنكة وتخلى عن الحكم لصالح ابنه علي باشا وتبوأ هذا العرش وبايعه كامل أهل المدينة باشا عليهم ...» (ص100).

يسرد إيفالد بعض التفاصيل والأحداث التي شهدتها اطرابلس والحرب بين أهل المنشية الذين لم يعترفوا بشرعية تولية علي باشا رغم حصوله على فرمان سلطاني ما أدى إلى ضعف صف علي الباشا حتى أنه لم يبق معه سوى مئات من الرجال، تعوزهم القدرة الكافية للدفاع

(1) . الصواب 124 سنة

عن المدينة كما ينبغي، ورفع القطر بأكمله السلاح ضد علي باشا وتمكن جيش اعدائه حتى من جلب المدافع العادية ومدافع الهاون، وتم ضرب الحصار على المدينة في بعض النقاط وتهاطل عليها وابل من الرصاص والقنابل أحدثت أضراراً جسيمة » . (101ص)
يشير الرحالة إلى أرسال السلطان العثماني لأسطول بحري بقيادة نديب باشا (الصواب نجيب باشا) الذي تمكن من السيطرة على طرابلس الغرب ونفى علي باشا وأتباعه المقربين إلى إسطنبول وبذلك عادت اطرابلس ولاية عثمانية وقضت على حكم الأسرة القرمانلية الذي أمتد 124 سنة وبقى يوسف باشا في طرابلس، وهو هرم في الثمانين من عمره، ومعه نساؤه الثلاث وأطفاله، وأجريت له من باب الشفقة جراية أسبوعية، وبهذه الصورة انتهت ثورة طرابلس الأخيرة التي تسببت على مدى ثلاثة أعوام في إفقار المدينة من أهلها وفي إفقارها وهدم كيان تجارتها، وفي الحاق ضرر بالقطر لن يزول أثره عما قريب. ولا ريب في أن دولة طرابلس سوف تظل خاضعة لتركيا وتدخل عهد جديد» (ص.103) .
يصف الرحالة إيفالد الحامية التركية التي بطرابلس والمؤلفة من 4500 رجل زيهم وتدريبهم أوروبي النمط تمام وعلى العموم فإن هيأتهم حسنة إلا أنهم يجدون صعوبة في الالتزام بالوقوف فترى العديد من الحراس جالسين في تمام الراحة في مواطن حراستهم، إما على كرسي أو حجر قاموا بجلبه. ذلك أنهم يؤمنون إيمانا صريحا بأن الحراسة جلوسا لا تقل شجاعة عنها وقوفا ومن منغصاتهم أيضا واجب لبس الأحذية والجوارب ولكنهم عادة ما يتخلصون من هذا العبء دفعة واحدة أو أنهم ينتعلون الحذاء وكأنه مجرد خفّ (شبشب) » (104) وهو يرجع هذا التصرف إلى تقيد المسلمين بالصلاة خمس مرات كل يوم وبغسل الأيدي إلى المرافق والأرجل قبل كل صلاة، ويلاحظ المبشر إيفالد بأنه رغم وجود الحاكم الجديد محمد نجيب باشا بطرابلس لمدة أربعة أشهر فإنه لم يقم بزيارة أي مسجد من مساجد المدينة مما أثار كثيرا استغراب الأهالي، وفي 1835/9/8م قام بأداء أول زيارة لأحد مساجد المدينة وجرى ذلك بمظهر احتفالي، حيث وقف الجنود على طول الطريق الرابطة بين القصر والمسجد وأطلقت المدافع، وخرج الباشا يتقدمه حرسه الخاص وهم يرتدون الزي التقليدي الأصيل، وتبعهم الباشا وهو رجل وسيم ذو لحية سوداء، له من العمر خمسة وثلاثون سنة، وكان يعتلي صهوة جواده بهي المظهر ازدان بأفخر زينة وأغلاها» (ص105) . قدم إلى اطرابلس يوم 1835/09/09م والٍ جديد وقد أستقبل بدوي المدافع يصم السمع، ولم يستبشر بقدومه سوى الأتراك بينما زاد العرب في التقهقر إلى داخل البلاد .

يشير إيفالد إلى الطريقة التي سيتبعها في التبشير بالمسيحية وهو أن يطوف أرجاء المدن بمفرده ويفاتح من يلاقيه منفردا ببشارة الإنجيل بعد ربط الحديث معه ، وفي أحد الأيام رأى أمام باب البحر، الأتراك بصدد القيام بمناورات وقادته قدماه إلى الولوج إلى باب مقبب به العديد من الحراس وبعد إجتيازه والدخول إلى الدهاليز والسراديب والقاعات وجد نفسه داخل قلعة طرابلس ، رغم أنه أراد الخروج إلا أن الحراس كانوا لا يتكلمون إلا التركية التي لم يكن يفقه منها شيئا، وأخيرا وجد نفسه في حضرة الباشا والوزير محمد بيت المال الذي حادثه بالفرنسية فأشار إيفالد بأنه دخل القصر على وجه الخطأ، فأمر الوزير الحراس بأن يصاحبوه إلى المنفذ ، ويشير إيفالد بأن الوزير (بيت المال) لعب دورا هاما في أثناء الثورة ضد الحكم القرمانلي» وها هو الآن يرتقي مرة أخرى إلى منصب وزير أول، لا سيما وأن الحكومة الجديدة في حاجة أكيدة إليه تجعلها لا تكاد تستطيع أن تكون في غنى عنه، نظرا لخبرته الدقيقة بكامل القطر وإلى كثرة أصدقائه بين الأهالي العرب.

يصف إيفالد مدينة اطرابلس بقوله بأنها أصغر من تونس ومن الجزائر، لكنها تفوقهما من حيث النظافة، شوارعها عريضة ومنازلها لا تختلف عما هو مألوف في مدن ساحل الشمال إفريقيا عموما باستثناء منازل القناصل الأوروبيين، وعددها أحد عشر منزلا يحق نعتها بالجميلة، وشكل قصر الباشا (السراي) الأسبق كومة غير متناسقة من البناءات، أنجزت على ما يبدو تدريجيا وحسب الحاجة...ويقال إن طرابلس كانت تؤوي قبل الثورة ثمانية عشر ألف مسلم وأربعة ألف يهودي وألفين من النصارى، أما اليوم فلا يتجاوز عدد سكانها النصف أو أقل فقد هجر المدينة أثرياؤها ، غالبهم إلى مصر وأماكن أخرى، ولم يعودوا وهذا يفسر أنى وجدت صفوفا بأسرها من الدكاكين مغلقة وشوارع برمتها خالية من السكان» (109) ويلاحظ بأن اطرابلس تفتقر إلى المدارس العليا ويتعين على من يريد تحصيل العلوم والمعرفة الذهاب إلى تونس أو مصر.

وتستوقفه الحياة الاقتصادية بطرابلس قبيل اندلاع الثورة ضد الحكم القرمانلي فذكر أن سوق العبيد كان من أهم الأسواق على كامل ساحل أفريقيا الشمالي، فقد كان يستقطب قوافل جرارة من أولئك البؤساء أصيلي باطن إفريقيا ومن هنا يؤخذون للبيع على طول الساحل أما بعد القضاء على الحكم القرمانلي فقد صار تجار العبيد يسلكون طريقا غير طريق طرابلس» (109). ويشير إلى سكان المنشية والذين يقدرهم ب30.000 نفس يسكنون كلهم الجنان... وترتفع في أحواز المدينة عشرة ملايين نخلة تدر عليها دخلا يناهر خمسة مليون (غولدن) في السنة» (116).



المقبرة البروتستانتية في طريق الشط بطرابلس



القنصلية الإنجليزية بالمدينة القديمة

ووصف إيفالد أهم معالم مدينة اطرابلس وهو قوس النصر الروماني المحلي بنقوش بارزة وهو في حالة جيدة أتخذه أحد المالطيين دكاناً، ويشير إلى بعض المدن في ليبيا ومن أهمها مدينة بنغازي التي كانت تصدر إلى مالطا الغنم والصوف، ومدينة طلميتة حيث لا تزال تكمن أعداد من التحف العتيقة العجيبة ويملك القنصل الإنجليزي بطرابلس مجموعة لا يستهان بها منها كشفت عنها حفريات كلف بالقيام بها صهره نائب قنصل ببنغازي وهي مجموعة لم يسبق لي قط أن شاهدت عيناي أروع منها (ص115) وأشار إلى مدينة درنة والبمبة ومدينة لبدة الأثرية التي مازالت بها أطلال معبد ماثلة للعيان وعدة أقواس نصر ومجاري مياه وأعمدة وغير ذلك وقد أمر القنصل الإنجليزي بطرابلس بالحفر عن تحف فنية عديدة بعث بها إلى إنجلترا ومحبي الفن من الأوروبيين ليكشفوا عنها (116).

ويهتم المبشر إيفالد بالمهمة الرئيسية التي جاء من أجلها إلى مدينة اطرابلس فيتحدث عن عدد النصارى الكاثوليك المقيميين حاليا بها وتاريخ تأسيس كنيسة فيها سنة 1687م ودير لإيواء الرهبان كما أن البروتستانت أنشأوا مقبرة لهم سنة 1830م على بعد ساعة من المدينة وقد دفن بها في بداية شهر سبتمبر1830م طفل مات للقنصل الأمريكي فشيعت الجنازة إلى المقبرة التي لازالت موجودة حتى الأن بمنطقة الشعاب بطرابلس. كما أقام المبشر إيفالد القداس يوم الأحد في القنصلية الإنجليزية وناولهم العشاء الرباني.

لقد وجد إيفالد أهالي اطرابلس على قدر كبير من لين الطبع مما سهل عليه الدخول معهم في الحديث ومفاتحتهم في حقائق دينه، وينطبق الأمر على اليهود أيضا، وقد نفدت كل ذخيرته من نسخ الإنجيل، بعد أن وزع منها رصيدا لا يستهان به.

إن صاحب هذه الرحلة المبشر إيفالد من أصل يهودي أعتنق الديانة المسيحية وانضم إلى الكنيسة الانجليكانية التي وجدت فيه من المؤهلات والحماس لخدمة العقيدة البديلة مما جعلها تنوط به مهمة التبشير باسمها على سواحل إفريقيا الشمالية إبان دخول المستعمر الفرنسي إليها ، فزار الجزائر وتونس واطرابلس وعمل بجد لنشر المسيحية بين أهلها وخاصة من اليهود، لقد أختار المبشر إيفالد المكان الخطأ إذ إن أهل المنطقة يتمسكون بالإسلام دينا، كما أن اليهود به كانوا من المتشبثين بيهوديتهم فلذلك كان الفشل قرين رحلته وإن نفاذ الكميات الهائلة من الإنجيل التي جلبها قد استخدمت في غير ما أراد» ويمدنا الأمير بوكلير[1] ببعض الإرشادات عن نشاط ابن قومه هذا (إيفالد) ويؤكد ببعض التهكم فشله

(1) . هو الأمير بوكلير موسكاو رحالة زار تونس والتقي المبشر إيفالد فيها

الذريع في تنصير أي كان رغم الكميات الهائلة من الكتب « المقدسة » التي كان يجود بها ويسوق بوكلير في هذا الصدد نادرة طريفة تعكس هذا، مفادها ان (الشاب الطيب القلب) كما يسميه تسرع في تأويل الإقبال الكبير على كتبه وأناجيله ولم يدرك حقيقة الأمر إلا عندما جال في الأسواق فما راعه إلا وأصحاب المتاجر وقد اتخذوا منها ورقا للف البضاعة .»[1]

إن رحلة إيفالد رغم أن إطارها يقع ضمن رحلة دينية تبشيرية إلا أنها رحلة مهمة فهي وثيقة هامة تتضمن معلومات اثنولوجية واجتماعية وأنثربولوجية . والكتاب على هذا الأساس معين ثرى يفيد المؤرخ ودارس المجتمع العربي في القرن التاسع عشر. » [2] كما أن المبشر إيفالد أعطى معلومات تاريخية وأثرية واقتصادية عن حالة اطرابلس في نهاية العهد القرمانلي وبداية العهد العثماني الثاني يستفيد منها الباحث الذي يهتم بدراسة فترة انتقال الحكم من القرمانليين إلى العثمانيين مرة أخرى بما عرف بالعهد العثماني الثاني 1835 . 1911م .

---

(1) . رحلة المبشر إيفالد. مقدمة المترجم ص11

(2) . رحلة المبشر إيفالد. مقدمة دار النشر بيت الحكمة ص 7





سليمان الجادوي

رحلة إلى اطرابلس

قبيل الاحتلال الإيطالي 1909م *

هذه الرحلة قام بها أحد الأدباء والصحفيين التونسيين إلى طرابلس سنة 1909م وهو سليمان الجادوي الذي ولد بجزيرة جربة 1881 وتوفي 1950م درس بالزيتونة بتونس، وقد أصدر عدة صحف بتونس منها المرشد ، ومرشد الأمة وأبو نواس . نقتبس هنا رحلته من كتاب يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، الجزء الأول 1911م للأستاذ محمد صالح الجابري ، نشر الدار العربية للكتاب سنة 1982م ، نشر الجادوي رحلته في جريدته مرشد الأمة الصادرة في 9 يوليو 1909م تحت عنوان رحلتنا الشرقية لمشاهدة الحوادث الدستورية في طرابلس الغرب . وهو يزودنا بمعلومات قيمة عن الوضع السياسي، والاجتماعي والتعليمي والعسكري بطرابلس قبيل الاحتلال الإيطالي للبلاد .

يبدأ الرحالة حديثه عن وداع أهله وبلده وعن لوعة فؤاده من فرقة الأحباب والأهل ، ويذكر أن أول بلد نزله فيه هي العاصمة الطرابلسية، وقاعدة الولاية العثمانية الأفريقية فلنبتدئ بالكلام عليها مختصرا، ونقول كانت تلك الولاية قبل إعلان الدستور على غاية من التقهقر والانحطاط من كل جهة التقدم والارتقاء، مهملة لحد أن جعل دولة المكرونة (إيطاليا) تتحفز للوثوب عليها حينا بعد حين . حتى ظن بالشعب الطرابلسي أنه أحط الشعوب والعناصر ميالا للكسل عدوا للعمل، كثير الاتكال على القدر وسابق العلم . لا يفكر في الإصلاح بحال . وإن سئل عن حاله وطمع الأجنبي في امتلاك رقبته وماله، أجاب بقوله (الله ينصر السلطان، والشيء لله يالسمر يا سيدي عبد السلام) .

ويمضي الجادوي يسرد ما عانته طرابلس (ليبيا) من تخلف وجهل في عهد السلطان عبدالحميد الذي يقول عنه : (فإن عبدالحميد (الفرعون بلا موسى) عدو العلم ، مبغض لرجال الإصلاح، يفكر بدعاة النهضة أحباب الوطن ، فبدل أن يحارب الجهل حارب العلم يتحامل الجادوي كثيراً على السلطان عبدالحميد، ولا عجب في ذلك، فعنوان رحلته يدل على أنه من مناصري جمعية الإتحاد والترقي ، وكان غرض رحلته (لمشاهدة الحوادث الدستورية) وهو متفائل بالعهد الجديد، ويظهر ذلك من قوله (حللت بهذه الولاية بعد الحرية بقليل

---

*. رحلة إلى طرابلس قبيل الاحتلال الإيطالي 1909م ، العدد 3،4، التاريخ 10،1987/05/11م ، نشر بجريدة طرابلس القديمة ، صدرت عن مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة ، طرابلس .

فوجدت أهلها يسيرون سيراً حثيثا في طريق التقدم والإرتقاء ففي هذا الأمد القصير أسست الجمعيات العلمية ، والشركات التجارية والمالية ، والنوادي الأدبية في عاصمة الولاية وفي غيرها من المدن الأهلة والقرى العامرة، وتحركت همم بعض الأدباء والكتاب لجلب المطابع وتأسيس الجرائد والمجلات العلمية والسياسية وغيرها . للعلم بما للصحف الدورية من قوة النفوذ في تحريك العزائم وبعث النشاط في الهمم . والسير بالعموم إلى حيث النجاح والفلاح وسعادة الحياة وحفظ المواطن .

يستمر سليمان الجادوي في تدوين مشاهداته عن اطرابلس فينشر في نفس الجريدة (مرشد الأمة) الصادر في 30 يوليو 1909م وتحت نفس العنوان (رحلتنا الشرقية لمشاهدة الحوادث الدستورية بطرابلس الغرب) . فيذكر أنه من حسن الحظ ألفيت يومئذ العاصمة تستعد للاحتفال بيوم إفتتاح مجلس المبعوثان الموقر ، نعم وما جاء زوال ذلك اليوم حتى أقبل البرق من دار السعادة بعين الأوان، وكيفية الاحتفال والمهرجان فأسرع ما لبست المدينة أثواب الزينات الفاخرة، وانتشرت على أسوارها الأعلام، وارتفعت فوق ربوعها الرايات الهلالية ذات الألوان البهية . وفي صباح الغد أقيم موكب رسمي بداخل السرايا العامرة حضره كافة رجال العسكرية والملكية، وغالب العساكر النظامية وسائر الأعيان والوجهاء وكل الجمعيات الأهلية والقناصل الدولية .

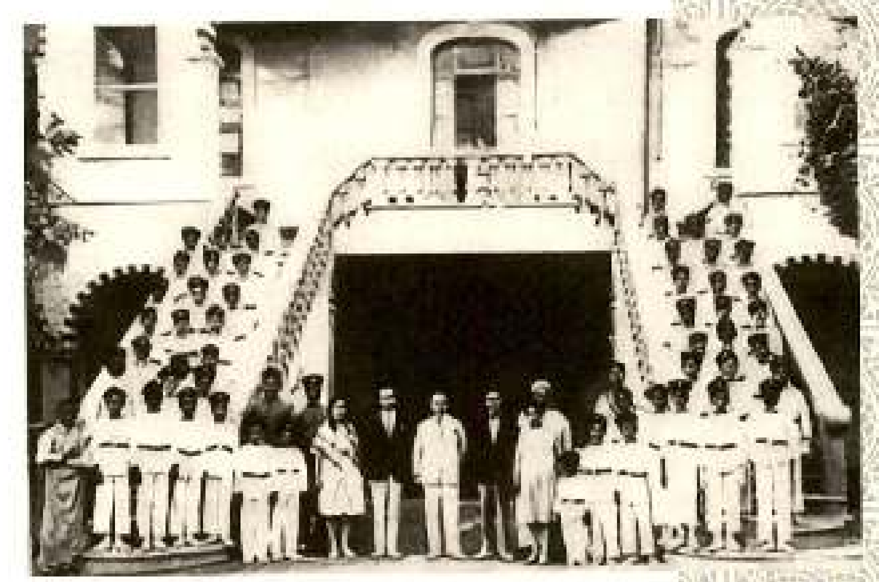
ولم يفت الرحالة في جو هذا الاحتفال من ملاحظة قناصل الدول الأجنبية فيقول (ومما أستطرد ذكره هنا شيئا لمحته من القنصل الإنجليزي وقتئذ ذكرني مقدرة رجال الإنجليز في إستمالة الشعوب، وتحويل أميال الأمم إليهم . وما هي إلا حركات إنعطافية بسيطة جدا وتلاعب سياسي محض استعمله المؤما إليه ، أمام ذلك الجمع الكبير المشهود وما قلت هذا إلا لكوني رأيتها أثرت على العموم وأستمالت تلك الجماهير وحسبوها ترجمانا عن إحساس دولة أدوارد السابع نحو الهلال، وأما القنصل النمساوي فشاهدته أشعر بغض، ورأيت عليه اضطرابا، ولمحت من الجميع النظر إليه شزراً ، ولم أره حسنا في ذلك الأيان، ولكن تيار العواطف والوجدان لا يستطاع رده فالأمة ألف عذر ... ولا عجب أن يأخذ الحاضرون هذا الموقف من هذا القنصل ، فإن دولته تؤيد الاطماع الإستعمارية الإيطالية في ليبيا، ومما يثير أعجاب الجادوي منابذة البضائع النمساوية، فرأيت للقوم حزما غريبا في مقاطعتها واتحادا محكما في معكاستها، وإتفاقا عجيبا في منازلتها وتصلبا وثباتا لا يعهد إلا في أمة السويس (يعنى سويسرا) المتعلمة، لا في الشعب الطرابلسي الذي كان يحسب من الأموات!!

ينتقل الجادوي بعد هذه اللفتة السياسية إلى التعليم والقائمين عليه فيذكر (أن نظام التعليم العصري، وذيوعه بالعاصمة وغيرها من المدن الأهلية والقرى الكبرى منحط جدا « وشرف له إن شبهناه بالنظام المشويلي عندنا من الوجهة الأهلية « ومدير المعارف هنالك أكثر غراما، وأزيد شغفا من زميله السابق الذكر، وقتل الإحساس هنا بخنق التعليم (كأنه حميدي الطباع)، وما شويل كما يذكر المؤلف محمد صالح الجابري في الهامش كان مدير المعارف والتربية بتونس في تلك الفترة وكان معروفا بغطرسته الاستعمارية وبعمله للقضاء على اللغة العربية .

وقد روي الجادوي قصة عن سوء تصرف مدير المعارف فذكر بأنه (في أحدى المكاتب (المدارس) شغر منصب معلم اللسان الفرنسي، وكانت هذه الوظيفة أكثر جراية من غيرها وكان للمدير موظف قريبه لا يحسن الفرنسية فسماه على تلك الوظيفة، ثم أتي برجل يقوم بها بأحسن قيام، وأسند إليه وظيفة المؤما إليه أنفا، ثم أمر كلا منهما أن يقوم بوظيفة الأخر توصلا لأن ينال قريبه أكثر مرتب، ثم يصف الجادوي التعليم الديني بطرابلس فيقول:

(وأما التعليم الديني بالمساجد هناك فمفقود من أصله، ولا توجد إلا بعض الدروس بسيطة للغاية لا تستحق الذكر، ولا نظام له البتة ، والمدرسون ينالون مرتبة التدريس بالوراثة ..

ولا يخفى الرحالة أعجابه بمدرسة الفنون والصنائع فيقول عنها (ولا يوجد أثر حسن للحكومة قد لمس من الوجهة العلمية غير مكتب الصنائع المؤسسة على عهدها والحق يقال أنه مأثرة كبرى، ولا أخال يوجد له نظير في كل البلاد الإفريقية على الإطلاق فزرناه وتفرجنا على أقسامه البديعة النظام، ولمحنا عديد التلاميذ في خلاله كل يشتغل حرفته بإبداع وإتقان وارفع أسلوب ونشاط وحزم، فخرجنا ولسان صدق يرتل آيات الحمد والشكر على أن رأينا مرجعا علميا كهذا يضمن سعادة حياة الألاف من أبناء الفقراء والأيتام والبطالين، الذين يهتدون إلى باب الإرتزاق ويعسر عليهم نيل القوت الضروري ما دام الجهل قابضا على العقول . ينتقل بعدها الجادوي إلى وصف الإدارة والقائمين عليها بالولاية فيذكر أن منصب الوالي كان شاغرا والناس في شغف لقدوم والي اتحادي لكي يسير بالبلاد إلى أين الرقي والسعادة والفلاح ويطهر الإدارات من رجال التقهقر وأنصار التأخر والخذلان ويبعد عنها من فقدت فيه الكفاءة والمقدرة وقد قدم عليها أحمد فوزي باشا من أكابر الإتحاديين غير أنه إلى اليوم ما عمل عملا راق في نظر الأمة الطرابلسية البنة (إلا خنق الصحافة) بأدنى الأسباب كما جاء في جرائدهم ، ثم يصف رجال الإدارة



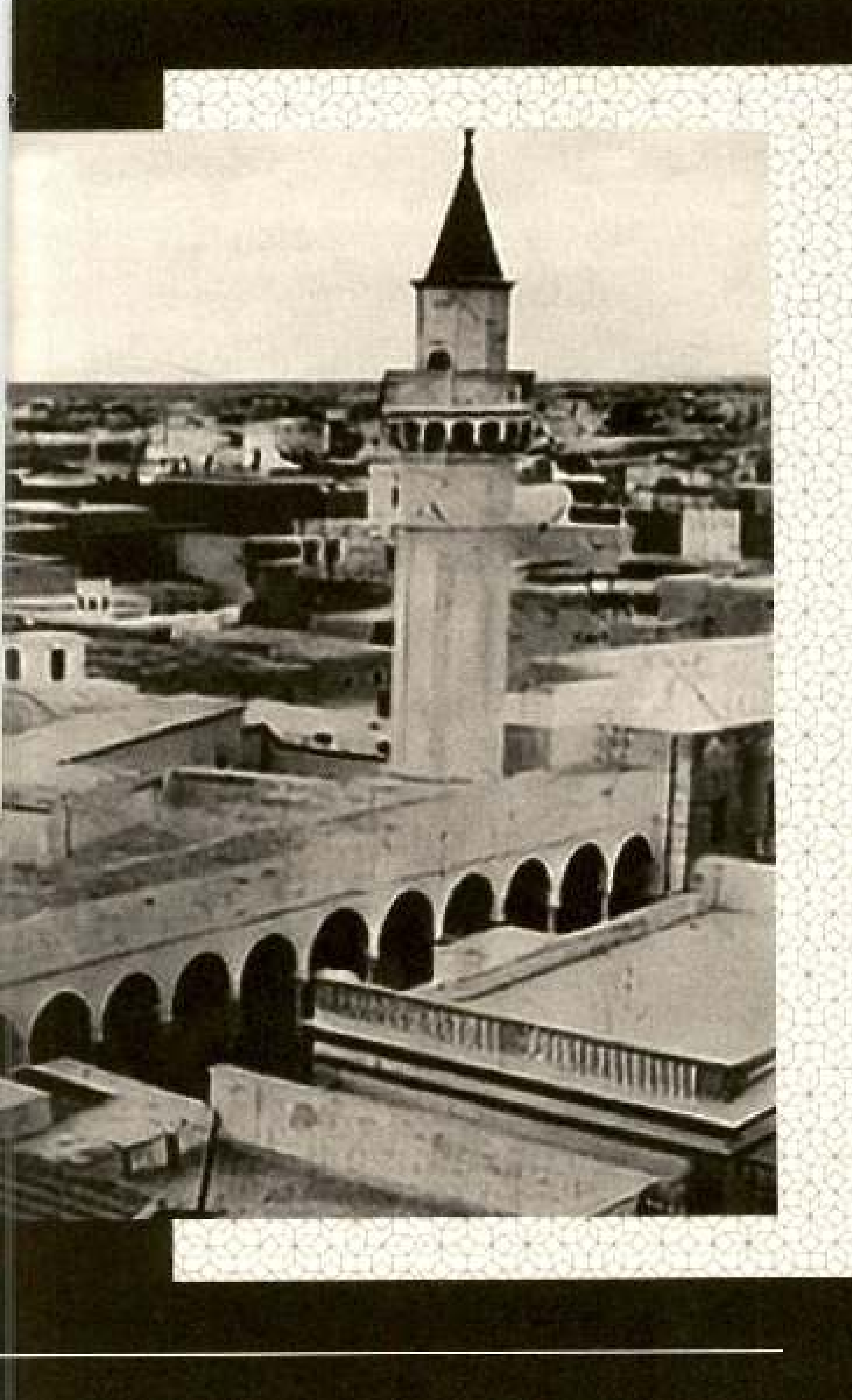
طلبة لمدرسة الفنون والصنائع الأسلامية



عرض لفرقة الفنون والصنائع الأسلامية 1950م

بقوله أما المكتوبجي باي الذي هو أظلم من فرعون والدفتردار (مدير المال العمومي) الذي ينتهي إليه الإستبداد، ورئيس البلدية (شيخ لغبينه في إصطلاح أخر عن القيام بأدني وظيف مازال كل واحد من هؤلاء يشتغل وظيفته والتقهقر السائد . لا ينسى الرحالة أن يصف الحالة العسكرية في الولاية وخاصة أن الأطماع الإستعمارية الإيطالية لاحتلال البلاد لم تعد خافية على أحد فيذكر (أن حالة العساكر ونظام الجيش تحسنت نوعا ما إن قيست على ما نعهده في القديم، وقد زرت بعض القشلات العسكرية، فقوبلت بنهاية اللطف والمجاملة ويقدر عدد العساكر في كل الولاية بسبعة وعشرين الفاً .

وفي ختام زيارته لمدينة طرابلس يشكر الرحالة من بالغ في إكرامه والإحتفاء به ويخص بالذكر المؤرخ الشهير السيد أحمد باي النائب والسيد محمد باي النائب صاحب جريدة الكشاف وغيرهم.





الفصل الثالث : العمارة الدينية



صورة لجـــــامـــع أحمد باشا القرمانلي

بعض مساجد مدينة اطرابلس القديمة*

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) سورة الجن الآية 18

كانت مدينة طرابلس إحدى المدن الكثيرة التي تخضع للإستعمار البيزنطي إلى أن حررها القائد العربي عمرو بن العاص (22هـ) (642-643 م) و وجد الإسلام في قلوب أهلها هوى فاعتنقوه وأصبحت اللغة العربية – لغة القرآن – لغة أهلها.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن القائد عمرو بن العاص أسس مسجداً بمدينة طرابلس سنة 22هـ، وإن صح هذا القول فيكون ثاني مسجد في القارة الأفريقية، وأول مسجد في شمالها. ولم تزودنا المصادر التاريخية بوصف لهذا المسجد ويحتمل أنه لا يختلف عن المسجد الذي اختطه الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة الإسلامية بالمدينة، فقد كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم شبه مربع، استعملت جذوع النخل والجريد والسعف في تسقيفه، ولم يزود بمحراب ولا مئذنة. وكان البناء بسيطاً روعي فيه أن يؤدي الغرض المقام من أجله ويقى الذين يرتادونه حرارة الشمس في فصل الصيف، ومن المعروف أنَّ عمرو بن العاص بني مسجداً بالفسطاط – وهي اليوم القسم الجنوبي من القاهرة على ضفة النيل الشرقية– وتميز كالمساجد الأولى في الإسلام بالبساطة في البناء والفرش . ومن المحتمل أن يكون مسجد عمرو بطرابلس مشابهاً لمسجده بالفسطاط . وإن كان ثمة اختلاف فإنه في بعض مواد البناء. إذ ربما استغل عمرو حجارة بعض المباني القديمة في طرابلس في تشييده كما استغل جذوع النخل دعامات وسقفه بجذوع النخل وجريده وسعفه، ويرجح بعض الباحثين بأن موقع هذا المسجد بالمكان الذي يقوم عليه الآن مسجد(أحمد باشا) وإن كان ليس هناك من أدلة تؤيد ذلك.

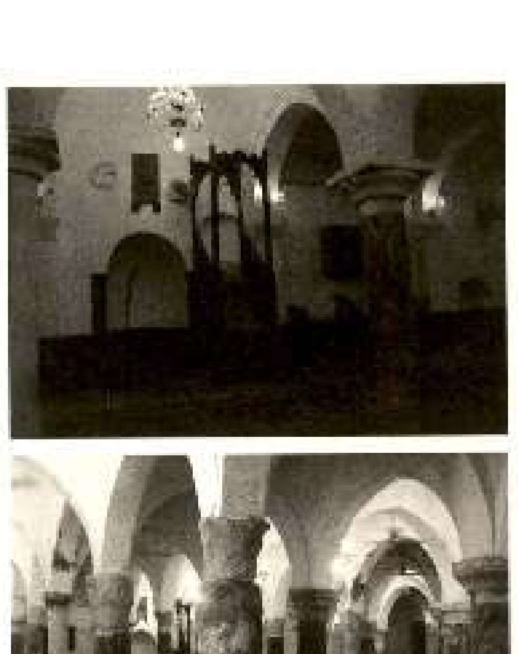
تحدث كثير من المؤرخين والرحالة عن مساجد مدينة طرابلس فذكر البكري في كتابه (المسالك والممالك في القرن الخامس). فقال (ومبنى جامعها أحسن مبنى) [1] اما الرحالة العبدري الذي زار مدينة طرابلس في سنة (688هـ) فوصفها ووصف جامعها بقوله (ولم أر بها ما يروق العيون وسما أن يقوم بالدون، سوى جامعها ومدرستها فإنَّ لهما من حسن الصورة نصيباً ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً). [2]

* . نشر بمجلة تراث الشعب – السنة 11، العدد 1، 1991م

(1) . البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ص7

(2) . العبدري : رحلة العبدري . عن إحسان عباس ليبيا في كتاب الجغرافيا والرحلات













صور لجــــامع النــــاقــة

أما الرحالة أبو محمد عبدالله التجاني الذي زار طرابلس بين سنتي(706-708هـ) ومكث بها 18 شهراً فإنه يشير إلى مساجد طرابلس ويذكر بان (هناك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله).[1] وأشار إلى أن (مساجد البلد لا تحصى كثرة وهي تكاد تناهز الدور عدة) [2] وقد أشار إلى بعضها.

أهم مساجد مدينة اطرابلس القديمة :

نظراً لكثرة المساجد بمدينة اطرابلس فإني سأقتصر على الإشارة إلى بعضها :

1. جامع الناقة :

يقع هذا الجامع بمنطقة الفنيدقة، ويرتبط تأسيسه برواية يرتقى الخيال إليها،ولكن من المرجح أنه من أقدم الجوامع في مدينة طرابلس ويرجع تشييده إلى العهد الفاطمي إذ يذكر الرحالة التجاني أنه بين القصبة والمدرسة المنتصرية «جامع اطرابلس الأعظم الذي بناه بنوعبيد وهو جامع متسع مرتفع قائم على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد، وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض، مستدير فلمّا تم نصفه كذلك سدس، وكان بناؤه في العام المكمل للمائة الثالثة على يد خليل ابن إسحاق.»[3] ويذكر « أنَّ شكرا المعروف بالصقلبي ابتنى الماجل الذي بجامع اطرابلس من الجهة الجوفية والقبة التي عليه في السنة تسع وتسعين ومائتين، وأن خليل بن اسحاق ابتنى المنار الذي به.»[4]

ويبدو أن هذا الجامع خاصة أنه كان الجامع الأعظم -قد شهد عدة ترميمات وإضافات وتسكت المصادر التي كتبت عن اطرابلس عن هذه الإضافات قبل القرن السابع عشر ويلاحظ أنه تعرض إلى التهديم والتخريب عند الإحتلال الإسباني سنة 1510م، وتشير اللوحة التذكارية التي وضعت على الباب الشمالي الشرقي إلى أن الجامع قد جدد في عهد الوالي (صفر داي) وكان الفراغ من التجديد في أواسط رمضان 1019هـ/1610م، حيث تشير اللوحة صراحة بأنه قد « استجد بناء هذا الجامع الأعظم» أي أن جامع الناقة هو جامع اطرابلس الأعظم، ويؤيد ذلك أيضاً قول الرحالة التجاني بان جامع اطرابلس الأعظم يقع بين القصبة (وهي كما تشير مصادر قلعة اطرابلس - أي السراي الحمراء)

---

(1) . التجاني : رحلة التجاني،ص245
(2) . التجاني : المصدر السابق، ص 254
(3) . التجاني. المصدر السابق، ص 253
(4) . التجاني. المصدر السابق، ص 254






جـــامـــع الـــخروية

والمدرسة المنتصرية التي يرجح أنها تقع في مكان ما بالقرب من مدرسة عثمان باشا وهذا القول ينطبق على جامع الناقة، ويذكر « المهندس ميسانا « بأن تجديد (صفر داي) لجامع الناقة « كان في الحقيقة يريد إعادة الحياة إلى ما سبق أن كان أعظم جامع في اطرابلس أي الجامع الذي تحدث عنه التجاني ونسب إلى الفاطميين الفضل في إقامته .» [1]

إن ما أشار إليه الرحالة التجاني يفيد بان الجامع متسع وله سقف مجدد حديثاً – لأيام مقام التجاني بطرابلس– وأنَّ بناء المنار سنة 299هـ يبيّنُ أن جامع الناقة قد شيد في فترة مبكرة. ويمتاز هذا الجامع بمئذنته « المربعة الشكل مساحتها5،60 متراً مربعاً والممر الذي يلف داخل مربع المئذنة ويقود إلى أعلاها مكون من 36 درجة وقد غطى بقطع من جذوع النخل في وضع مائل ولا زالت آثار الحريق منذ العهد الأسباني باقية إلى الآن مما يدل على أن بدن المنارة أقدم عهداً من اللوحة المؤرخة، ونحن نعرف أن المآذن المربعة سمة بارزة للطراز المغربي ولا يخفي علينا أن الابراج المربعة في أركان المسجد الأموي بدمشق تعتبر الأولى في الإسلام وكان لها الأثر في تصميم المآذن في كل من شمال أفريقيا والأندلس»[2]

محراب الجامع عبارة عن تجويف بسيط في جدار القبلة، تعلوه لوحة رخامية مزخرفة بزخارف نباتية كتب في الجزء العلوي منها « لا إله إلا الله » وفي الجزء السفلي « محمد رسول الله » أما المنبر فيتميز بالبساطة إذ صنع من الخشب، ويحدد مكانه تجويف بسيط نحت في سمك الجدار.« إن جامع الناقة يعتبر من أينع ثمار المعمار الاسلامي في ليبيا، وكان قبل تهديمه عام 916هـ/1510م، نموذجاً مرموقاً للمعمار المغربي، وكان في نفس الوقت أعظم عمارة أثرية تعتز بها البلاد. » [3]

2. جامع الخروبة :

يقع هذا الجامع بمنطقة الفنيدقة ولا يبعد كثيراً عن جامع الناقة « يروى أن هذا الجامع قد تم تأسيسه منذ خمسة قرون مضت، وقد نجا دون أضرار خطيرة من شر كافة الوقائع الحربية التي تعرضت لها المدينة، ولذا يحتفظ حتى الآن بوضعه الأصلي بإستثناء بعض الإضافات والتوسيعات .» [4] وبيت الصلاة عبارة عن قاعة16x16 م يتوسط جدارالقبلة

---

(1) . غاسبر ميسانا، المعمار الاسلامي في ليبيا، ص 167
(2) . بلدية اطرابلس . بلدية طرابلس في مائة عام ص 68
(3) . ميسانا، ص 179
(4) . المرجع السابق، ص 153






جــــامــع درغوت

محراب بارز عن الجدار وهو جميل الشكل به زخارف جصية نباتية وهندسية، وهو يعد من أجمل محاريب مساجد اطرابلس التي فيها مسحة من الجمال ومهارة الصانع العربي وبنى المنبر من الحجر وتعلو نهايته قبة صغيرة يعلوها هلال ومقامة على أربعة أعمدة صغيرة أما المئذنة فقد جاءت اسطونية الشكل يعلوها هرم خشبي مدبب من أعلى مثمن الشكل يعلوه هلال.

3. جامع درغوت:

درغوت باشا هو أحد أمراء البحر العثمانيين عينه السلطان العثماني والياً على اطرابلس عام 1553م واستمر في حكمها إلى أن أستشهد أثناء حصاره جزيرة مالطا سنة 1565م فأحضر جثمانه ودفن بضريحه بالمسجد الذي بناه بمدينة اطرابلس سنة 1559م.

ويعد هذا الجامع أول جامع عثماني داخل أسوار مدينة اطرابلس، جدد سقف الجامع على يد (علي بك) 1013هـ (1604م) كما تشير لوحة تذكارية فوق أحد أبواب قاعة الصلاة كتبت باللغة العثمانية « وقد التبس هذا التاريخ على الشيخ الطاهر الزاوي ونسبه إلى بنيان الجامع وقال (إذا صح هذا التاريخ فسيكون الجامع بني بعد وفاة درغوت بنحو 42 سنة).(1)

يتميز بناء جامع درغوت بظهور التأثيرات العثمانية على عمارته، بالإضافة إلى وجود بعض المميزات والتأثيرات المحلية، وقد تعرض الجامع للقصف خلال الحرب العالمية الثانية ولحق بقاعة الصلاة تدمير كبير،وعقب الحرب قامت إدارة الأوقاف بترميمه واصلاح ما تهدم منه وخاصة المنطقة الوسطى من قاعة الصلاة وتشير لوحتان تعلوان المحراب إلى اسم البناء علي أبو زيان والتاريخ 1366هـ (1946م)، ومئذنة هذا الجامع أسطوانية الشكل مستلهمة من الطراز العثماني» ترتكز على قاعدة مربعة طول ضلعها حوالي (4.80م)، وقد كان على ركن المئذنة ساعة شمسية خططت على لوح من الرخام الأبيض وهي ملصقه الآن فوق أحد القبور *، ملحق بالجامع تربة بها ضريح درغوت باشا كما يضم حجرة يحتفظ فيها بشعرة من شعرات الرسول صلى الله عليه وسلم ويغطي بيت الصلاة 32قبة نصف دائرية .

---

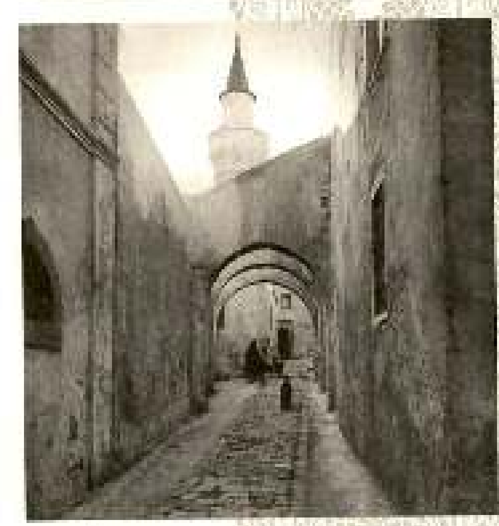
* أزيلت القبور بعد سنة 2011م .

(1) . بلدية اطرابلس، ص 70 ولمزيد من التفاصيل ينظر: موسوعة المساجد الإسلامية في ليبيا، منشورات مصلحة الآثار الليبية.









جـــامـع سيدي سالم المشاط





مدخل جـــامـع شايب العين

4. جامع سيدي سالم المشاط :

يقع هذا الجامع بمنطقة باب البحر وينسب إلى الشيخ سالم المشاط، وهو من أهل القرن التاسع الهجري، وقد ذكره الرحالة العيّاشيّ الذي زار اطرابلس في القرن الحادي عشر الهجري بقوله « ولا يعرف منهم الآن إلا قليل كسيدي سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة وقبره يزار. » [1] وذكر عبد السلام بن عثمان في كتابه (الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات) الذي فرغ من تقييده في أوائل أشرف الربيعين سنة أربع وتسعين وألف فيقول « منهم الشيخ الأعظم سيدي سالم المشاط قبره بداخل المدينة مما يلي سور البحر قريب منه مشهور وهو من أكابر الصالحين . » [2] وبيت الصلاة بهذا الجامع ينسب بناؤه إلى عثمان رايس والذي شيد في سنة 1672م عبارة عن شكل مختلف الاضلاع يتوسطه عمود، وبالبيت سدة خشبية، والمحراب تجويف في منتصف جدار القبلة يخلو من الزخرفة ومع ذلك فهو يوحي بالرهبة والخشوع، ومنبره بسيط صنع من الخشب، ويمتاز جامع سيدي سالم بمئذنته الاسطوانية الشكل القائمة على المربع، ويوجد بجوار بيت الصلاة حجرة لها مدخل على البيت بها ضريح المشاط، إن هذا الجامع ينسب إلى المشاط الذي عاش في القرن التاسع الهجري ولكن يبدو أن المسجد أقدم من هذا التاريخ إذ إنه « ليس هناك ما يثبت ان هذا المسجد قد بنى في عهده .» [3]

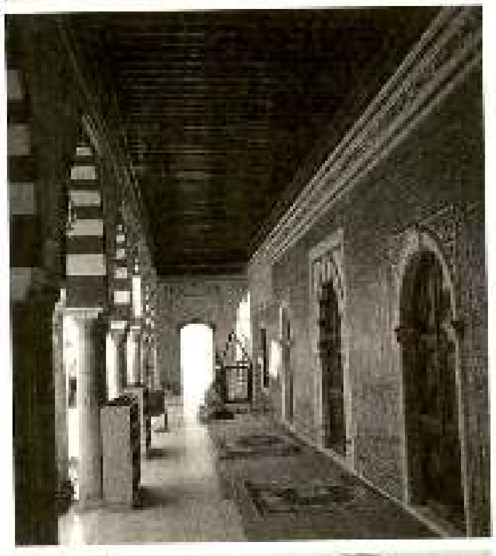
5. جامع محمد شايب العين :

يقع هذا الجامع بسوق الترك وقد شيده الوالي محمد باشا، الملقب بشايب العين 1110 – 1111هـ / 1699م « ويسترعى جامع شايب العين أنتباه الدارس من حيث الزخرفة المتقنة التي تعتمد على إستعمال أربعة عناصر أساسية متكررة (على الطرات المرمرية والأبواب الخشبية) كالأهلة والنجوم والحلى المستديرة البسيطة أو المقترنة بنخيلات وشجيرات سرو محورة [4] ويلاحظ « أن فترة العهد العثماني قد أحدثت تغييراً في العمارة الإسلامية والفن الإسلامي في ليبيا بصفة عامة فقد تعددت الأشكال الزخرفية، وتعددت كذلك المواد التي دخلت حديثاً في زخرفة المسجد الليبي[5].

---

(1) . العياشي، الرحلة العياشية (أو ماء الموائد)
(2) . عبد السلام بن عثمان، كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، ص 14
(3) . محمد الورفلي، مدينة طرابلس الاسلامية ص30
(4) . ميسانا،ص 182
(5) . د . علي البلوشي . تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي، ص 19








جـــامــع أحمد باشا

إذ كانت المساجد قبل ذلك خالية من الزخارف أو ذات زخارف بسيطة جداً إذ كان المعماري في ليبيا يهتم بالوظيفة التي سيؤديها المبنى بغض النظر عما يحمله من زخارف كان يراها ثانوية.
ويعد جامع محمد شايب العين من أقدم الجوامع التي أحتوت على عناصر زخرفية فهو غني بالزخارف المحفورة والبارزة واستعملت النجمات الخماسية والسداسية وعنصر الهلال والزهور والورود والأغصان والأوراق في تلك الزخارف، مئذنة الجامع اسطوانية الشكل بنيت على الطراز العثماني، ولها شرفة واحدة، أما المحراب فيتوسط جدار القبلة وبه زخارف وبعض الكتابات لآيات قرآنية، وصنع المنبر من الرخام ويتكون من عدة درجات تعلو نهايته قبة صغيرة مقامة على أربعة أعمدة صغيرة، ويوجد بالجامع طابق علوي يغطى الرواقين الشمالي والجنوبي من بيت الصلاة يكونان قاعتين مستطلتين تفتح بأقواس على بيت الصلاة، ويمتاز مدخل الجامع الرئيسي بالزخارف التي تحيط بإطاره كما أنَّ بابه الخشبي أولى بعناية خاصة من حيث زخرفته، ويعرض بابه القديم بمتحف السراي بطرابلس.

6. جامع أحمد باشا :

يقع هذا الجامع بسوق المشير وقد بناه أحمد باشا القرمانلي المؤسس لحكم الأسرة القرمانلية التي حكمت إيالة طرابلس من 1711-1835م، وبنى أحمد باشا جامعة سنة 1149هـ/1738م كما تشير اللوحة التذكارية التي تعلو المدخل.
وصفت « الآنسة توللي» في كتابها (عشرة أعوام في طرابلس) والتي أقامت في طرابلس من سنة 1783-1793م فقالت « يبدو القسم الأعظم الخارجي من المسجد (حيث توجد المقبرة الخاصة بدفن أفراد الأسرة الحاكمة) جميلا وبديعاً جداً،يقع في طريق الرئيسي بالقرب من الباب الخارجي للمدينة الذي يؤدي إلى الريف، ومقابل قصر الباشا تقريباً، ويوجد أمام هذا المسجد مدخل ثان من الخشب المشبك الأنيق المنقوش نقشاً مدهشاً مؤلف من بابين مزخرفين بنفس الزخرفة وعدد كبير من القرميد الملون تلويناً جميلاً يطرز ذلك أسفل الخشب الأنيق فيكسبه مظهراً رائعاً وفوق كل أبواب المسجد نقشت الآيات الطويلة من القرآن بألوان زاهية ملونة ومطلية بالذهب طلاء لا يظاهيه في الجمال والروعة مسجد آخر في المدينة»[1]
ويعد مسجد أحمد باشا تحفة فنية رائعة مقارنة بمساجد مدينة اطرابلس التي سبقته في البناء فهو « من أعظم مساجد مدينة اطرابلس أتساعاً وزخرفة وتخطيطاً ومشتملات فهذا الجامع يعتبر الأول من نوعه من حيث الغنى الزخرفي، ومن حيث تعدد المواد التي استخدمت

(1) . الآنسة توللي، عشرة أعوام في طرابلس ص 74



مآذنة جامع مصطفى قرجي



جامع مصطفى قرجي

في البرنامج الزخرفي الذي وضع له، فبيت الصلاة فيه قد زود بخمسة مداخل، وزود الجامع أيضاً بأربعة مداخل من الرخام والبعض الآخر من الحجر الجيري الأملس، وعلى هذه المداخل نجد بعض الزخارف المحزوزة».

وتبلغ مساحة الجامع الكلية بما في ذلك التربة والمدرسة 2552متراً مربعاً بينما تبلغ مساحة بيت الصلاة 400 متر مربع تقريباً وهو مزدان بالرسوم الجصية المخرمة وهي تدل على أتقان الصنعة وذوق فني رفيع، اما المحراب فيعد « من أجمل المحاريب الموجودة في اطرابلس*، فقد شكل من الرخام وتجويفه غائر في جدار القبلة ويكتنفه من كل جانب عمودان من الرخام الأبيض أحدهما له خطوط رأسية سود، ويزين باطن المحراب بلاطات من القيشاني المزخرف برسوم نباتية، وفوق هذه البلاطات شريط من الكتابة الكوفية البارزة يمثل آية قرآنية نقشت على الجص، أما باقي المساحة العلوية من المحراب فقد ملئت بزخارف على الجص غاية في الدقة، ويحيط بالمحراب إطار من بلاطات القاشاني المزخرف. »[1]

وعلى العموم فإن جامع أحمد القرمانلي يحمل كثيراً من العناصر المعمارية والفنية التي لم يسبق أن ظهورها في أي مسجد آخر يسبقه في التشييد »، ولم يَخْلُ المنبر من تلك الزخارف البديعة إذ احتوى على زخارف رخامية ملونة وهي عبارة عن أغصان و ورود، وتميز الجامع بوجود ميضأة رخامية ذات شكل مثمن يغطيها شكل مخروطي من الخشب، ويحيط بها مكان جلوس المتوضئين وجاءت المئذنة ثمانية الشكل وذات شرفة واحدة تعلوها طاقية هرمية ذات شكل مثمن صنعت من الخشب.

7. جامع مصطفى قرجي :

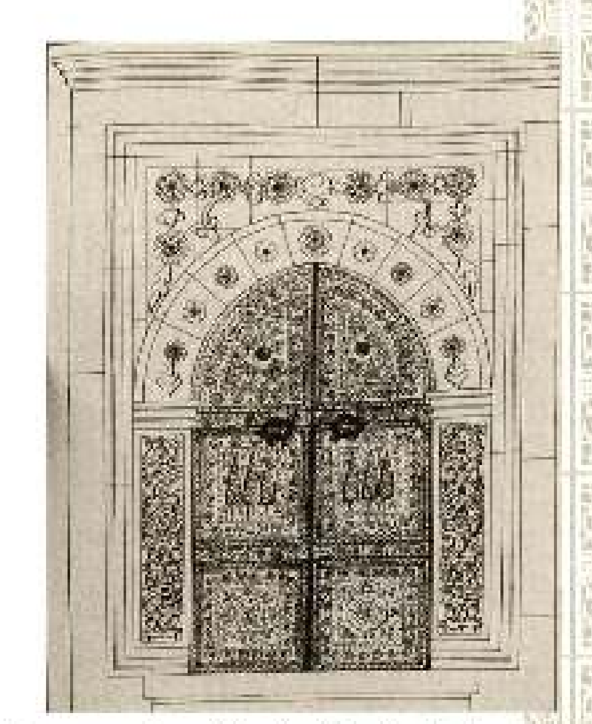
يقع هذا الجامع في منطقة باب البحر وقد أسسه مصطفى قرجي رئيس الميناء في عهد يوسف باشا القرمانلي سنة 1249هـ/1834م وهو كثير الشبه بجامع أحمد باشا «بل أنَّ جامع قرجي أغنى زخرفة وأجمل مئذنة وهي الوحيدة بين مآذن اطرابلس التي تحتوي على شرفتين، ولكن جامع أحمد باشا أكبر مساحة وأكثر تناسقاً في الزخرفة والبناء، وكل منها يعد آية رائعة للفن الزخرفي والمعماري.»[2]

---

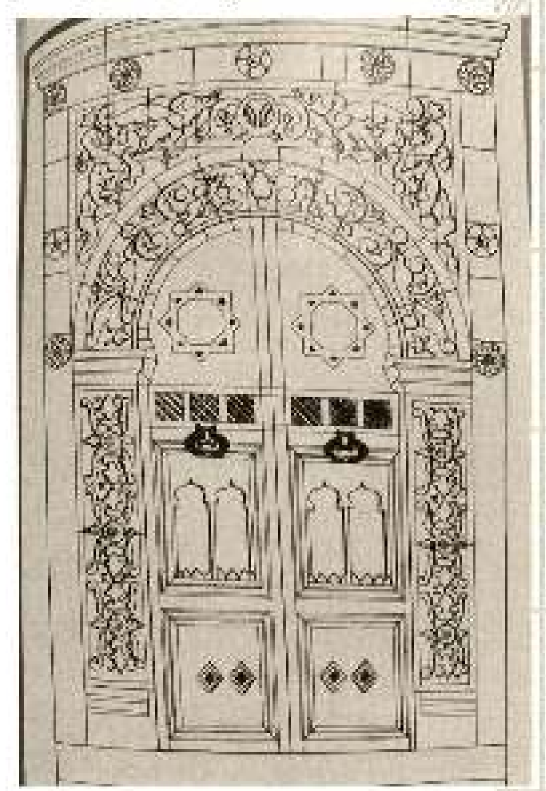
* بعد سنة 2011م تم فك هذا المحراب ووضع في قلعة اطرابلس .

(1) . بلدية طرابلس،ص 77،امزيد من التفاصيل ينظر :موسوعة المساجد في ليبيا.منشورات مصلحة الآثار الليبية.

(2) . علي البلوشي، ص 30



المدخل الجنوبي لبيت الصلاة جامع شايب العين -سوق الترك .



مدخل شرفات النور الثاني-جامع شايب العين .

بنى بيت الصلاة على شكل مربع 18x18م وزخرف بزخارف جصية وببلاطات القيشاني ومحرابه عبارة عن تجويف في منتصف جدار القبلة، مع وجود نصف قبة مضلعة مكسوة بالزخارف الجصية المخرمة، أما المنبر فقد صنع من المرمر تعلوه قبة ترتكز على أربعة أعمدة قصيرة بها زخارف نباتية، وتعد مئذنة جامع قرجي من أجمل المآذن الموجودة في ليبيا فهي مثمنة الشكل وهي الوحيد التي بها شرفتان ودكته ودكة جامع أحمد باشا «تحفتان غاية في الروعة والدقة في الصناعة والغنى الزخرفي، ومن العناصر الزخرفية التي استخدمت في هاتين الدكتين عنصر البائكة الكاذبة، التي تتكون من مجموعة من عقود المقرنصات المحمولة على أعمدة مزدوجة وبألوان مختلفة، وفي وسط كل عقد، بين العمودين،من هذه العقود الكاذبة فازة «زهرية» تتفرع منها أغصان و أوراق وزهور،ويقتصر استخدام عنصر الزهرية وفروعها وأغصانها على الدكة التي بجامع مصطفى قرجي.» [1]

إن جامع قرجي يعتبر بوجه عام من أرقى الجوامع الطرابلسية ويرجع الفضل في ذلك إلى غنى زخرفته، غير أن هذه الزخرفة بالذات هي- في رأينا- التي تضر به نوعاً ما وذلك لأن من شأنها أن تصرف انتباه الإنسان العادي عن قيمته المعمارية المحضة (الفضاء الداخلي) ليركزه فقط على عنصر ثانوي ذى طبيعة تزيينية سطحية، بمعنى أنه عنصر ذو بعدين أثنين . » [2]

وهناك العديد من المساجد* التي لم نذكرها لمدينة اطرابلس وهي تبلغ حسب وثيقة لا تحمل تاريخاً ويبدو أنها كتبت في أواخر العهد العثماني الثاني 33 جامعاً ومسجداً بما فيهم مدرسة الكاتب وزاوية بن عيسى (الزاوية الصغيرة) ومدرسة عثمان باشا ومدرسة الكاتب وجامعها[3].

---

(1) . نفس المرجع،ص 49

(2) . ميسانا، ص 204

(3) . ميسانا، ص 204

* للاطلاع على مساجد مدينة اطرابلس ينظر: موسوعة المساجد في ليبيا. منشورات مصلحة الآثار 1980م.الجزء الأول.

المصادر والمراجع

1. البكري، أبوعبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد: مكتبة المتنى د.ب

2. عباس،إحسان .ليبيا في كتاب الجغرافية والرحلات، بنغازي دار ليبيا للنشر و التوزيع- 1968م

3. التجاني، أبومحمد عبدالله، رحلة التجاني- ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب، 1981م

4. العياشي، أبوسالم الرحلة العياشية (ماء الموائد) فاس 1316،جزءان

5. ابن عثمان، عبد السلام، كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، طرابلس : مكتبة النجاح،د،ت

6. ميسانا،غاسبري، المعمار الاسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسنين،طرابلس: الناشر مصطفى العجيلي، د،ت

7. الآنسة توللي .عشرة أعوام في اطرابلس،ترجمة د. عبد الجليل الطاهر. بنغازي :الجامعة الليبية 1967م.

8. د.علي مسعود البلوشي، تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي، (بحث نشر كمقدمة للجزء الثاني من موسوعة الأثار الإسلامية في ليبيا) منشورات مصلحة الأثار وجمعية الدعوة الإسلامية .

9. محمد الورفلي، مدينة طرابلس الإسلامية، منشورات مصلحة الأثار بمناسبة مهرجان العالم الإسلامي في لندن 1976م.

10. بلدية طرابلس، بلدية طرابلس في مائة عام 1972م.

11. شقلوف، مسعود وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، اطرابلس، منشورات مصلحة اللآثار إنجاز الدار العربية للكتاب،1980م.

12. الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين،دمشق : دار الفكر، الطبعة الثانية، 1977م.

13. شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970م.

14. مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،1974م.

15. فخري، أحمد، بحث عن عوامل الوحدة في الآثار الإسلامية بالبلاد العربية .

المدارس القديمة بمدينة اطرابلس*

أدى المسجد في بداية الإسلام دورا مهما فهو مكان للعبادة وللتعليم وللقضاء ولإدارة شؤون الحكم . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة مبادئ الدين الإسلامي، والقرآن الكريم ومختلف العلوم الدينية، فيشرح لهم ما تعسر عليهم فهمه ويوضح لهم أمور الدين ويرد على أسئلتهم واستفساراتهم في مسجده بالمدينة المنورة، ومنه كان يرسل الدعاة والمعلمين والقضاة إلى الأمصار التي دخلها الإسلام، وفي عهد الخلفاء الراشدين خرج الإسلام من الجزيرة العربية وامتد إلى العراق والشام ومصر، وأسست المدن الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة والفسطاط وأدت مساجدها دورا تعليميا وتثقيفيا ... إلخ .

فتح القائد العربي عمرو بن العاص مدينة طرابلس سنة 22هـ / 643 م، بعد أن حاصرها شهرا، ويشير الرحالة التجاني الذي زار طرابلس بين سنتي 706 . 708هـ « هنالك مسجدا ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله. [1] ويحدد موقعه بداخل المدينة عند بطحاء متسعة يعرفها أهلها بموقف الغنم يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم، يتم الوصول إليه من باب هوارة، عند موقع جامع أحمد باشا بسوق المشير الآن .

ومن المحتمل أن جامع عمرو بن العاص كان جامعاً صغيراً، يتناسب مع احتياجات مدينة حديثة الإسلام، أدى رسالته الدينية والتعليمية مع استقرار العرب وانتشار الإسلام بين أهل مدينة طرابلس، والتي كانت الفسطاط العربي الأمامي الذي فتح المغرب أولا ريثما أسس عقبة بن نافع الفهري معسكر القيروان. [2] ثم تعددت المساجد في طرابلس في الفترات التاريخية اللاحقة حتى ذكر الرحالة التجاني بشيء من المبالغة أن مساجد مدينة طرابلس «لا تحصى كثرة وتكاد تناهز الدور عدداً. [3]

أدت تلك المساجد والرباطات دوراً تعليميا إذ أن طرابلس شهدت قيام أول رباط في شمال أفريقية، فقد أسس الوالي هرثمة بن أعين رباط طرابلس سنة 180هـ / 796م قبل أن يشيد هذا الوالي رباط المنستير سنة 181هـ وكان الرباط في البداية نوعا من الأبنية الحربية، يسكنها المجاهدون الذين يدافعون عن دار الإسلام بالسيف، وقد انتشرت في فترة

---

* . نشر بالمجلة المغاربية، السنة2، العدد2،2007م تصدرها الجامعة المغاربية التابعة لاتحاد المغرب العربي.

(1) . التجاني، رحلة التجاني، ليبيا . تونس، الدار العربية للكتاب، 1981م، ص 245

(2) . عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية 1958.ص11.

(3) . المصدر الأسبق، ص 254

صدر الإسلام قبل أن تأمن الدولة العربية الإسلامية على حدودها، فأقيمت هذه الرباطات والمحارس على حدود دار الحرب للدفاع عن ديار الإسلام، لم تشر المصادر التاريخية إلى المراحل التي مر بها رباط طرابلس أو موقعه بالتحديد، ولم تشر إلى تصميمه ولم تعط وصفا له، أو الفترة التي اندرس فيها، ولكن يمكن الإستنتاج بأنه كان مشابها لرباط المنستير الذي أقامه نفس القائد هرثمة بن أعين بعد سنة من إنشاء رباط طرابلس، ومشابها أيضا لرباط سوسة الأغلبي 206هـ، فهذه الأربطة متشابهة لأنها بنيت في فترات متقاربة . مع مرور الزمن انتفت الصفة الحربية عن الرباطات لأنها أصبحت داخل دار الإسلام، ولا تواجه الأعداء، فتغيرت وظيفتها من الوظيفة العسكرية إلى الوظيفة التعليمية الثقافية حيث استقر بها طلاب العلم « وأصبحت مدرسة للرجال ومدرسة للنساء ومعملا لصنع الورق ودار وراقة لنسخ الكتب وبثها احتسابا لوجه الله تعالى ولا سيما المصاحف ومجاميع الحديث وكتب الفقه، فالرباط مدرسة ودار وراقة ومكتبة. »[1] ثم عرفت طرابلس الزاوية وهي نوع من المباني الدينية تنسب لعالم أو صوفي أو طريقة معينة « وحلت الزاوية محل الرباط على عهد الحفصيين، فكانت الكتاب والزاوية والجامع الأعظم هي أهم المؤسسات الثقافية إلى غاية القرن السادس عشر. »[2] وكان للكتاتيب على مر الفترات التاريخية التي شهدتها الأراضي الليبية في الفترة الإسلامية دور تعليمي كبير للنشء، فهي الأساس وفيها يتعلم الأطفال القراءة وحفظ القرآن الكريم ثم ينتقلون إلى المساجد ويتحلقون حول الشيخ لتلقي مختلف العلوم الدينية على أيديهم .

ظهور المدارس :

أخذت المدارس في الظهور إلى حيز الوجود في المدن الإسلامية مع نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد، وقد « بدأ انشاؤها في مدن شرق العالم الإسلامي على يد فقهاء السنة، وتبنتها الدولة وأصبحت مؤسسات رسمية عنيت بإنشائها لتخريج جيل من المتفقهين بالمذهب السنى، وتتحمل مسؤولية مقاومة التيار الشيعى الذي وصل إلى بغداد عاصمة الخلافة السنية ذاتها وتغذي الجهاز الإداري للدولة بما يحتاج إليه من موظفين في دواوينها المختلفة وأهتم السلاجقة والأتابكة والأيوبيون بإنشاء هذه المدارس ووقف الأوقاف عليها .[3]

---

(1) . الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، ص. 117

(2) . المرجع السابق، ص. 173

(3) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط 1، 1999م، ص 240 - 241

تأخر ظهور المدارس في شمال أفريقية إلى منتصف القرن الثاني عشر على عهد الحفصيين، ثم بعد ذلك في مملكتي فاس وتلمسان، وأخيراً في الأندلس (في غرناطة سنة 750هـ/1349م) وفي كل هذه المواضع كانت المدارس مؤسسات حكومية.. والحفصييون في تونس هم كما أشار برونشفنج أول من أخذوا من المشرق فكرة إنشاء المدارس الحكومية.[1] ويعد أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية أول من أنشا مدرسة في شمال أفريقية سنة 632هـ / 1237م، وثاني مدرسة أنشئت كانت بين سنتي 1250-1261م، وثالث مدرسة أنشئت كانت بمدينة طرابلس وهي المدرسة المستنصرية .

مدارس مدينة اطرابلس :

المدرسة المنتصرية أو المستنصرية.

يذكر الرحالة التجاني الذي زار مدينة طرابلس واستقر بها لمدة 18 شهراً بين سنتي 706 . 708هـ ان « بداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المنتصرية التي كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات ابن أبي الدنيا[2] رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين (655هـ / 1257م) إلى سنة ثمان وخمسين (658هـ / 1259م) وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا .» [3] ويحدد التجاني موقعها بمدينة طرابلس فيذكر ان « بين القصبة وهذه المدرسة المتقدمة جامع طرابلس الأعظم .»[4] ويمكن القول أن مبنى المدرسة كان في المنطقة التي بها مدرسة عثمان باشا أو المنطقة القريبة منها ولا يمكن تحديد مكانها بدقة، ويذكر الكاتب الطرابلسي الخروبي وهو من علماء القرن السادس عشر (مخطوطة 250 بمكتبة الأوقاف بطرابلس ص23) يذكر عرضاً اسم(مدرسة الرخام) التي يحتمل أن تطابق المدرسة الموصوفة أعلاه التي لابد أن تكون قد

---

(1) . الفرد بل. الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي.ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي: دار ليبيا للنشر،1969م، ص351

(2) . هو أبو محمد عبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي، من أعلام ليبيا المشهورين في القرن السابع الهجري، ولد بمدينة طرابلس سنة 606هـ /1209م وفيها نشأ وحصل على تعليمه . ثم ارتحل إلى مصر حيث استزاد من التحصيل وعاد إلى موطنه . وكانت له رحلة لمصر التقى فيها بالعديد من العلماء ومنهم الشيخ عزالدين بن عبدالسلام أيام هجرته إلى مصر وعاد إلى طرابلس والتقى فيها بكثير من العلماء العابرين لطرابلس من المغرب والاندلس، استدعاه السلطان الحفصي أبو إسحاق إبراهيم إلى تونس وتولى بها القضاء والإفتاء وألف عدة مصنفات أثناء مقامه بها، انتقل إلى رحمة الله سنة (684هـ / 1285م)

(3) . التجاني، رحلة التجاني، ص 252

(4) . المصدر السابق، 253

أستعمل بها الرخام الأثار الرومانية.[1]

أشار الرحالة ابن رشيد السبتي في رحلته التي زار فيها طرابلس سنة 685هـ إلى المدرسة المستنصرية ولم يصف بناءها وإنما وصف حديقتها بقوله « أجتزت تلك الليلة التي أقمنا بها «طرابلس» بعد المغرب بشارعها الأكبر ولم اكن عرفت المدينة، فنفحني نسيم عاطر « كأنه باكرة ماطر، فخلت نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل، فالتفت نحو تضوعه مستنشقاً ذلك النسيم، وعهدي بالمنتسم العطر عهد قديم، فألفيت عن يسار المار بابا شارعا، لما حوله من الأبواب فارعا، فتوقفت أنتشق ذلك العرف إلى أن تعرفت أنها مدرسة فأقدمت على الدخول تحكيما في الأذن للعرف، فوفيت واسطها روضة مخضلة من خيري أحمر قد أستوى على سوقه، وناجى بعضه بعضا ببسوقه، وقد علل بالسقى شجره فأينع، وتفتح زهرة فاستكمل وأستجمع، فأقمت بها ساعة اتعلل ذلك النسيم وكأني حللت بجنة النعيم وكلما أنسحب الظلام، طاب عزما ذلك النمام، ولذ ذلك الانتسام.»[2]

يمر الرحالة محمد العبدري بطرابلس في سنة 688هـ / 1289م، ورغم وتحامله على المدينة وأهلها، فإنه لا يخفى إعجابه بمبنى الجامع والمدرسة فيها فيقول «ولم أر بها ما يروق العيون وسما أن يقوم بالدون، سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصورة نصيباً ومن إتقان الصنعة سهما مصيبا، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة، لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة. »[3]

ويشير العبدري أنه حضر بالمدرسة « تدريس الشيخ المسن القاضي الخطيب أبي محمد عبد الله بن عبد السيد، وهو بيت قصيدتهم، وكبش كتيبتهم، وواسطة قلادتهم وأنف سيادتهم ذو سمت ووقار وقد أثر الكبر في جسمه، كثير المواظبة للمسجد خير في دينه، وما كنت آتيه بعدما رأيته إلا بقصد الدعاء .»[4]

والعبدري لا يثني على مقدرة هذا الشيخ العلمية فيذكر أنه سأله « عن أشياء ما قام فيها ولا قعد »، وذكر العبدري بعض المسائل التي اختلف فيها مع ذلك الشيخ وحاوره فيها وانتهت

---

(1) . أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة خلفة التليسي،بيروت: دار صادر، 1974م، ص 105.

(2) . محمد نجم، إحسان عباس – ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات– بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، ص.118

(3) . محمد العبدري، رحلة العبدري الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1968م، ص. 77

(4) . المصدر السابق، نفس الصفحة

بسكوت الشيخ، ويورد العبدري أنه أثبت ذلك « تنبيها على ضعف العلم في هذا الأوان وقلة الرغبة فيه لا أني معجب فيه بنفسي، ويعلم الله أن معتقدي أن أدل دليلا على فناء العلم وإمحاء رسمه هو كلامي وكلام أمثالي فيه فإنه ما أوجبه إلا عدم علماء التحقيق، وحسبنا الله وبه التوفيق . »[1]

وقد أشار إلى هذا الشيخ الرحالة ابن رشيد الذي زار طرابلس قبيل فترة الرحالة العبدري، فأشار ابن رشيد بأنه لقي « باطرابلس شيخها ورئيسها وفاضلها وقاضيها الفقيه الفهامة الفاضل الصالح أبا محمد عبدالوهاب بن أبي الحسن ابن عبدالسيد ... فرأينا رجلا فاضلا سريا حفيا على سنن الفضلاء، تواضعا عن رفعة، ومجدا عن كسب وعن وراثة، فأضافنا واحتفل ... ولم يتمكن لنا سماع من الشيخ أبي محمد لاستعجال الحال ولا استجرناه، ولم نلق بها أحدا من أهل العلم ولا كان بها، إلا ما ذكر لنا من شخص له مشاركة في العربية لم يتمكن لقاؤه. »[2]

ويبدو أن الرحالين متفقان في وجهة نظرهما إلى فترة الانحطاط العلمي الذي تشهده مدينة طرابلس، فابن رشيد يذكر بأنه « لم نلق بها أحدا من أهل العلم ولا كان بها .»[3] بينما يشير العبدري بأن طرابلس « هي ما للعلم بها غرس .»[4] وقد نلتمس العذر لأهل طرابلس ذلك إذ أن الفترة كانت فترة اضطربات وفتن وثورات، فقد حاول أحد أمراء الموحدين استعادة ملكه الذي أفل بمساعدة ملك أراغون في برشلونة الذي أطلق سراح قائد عربي يدعى مرغم بن صابر وكان أسيرا بصقلية فبعثوه رفقة عثمان بعد أن قدموا لهما سفنا وجنودا وحاولوا الاستيلاء على طرابلس سنة 688هـ / 1289م ولكنهم فشلوا وتخلا عن حصار المدينة ورجعت السفن بعد أن تركت عثمان ومرغم وأتباعهما يجوبان المنطقة لجمع الخراج لدفع أجرة المسيحيين لقاء المساعدة، ومن هنا كان اضطراب حبل الأمن الذي لا يشجع ولا يهيأ مناخا ملائما للعلم، وقد أشاء إلى حرج الفترة التي تعيشها طرابلس العبدري بعبارة موجزة «واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر، فتفرقت عنهاالفضائل تفرق الحجيج يوم النفر. »[5] وقد فقدت اطرابلس هذا المعلم الثقافي إثر غزو الإسبان للمدينة في سنة 1510م وتم هدمها إضافة إلى بعض المعالم الآخرى وسط المدينة.

---

(1) . المصدر السابق، ص 81
(2) . محمد نجم، إحسان عباس – ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، ص 117
(3) . المصدر السابق، ص 70
(4) . العبدري، ص 76
(5) . العبدري، ص 77

مدرسة ابن ثابت :

يذكر الرحالة أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي في رحلته أنه بعد أن غادر جربة في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني 851هجرية / 9 يوليو 1447م قاصدا مدينة طرابلس فبلغها يوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني، فيقول « فنزلنا بها وتلاقينا مع بعض الأصدقاء والأصحاب، وحبونا بالبر والإكرام، وأقمنا بمدرسة ابن ثابت عدة ليال وأيام .»[1]

إن الرحالة القلصادي هو الوحيد من الرحالة الذي أشار إلى مدرسة ابن ثابت فجميع كتب الرحالة التي اطلعت عليها لم تشر إلى هذه المدرسة، ويبدو من اسم المدرسة أنها أنشئت في فترة إمارة بنى ثابت بن عمار على طرابلس 724هـ / 1324م إلى 803هـ / 1400م، ومن المرجح أنها أنشئت في فترة الأمير محمد بن ثابت (730هـ / 1329 م . 750هـ / 1349م) إذ في عهده نعمت طرابلس بفترة من الهدوء حتى أنه غزا جزيرة جربة وضمها إليه إلى أن تمكنت الدولة الحفصية في عهد عمر بن أبي بكر سنة (747هـ / 1346م) من حصار جربة فاضطر ابن ثابت التخلي عنها والعودة إلى طرابلس .

ولم يشر الرحالون فيما بعد إلى هذه المدرسة، فالرحالة العربي الحسن الوزان الذي شهر (بليو الأفريقي) في رحلته إلى طرابلس سنة 1518م يذكر أنه « كان بها قدبما عدة جوامع وبعض المدارس والبيمارستانات لإيواء المساكين والغرباء »[2] ولكنه لم يشر إلى أسمائها وبذلك يكون الرحالة القلصادي قد انفرد بذكر اسم هذه المدرسة، ولكنه لم يصفها ولم يذكر تاريخ إنشائها ولم يتحدث عن شيوخها، فبخل علينا بمعلومات تلقى الضوء على الحياة التعليمية والثقافية بمدينة طرابلس في منتصف القرن الخامس عشر، وهي فترة اتسمت بإضطراب الأحوال وتبعية طرابلس للدولة الحفصية، التي كان سلاطينها يهتمون بجباية الضرائب، وفي نهاية ذلك القرن تشكل في طرابلس حكم ذاتي واعتمدت المدينة على مواردها، وضعفت أوضاعها الدفاعية فكانت عرضة للاحتلال الإسباني في سنة 1510م. وفي إحصاء أوردته سلنامة طرابلس الغرب سنة 1303هـ / 1883م أن عدد المدارس داخل المدينة كان أربع مدارس .

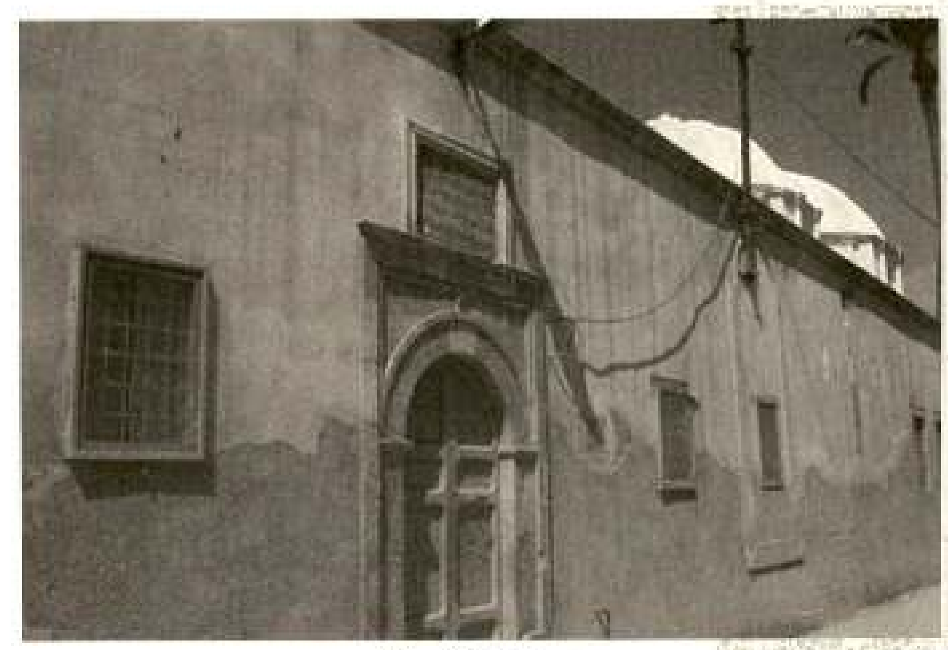
مدرسة عثمان باشا:

وهي من أقدم المدارس التي مازالت قائمة بمدينة اطرابلس وقد أنشأتها الوالي العثماني

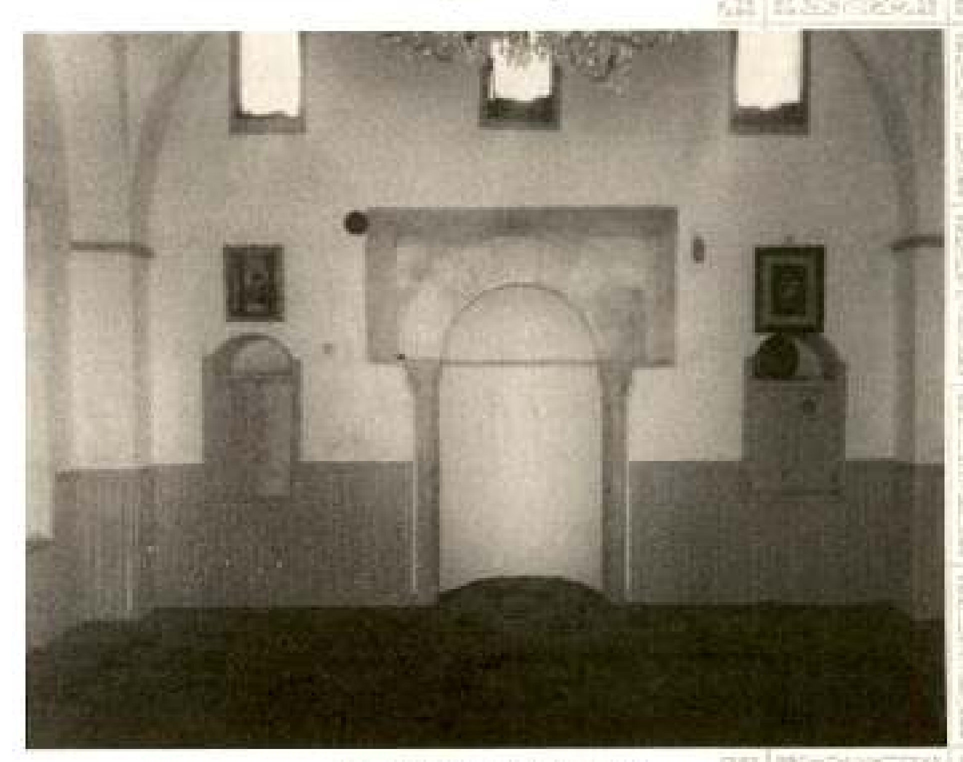
---

(1)محمد القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان،تونس، شركة التونسية للتوزيع، ص 124

(2) الحسن بن محمد الوزان (ليون الأفريقي) وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت : دار الغرب الإسلامي، ج 2، ط 2، 1983م، ص 98



مدرسة عثمان باشا



مصلى مدرسة عثمان باشا

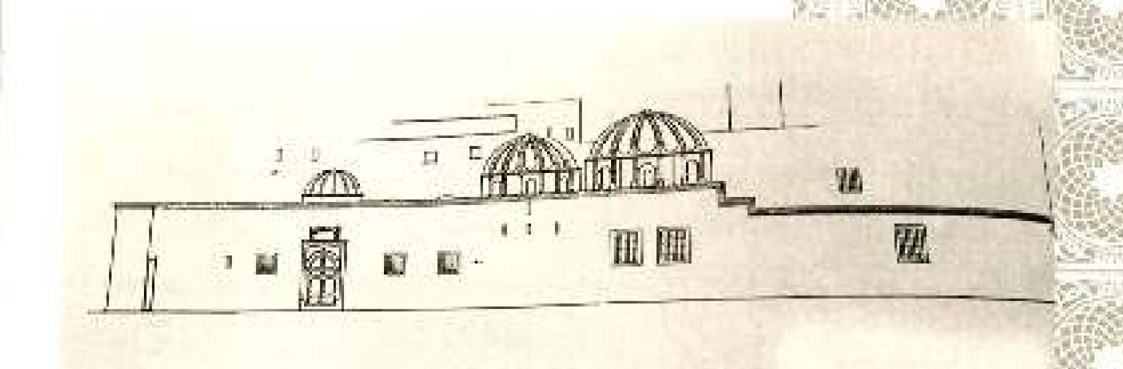
عثمان باشا الساقزلي الذي تولى حكم طرابلس من سنة 1059هـ / 1649م . 1083هـ / 1672م، واتسم عهده بقوة الأسطول الطرابلسي وإحرازه العديد من الانتصارات البحرية وبنشاطه البحري ضد السفن الأوروبية وبفرض الضرائب على بيع العقارات والرقيق والتجارة مما مكنه من تكوين ثورة أنفقها في تشييد بعض المنشآت المعمارية إلا أن تماديه في فرض الضرائب أدى إلى ثورة الأهالي والجند ضده، فحاصروه بقلعة طرابلس وخشي من الوقوع في أيديهم فسم نفسه ومات منتحراً 1672م .

يقع مدخل المدرسة بزنقة جامع درغوث، وهو على هيئة عقد نصف دائري، تعلوه اللوحة التأسيسية عليها الكتابة التالية « حضرت عثمان باشا يسر الله له من الخيرات ماشا أسس بنيان هذه المدرسة وجعلها لطلب العلم وتلاوة القرآن الهي تجاوز عن سيئاته يارحمان تحريرا في غرة ذي القعدة في سنة أربع وستين وألف (1654م)

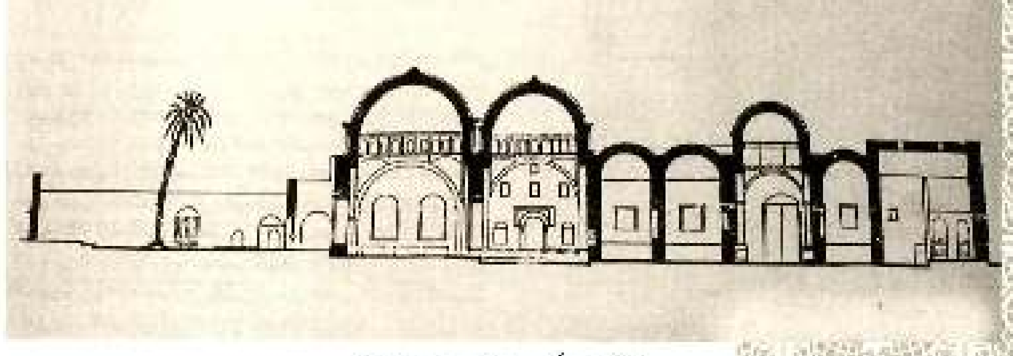
يؤدي المدخل إلى السقيفة، التي يوجد على جانبيها مصطبتان حجريتان للجلوس، والتي سقفت بقبة ترتكز على مثلثات مقلوبة، ومنها يتم الوصول إلى صحن المدرسة الذي يكاد يكون مربع الشكل تتوسطه في السابق بركة بها الآن شجرة حناء، ويحيط بالصحن من أربع جهات رواق من بائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على أعمدة رخامية رفيعة تعلوها تيجان أغلبها من النوع الحفصي، تشتمل المدرسة على خمس عشرة خلوة للطلبة موزعة حول الصحن، وعلى مصلى مربع الشكل (5متر × 5 متر) سقف بقبة ترتكز على أربعة مثلثات مقلوبة . يستعمل هذا المصلى كفصل للدراسة عند الحاجة . وبالمدرسة ضريح للمؤسس وتربة مفتوحة إضافة إلى المرافق العامة، كالميضأة والمطبخ ومخازن ... إلخ



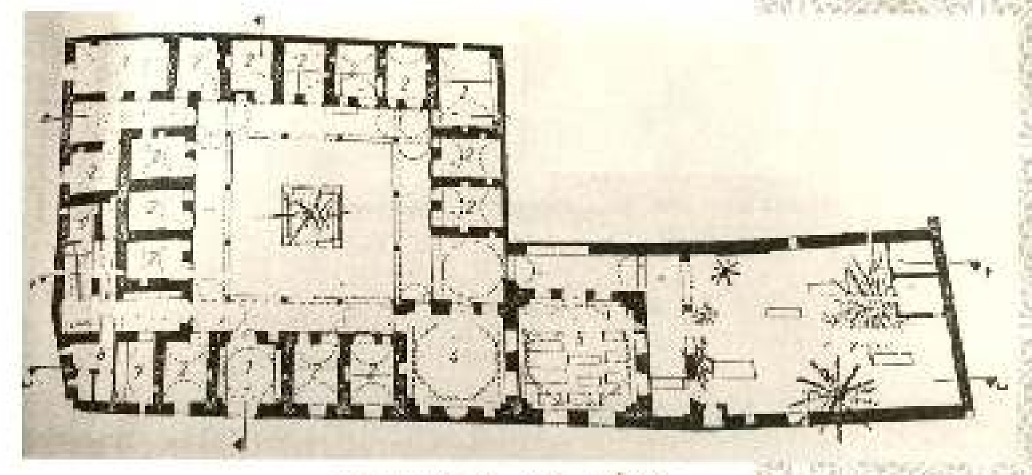
اللوحة التأسيسية الموجودة فوق مدخل مدرسة عثمان باشا



الواجهة الرئيسية لمدرسة عثمان باشا



قطاع رأسي (ب - ب)



مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا





صحن مدرسة عثمان باشا



مدرسة مصطفى الكاتب



مدرسة أحمد باشا

يذكر المهندس ميسانا أن « مدرسة عثمان باشا هي الوحيدة في طرابلس التي لها بركة في وسط الصحن وقد تعمدنا استرعاء الإنتباه إلى ذلك لأننا سواء في المشرق أو المغرب الأقصى . وهو موطن أجمل ما شيد من مدارس في بلدان المغرب العربي قاطبة . نلاحظ دوما بركة وسط الصحن، أما البركة التي نحن بصددها فكانت في الأصل من المرمر الرفيع الصنع ... إن مدرسة عثمان باشا عمارة على جانب كبير من الأهمية لأنها جاءت بسيطة في تصورها وتصميمها، ومعتدلة في زخرفتها، ليس في أنها أجمل مدرسة في ليبيا رغم أن قبتيها الكبيرتين . قبة الضريح وقبة المصلى، هما العنصران الوحيدان متقنا الصنع لا ينسجمان بل يتعارضان مع البساطة الرشيقة التي تتحلى بها هذه العمارة في جملتها.»[1]
والمدرسة كانت مخصصة لطلب العلوم الدينية وتلاوة القرآن، وكان الطلاب من خارج مدينة طرابلس يقيمون بها، وقد اشتهر من مدرِّسيها في نهاية القرن العشرين الشيخ عمر الجنزوري فعرفت بين بعض الأهالي بمدرسة الشيخ الجنزوري .

مدرسة أحمد باشا:

أسس هذه المدرسة أحمد باشا القرمانلي الذي تولى حكم طرابلس من سنة 1711م حتى 1745م، وهي ملحقة بجامعه الذي بناه في 1738م وتقع بسوق المشير بمدينة طرابلس وهي مدرسة لتعليم القرآن الكريم والعلوم الدينية وهي تتكون من دورين، يشتملان على خمس وثلاثين خلوة، ومصلى صغير ومرافق خدمية، أصبحت في خمسينيات القرن العشرين معهداً دينيا للدراسات الإسلامية تتلمذ على يد مشايخها العديد من الطلبة الذين نهلوا من العلوم والمعارف فيها وتولوا بعد تخرجهم مناصب مهمة في الدولة، هي في حالة سيئة وتجري أعمال الصيانة والترميم عليها في الوقت الحالي .

مدرسة مصطفى الكاتب :

تقع هذه المدرسة بزنقة مدرسة الكاتب التي اشتهرت باسم زنقة الريح بمدينة طرابلس القديمة أسسها الكاتب مصطفى خوجة بن قاسم بن عبدالله قرجي* النسب طرابلسي الدار والقرار وكان كاتبا ومستشاراً لعلي باشا القرمانلي الذي تولى حكم طرابلس في سنة 1754م حتى سنة 1793م « ومكن له ذلك في الأرض فكثر ماله واتسعت أملاكه، ولكن ذلك لم يصرفه عما فطر عليه، فآثر به النفع العام، وفي هذا الإطار تلك المدرسة الجديدة الغنية بشهرتها

* يشير الباحث عمار جحيدر أن أصله من بلاد الكرج (القفقاس) بآسيا .
(1) غاسبري ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، ترجمة علي الصادق حسنين، طرابلس : الناشر : العجيلي، ص 194 . 195

عن التحديد الكائن مكانها بداخل محروسة طرابلس المرعية المحروسة المحمية.»[1]

يفتح باب المدرسة على زنقة مدرسة الكاتب (زنقة الريح) « ويلي المدخل ردهة مستطيلة الشكل حيث توجد الميضأة والمسجد مربع الشكل تبلغ مساحته حوالي 36 مترا مربعا تغطيه قبة مستديرة، ويوجد باب إلى اليمين قبل الدخول إلى المسجد يؤدي إلى فناء مستطيل به أربع حجرات مغطاة بأقبية خاصة بسكنى الطلبة، أما الدور العلوي فهو حديث البناء يتكون من ثلاث حجرات لسكنى الطلبة. »[2] ويبدو أن عدد الطلبة أربعة كانوا يقيمون بها وخصص لهم الواقف منحا « ولكل واحد من الأربعة طالبي العلم الذين بالأربع خلوات عشرة ريالات .»[3] وقد أوقف الكاتب « على مدرسته (خزانة كتب قيمة) و(شرط ألا تعار ولا يخرج من المدرسة المذكورة ولو كتاب واحد، ما عدا الشيخ المدرس بها فله إخراج كتابين من كل فن للمراجعة والنظر».[4] وقد كانت مكتبة مصطفى الكاتب نواة لمكتبة الأوقاف التي أنشئت سنة 1898 والتي ضمت لمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية في الربع الأخير من القرن العشرين .

مدرسة مصطفى قرجي :

تقع مدرسة قرجي ضمن الكتلة المعمارية لجامع قرجي بمنطقة باب البحر بمدينة طرابلس القديمة، ومؤسس المدرسة مصطفى قرجي يرجع أصله إلى جورجيا (التي كانت تعرف ببلاد الكرج)، استقدم وهو طفل إلى طرابلس، فعاش فيها، وشغل منصب المسئول على الجمرك في سنة 1225هـ / 1811م ثم منصب رايس مرسى ثغر طرابلس الغرب في سنة 1226هـ / 1812م واشتغل بالتجارة، وكان أحد ثقاة حاكم طرابلس يوسف باشا القرمانلي وقد مكنه كل ذلك من جمع ثروة هائلة، وتزوج من اللا خدوجة ابنة يوسف باشا. صرف مصطفى قرجي جزءا من أمواله في بناء الجامع والمدرسة اللذين عرفا باسمه ففي يوم الأحد 22 ذي الحجة 1235هـ بدأ في « تخريب الحوش والطاحونة لأجل يبغى يديرهم جامع. »[5] وقد استمر البناء في الجامع نحو 12 سنة وأقيمت فيه صلاة يوم الجمعة 13 محرم

---

(1) . عمار جحيدر، دراسة مصادر الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م، ص 82 . 83

(2) . مسعود رمضان شقلوف، وأخرون . موسوعة الأثار الاسلامية في ليبيا، طرابلس :مصلحة الاثار، الجزء الأول ،1980م، ص. 116

(3) . عمار جحيدر، دراسة مصادر الحياة الفكرية في ليبيا، ص 85

(4) . المرجع السابق، ص 83

(5) . حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطى، عمار جحيدر، طرابلس، ص 582

1247هـ / 1833م حيث « حضرت جماعة البلاد والمخازنية والعلماء والشيخ والقاضي وصلوا في الجامع وحضر طعام للطلبة والفقراء.»[1]

وقد حددت الوقفية الخاصة بالجامع والمدرسة الدور الذي ستقوم به المدرسة وهو « لتعليم العلم والتعليم وتلاوة القرآن »[2] وأوقف عليها أوقافا كثيرة حددها في وثيقة الوقف ليصرف ريعها « في منافع الجامع المذكور من حصر وفرش وزيت ورزق إمام الأوقات به وخطيبه والذي يقرأ بالمحفل يوم الجمعة ومدرس ومؤذن والقيم والملاء للماء للمتوضئين به والمتولي لأوقاف الجامع المذكور المخصص وللطلبة الذين يقرأون العلم بمدرسة الجامع المذكور ... وللمدرس بشرط المواظبة ماية قرش ولطلبة العلم الذين يقرأون بالمدرسة خمسين قرشا، جميع ذلك بالقرش الإسلامبولي معاملة التاريخ»[3] تتكون المدرسة من دور واحد ويفتح مدخلها على ناحية الشمال وبها نحو 15 خلوة، وأدت المدرسة دوراً مهماً في التعليم الديني خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين.



مدرسة مصطفى قرجي

---

(1) . المصدر السابق، ص 537

(2) . وقفية مصطفى قرجي، سجلات المحاكم الشرعية، دار المحفوظات التاريخية، طرابلس

(3) . المصدر السابق



جانب من داخل مدرسة ميزران



مدخل مدرسة ميزران وتعلوه اللوحة التذكارية

مدرسة ميزران :

تقع بجامع ميزران ضمن الكتلة المعمارية لجامع ميزران خارج أسوار مدينة طرابلس الذي بناه الحاج مصطفى ميزران سنة 1298هـ / 1880م، وقد قطعت شوطاً كبير في تعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم ومختلف العلوم الدينية والعربية وكانت ومازالت مهجرا لطلاب العلم[1] ومن المرغبات في المدرسة أن بانيها أوقف عليها أوقافا تصرف عليها وعلى الطلبة والمدرسين فيها ينتفع بها الطلاب والمدرسون وتتكون المدرسة من المدخل الذي على هيئة عقد، وسقيفة تؤدي إلى فناء المدرسة تحيط به بواك ومجموعة من الخلوات لمنام الطلبة .وعلى مدخل المدرسة توجد لوحة تذكارية تعلوها الطغراء عليها الكتابة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وأله وصحبه وسلم

رمضان أعنى ميزرانا قد بنى	للعلم مدرسة وللقرآن
ورجاؤه أن يحسن المولى له	ويعمه بموجب الغفران
ويسيجه دار النعيم بفضله	ويجيره من سائر النيران
وأقول إذ لاح التمام مؤرخا	قصد المؤسس صاحب الإحسان

وقد أزيلت خلوات في السنوات القليلة الماضية

مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية :

تقع بشارع 24 ديسمبر خارج سور مدينة طرابلس، وقد أنشئت في ولاية أحمد عزت باشا الثانية في سنة 1879م، وبدأت تؤدي وظيفتها التعليمية في عهد الوالي نامق باشا 1898م وهو بناء ضخم يتميز بمدخله المهيب والذي تعلوه زخارف مما أعطاه جمالا وفخامة وبساحته الكبيرة مجموعة من الحدائق وشجرة ضخمة من نوع (التين البنغالي) غرست في سنة 1917م ومجموعة من الفصول والورش المعدة لتعليم الطلبة الصناعات اليدوية، وتقبل المدرسة الأطفال الفقراء والأيتام من أبناء المسلمين وتوفر لهم الإقامة والإعاشة والتعليم وقد تخرج منها الكثير من الطلبة الذين كانت لهم إبداعاتهم الفنية في مختلف الصناعات والحرف اليدوية، ولازالت المدرسة تؤدي الدور الذي أنشئت من أجله، وهي تعتمد في تسيير أمورها على إيرادات العقارات الموقوفة عليها، ومن أهمها المتاجر والتي هي جزء

(1) توقفت المدرسة عن أداء دورها وتمت إزالتها في نهاية القرن العشرين.



مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية في العهد العثماني



ساحة مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية

من المدرسة وكانت في السابق من ضمن محتويات المدرسة، إلا أنه تم استخراجها منها ووظفت النوافذ لتكون أبوابا لتلك المتاجر، وما يجود به أهل الخير ودعم الدولة لها إضافة إلى ما تجنيه المدرسة من بيع منتجاتها المختلفة ومن ريع أملاكها توقفت المدرسة عن أداء دورها منذ 2009م لأعمال الصيانة والترميم والإضافات ولا تزال مقفلة حتى سنة 2021م .



إحدى الفصول في مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية

المصادر و المراجع

1. التجاني، رحلة التجاني، ليبيا . تونس : الدار العربية للكتاب، 1981م .
2. محمد العبدري، رحلة العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط : جامعة محمد الخامس، 1968م .
3. محمد القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الاجفان . تونس : الشركة التونسية للتوزيع . 1978م .
4. الحسن بن محمد الوزان (ليون الأفريقي) وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت : دار الغرب الإسلامي، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، 1983م .
5. حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطى، عمار جحيدر، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين .
6. وقفية مصطفى قرجي، سجلات المحاكم الشرعية، دار المحفوظات التاريخية، طرابلس.
7. عثمان الكعاك،.محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب . القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية، 1958 م .
8. عمار جحيدر، دراسة مصادر الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م .
9. غاسبري ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا . الناشر مصطفى العجيلي، ترجمة علي الصادق حسنين .
10. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، القاهرة : دار الآفاق العربية، طبعة أولى 1999م .
11. محمد نجم، أحسان عباس . ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات . بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968م .
12. مسعود رمضان شقلوف، وأخرون . موسوعة الأثار الاسلامية في ليبيا، مصلحة الاثار،1980م .
13. أتوري روسي،. ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتى 1911م، ترجمة خليفة التليسي : بيروت دار صادر،1974 م
14. الفرد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي . ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي : دار ليبيا للنشر،1969م.







الفصل الرابع : العمارة المدنية



رسم لقوس ماركوس اوريليوس 1810م



الامبراطور ماركوس اوريليوس

قوس ماركوس اوريليوس

مدينة أويا (طرابلس) مدينة تاريخية بعكس شقيقتها لبدة وصبراتة اللتان أصبحتا مدينتين أثريتين، فكانت مأهولة منذ تأسيسها وعبر الفترات التاريخية اللاحقة حتى يومنا هذا، مما جعلها تفقد معالمها التي تعود إلى الفترات التاريخية الفينيقية والرومانية والبيزنطية.

ويعد قوس ماركوس أوريليوس بمنطقة باب البحر بمدينة طرابلس القديمة، الأثر الروماني الوحيد الذي مازال يتحدى الزمن، ويدل على أهمية المدينة في الفترة التي شيد فيها (القرن الثاني الميلادي)، إذ أنها تمتعت بما تتمتع به المدن الرومانية الكبرى من ساحات عامة ومعابد وحمامات ومسارح ومباني تذكارية وغيرها.

ومن أهم الاكتشافات بمدينة طرابلس، مقابر برج الدالية (منطقة سيدي الهدار) التي ظلت مستعملة من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي عثر فيها على أواني فخارية وزجاجية، وعثر على مجموعة من القطع الفسيفسائية كانت أرضيات لمنازل بمنطقة الباب الجديد معروضة الآن بالمتحف الوطني، وفرن فخار إلى الغرب من سور طرابلس الغربي، وأعمدة كورنثية ضخمة تحت مبنى السرايا الحمراء، كما عثر مشروع المدينة القديمة على تمثال نصفي للإمبراطور ماركوس أوريليوس تحت ركام عند منطقة سيدي الهدار سنة 1986م معروض الآن بالمتحف الوطني بالسراي الحمراء بطرابلس.

شيد قوس النصر هذا تكريماً للإمبراطورين ماركوس أوريليوس [1] Macrus Aurelius ولوكيوس فيروس (Lucus Verus) في سنة 163 ميلادية في فترة تشاركهما في الحكم بعد موت الإمبراطور انطونيوس بيوس (7مارس161م) إلى وفاة لوكيوس (شتاء 169م) على نفقة أحد أثرياء المدينة وصاحب منصب إداري وديني بها يدعى كايوس كالبورنيوس سلوس ودشنه نائب القنصل سالفيدينوس اورفينوس ونائبه اوتيديوس مارتشيلوس باسم الإمبراطورين ماركوس اوريليوس ولوكيوس فيروس، وتشير صيغة التدشين بأن القوس شيد على أرض عامة.

---

(1) . امبراطور روماني حكم بين سنتي 161 – 180م كانت له مقدرة سياسية، وله ولع بالقراءة والكتابة، ألف كتاباً صغيرا دون فيه تأملاته في الاخلاق والدين باللغة اليونانية. يعد عصره من أهم الفترات التاريخية الرومانية لمنطقة طرابلس فامتاز بالإنشاءات المعمارية. مات وهو يقاتل القبائل الجرمانية في بريطانيا، وخلفه الحكم أبنه كومودوس

وفيما يلي نص التدشين:

1. IMP . CAES . AVRELIO . AVG . PP .ET .
2. IMP . CAES . L . AVERLIO . VERO . ARMENIACO . AVG .
3. SER . S . ORFITVS . PROCOS . CVM . VTTEDIO.
4. MARCELLO . LEG . SVO . DEDICAVIT . C .
5. CALPVRNIVS . CELSVS . CVRATOR . MVNERIS .
6. PVA . MVNERARIVS . II VIR . Q . Q . FLAMEN .
7. PERPETVVS . ARCV . MARMORE . SOLIDO . FECIT .

وفيما يلي ترجمة نص لوحة تدشين القوس:

1. إلى الإمبراطور قيصر اوريليوس أغسطس أبو الوطن.
2. الإمبراطور قيصر لوكيوس فيروس أغسطس الأرميني (قاهر أرمينيا).
3. سيرفيوس شيبو اورفيتوس نائب القنصل (حاكم أفريقيا الثالث).
4. مع مارشيللو وكيله دكيرس جايوس.
5. كالبورنيوس كليسوس مدير الأعمال العام ومراقب الخدمات العامة.
6. مع فلافيننتوس راهب قداسة الإمبراطور مدى الحياة.
7. شيد هذا القوس من الرخام الصلب على حسابه الخاص.

وقد قامت السلطات الإنجليزية بعد احتلال جنودها لطرابلس في يناير سنة 1943م بنزع هذا النقش وأهدى إلى المتحف البريطاني بلندن.

وصف قوس ماركوس أوريليوس :

قوس ماركوس أوريليوس عبارة عن قوس نصر رباعي الفتحات، ويطلق على هذا النوع من الأقواس اسم (تيترابيل) أو (كاتريفرون)، وجاء هذا الأسمان من اسم أحد الآلهة القديمة (جانوس) التي كان مقره البانثيون الروماني، وتجدر الإشارة إلى أن الرومان عرفوا القوس الرباعي الفتحات منذ عهد الإمبراطور نيرفا Nerva (96 . 98م)، فقد شيد في عهده أول قوس من هذا النوع.



رسم لقوس ماركوس أوريليوس

تتضح أهمية قوس ماركوس بالنسبة لمخطط مدينة أويا بإنشائه في موقع مركزي لمواصلات المدينة، وبوجوده عند تقاطع الشارعين الرئيسيين الكاردو والديكومانوس(الطولي، والعرضي) ومن المحتمل أنه كان يتوسط ساحة الفورم (السوق العامة) التي كانت بدورها محاطة بالمباني الرئيسية العامة كالمعابد والحمامات والبازيليكا (دار العدالة).

ترتفع أرضية القوس عن مستوى سطح البحر 3.51 متراً وهو مشيد من رخام من الأنواع اليونانية، كما أن الأحجار المستخدمة من النوع الرملي مجلوبة من محاجر ضواحي مدينة طرابلس، أما بلاطات الأرضية فهي من الحجر الجيري الحامل للبلورات من تكوينات العصر الثلثي الأوسط (الميوسيني) المتوفر بنواحي الخمس ومن نوع مماثل من نفس



قوس ماركوس أوريليوس قبل أعمال الحفر والتنقيب سنة 1912م



أعمال إزالة المباني المحيطة بالقوس 1915/6/6م

التكوينات بالقصبات وقد هيأت قواعد القوس فوق طبقة صخرية وذلك بإنشاء مصطبة من الملاط المخلوط والقسم الأسفل من قواعد القوس. أما بالنسبة للمنحوتات فيمكن الجزم بأنها من عمل فنانين إغريق إضافة إلى صناع محليين.

صمم القوس بحيث تكون الواجهتان الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية أكثر اتساعاً من الواجهتين الأخريين، وهذا يشير إلى أن الطريق القادم من الميناء كان الأهم والأكثر حركة، ومداخل القوس عبارة عن عقود نصف دائرية يتوسطها مفتاح العقد ورصت الجوانب بكتل رخامية ضخمة بها نتوءات زخرفية تضفي عليه مسحة من الجمال وتجد الإشارة هنا أن الرومان اقتبسوا من الإغريق فن العمارة وادخلوا تعديليين رئيسيين على الطرز الإغريقية عند استخدامها في منشآتهم وهما:

1. تعديل في النسب القياسية لهذه الطرز.
2. تعديل في وظيفة الطرز المعمارية إذ عمل الرومان أن تكون وظيفتهاعادة وظيفة زخرفية بحتة ولم تكن وظيفته عضوية مثل ما كانت عند الإغريق.

على أن الفنان المعماري الروماني استخدام العقود لحل المشاكل الإنشائية، مما يسر عليه الاتساع أفقياً وعمودياً في إقامة المنشآت المعمارية مثل الملعب المدرج (امفيتياتر) وأقواس النصر والجسور وقنوات المياه المرتفعة وتتضح عبقرية المعمار الروماني في عقود ماركوس اوريليوس في كبر حجمها واستخدام الكتل الرخامية الضخمة في تشييده.

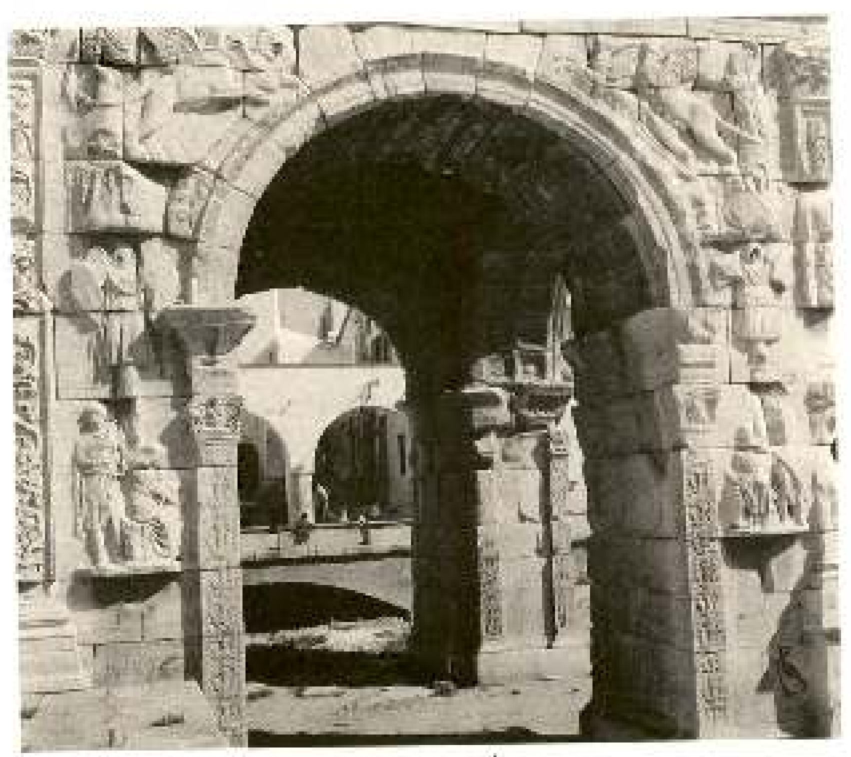
كانت الأجزاء السفلى من القوس مطمورة تحت الرمال حتى سنة 1912م، حيث بدأت إدارة الآثار بإجراء حفائر أثرية به خلال الفترة من 1912-1918م، وقام كل من المعماري الإيطالي (جاكومو كابوتو) والمعماري الإيطالي (دى فاوستو) سنة 1937م بأعمال الترميم به، وكانت السلطات الإيطالية قد قامت بإزالة المباني الملاصقة المجاورة له حتى تهيئ حرماً للقوس.

وقد نشر عالم الآثار الإيطالي أوريجما دراسة كاملة عن قوس ماركوس اوريليوس ولوكيوس فيروس في طرابلس مع تعليقات ونبذة إضافية عن الأصل بقلم انطونيو دي فيتا نشرت بالملحق الثالث بمجلة ليبيا القديمة التي تصدرها مصلحة الآثار الليبية، وقد طبع بمطابع ج. باردى– روما 1969 م.

منحوتات القوس :

ازدان القوس بمجموعة من المنحوتات التي يمكن الجزم بأنها من عمل صناع إغريقيين

وبمساعدة فنيين محليين، وقد نفذت بأسلوب فني رفيع. فالواجهتان الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية اللتان هما أعرض مقاسا من الواجهتين الأخيرتين، تمتازان بالزخرفة المعمارية، حيث تزدان كل منهما بعمودين كورنثيين على الجانبين، وتنبثق من أبدانهما المحززة أكاليل من فروع الاكانتوس، وتجويفين موازين لهما، مع بروز بعض الحليات الزخرفية وانعكاس الضوء والظلال عليهما أضاف كل ذلك مسحة من الجمال والفخامة على هاتين الواجهتين.



منحوتات أحدى واجهات القوس

كانت التجاويف الأربعة للواجهتين تحتوي على تماثيل للأباطرة، وقد اكتشف تمثال للإمبراطور لوكيوس فيروس أمام الواجهة الجنوبية الغربية من القوس سنة 1917م، وقد نحت الامبراطور عاري الجسم، يرتكز على ساقه اليمنى بينما الساق اليسرى مثنية قليلاً والتمثال فاقد الذراع اليمنى، وعلى كتفه الأيسر وضعت عباءة تتدلى إلى ساقه، وفي قدميه نعلين، وبالقرب من قدمه اليمنى جزء من طائر ربما يكون عقاب، وقد تأثر التمثال بالرطوبة فتآكل الرخام، ويبدو الوجه في حالة سيئة وغير واضح الملامح، كما أن النحات بذل اهتماماً وعناية في إبراز الجزء الأمامي من التمثال بينما لم يكترث كثيراً بنحت الجزء الخلفي منه لأنه سيوضع بداخل التجويف فلن يتمكن المشاهد إلا من رؤية الجزء الأمامي.

توجد مجموعة من المنحوتات تعلو التجاويف إلا أنه لا يمكن تحديد معالمها بدقة نظراً لتأثرها بعوامل التعرية التي أفقدتها سيماتها الرئيسية، ومع ذلك يمكن التعرف على مجموعة من منحوتات لمؤله الحب (Cupid) ممسك بأكاليل من الأغصان، وتظهر بزوايا القوس منحوتات لمؤلهة النصر المجنحة (Victoria) وأسفل منها في الناحية الجنوبية الغربية تظهر شعارات للمؤلهين الحاميين لمدينة أويا، أبولو[1] ومنيرفا[2]، فنلاحظ شوكة ذات ثلاث أسنان (Tripod) وغراب خاصة بالمؤله إلى اليسار، وخوذة (Helmet) ودرع ورمح وبومة وهى شعارات المؤلهة منيرفا إلى اليمين.
امتازت الواجهتان الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية للقوس بزخارف ومنحوتات متعددة وتبدو العناية الفائقة في تنفيذها، وهي تحيط بالعقدين الكبيرين (عقد من كل جانب) وتحمل دعامات العقدين منحوتات لبعض الأسري وأسلاب الأعداء من أسلحة ودروع. وفي الزاوية اليسرى من العقد يظهر المؤله أبولو واقفا يقود عربة (Chariot) يجرها زوج من الجريفين المجنحين Winged griffins – وهي مخلوقات أسطورية لها جسم أسد ورأس نسر وقد كرست قديماً للمؤله ابولو– ويظهر النحت شعاراته المتمثلة في القيثارة (Lyre) والقوس وغصن الغار، وفي الزاوية اليسرى للعقد نحتت المؤلهة منيرفا تركب عربة يجرها اثنان من الأسفنكس [3] (Sphinx)– وهي حيوانات أسطورية مجنحة بجسم لبؤة ورأس امرأة – وأسفل العربة تظهر شعارات منيرفا الخودة والبومة والدرع والرمح وغصن الزيتون.

قبة القوس:

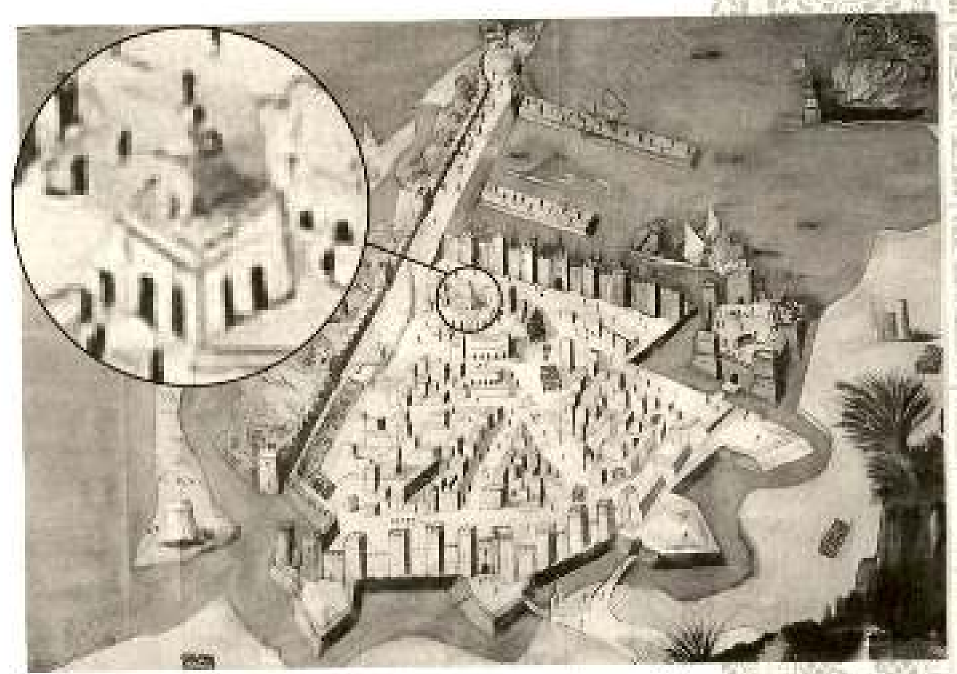
سقف القوس بقبة مثمنة الأضلاع مرتكزة على عوارض حجرية عند الزوايا الأربع وتشكل وضعا متناسقا ويتألف السقف من حشوات منتظمة في ثلاث طبقات وضعت في أحكام تام زخرف بزخارف نباتية وهندسية من الداخل، أما من الخارج فلا توجد بها أية زخارف.

القوس عند الرحالة العرب والأجانب:

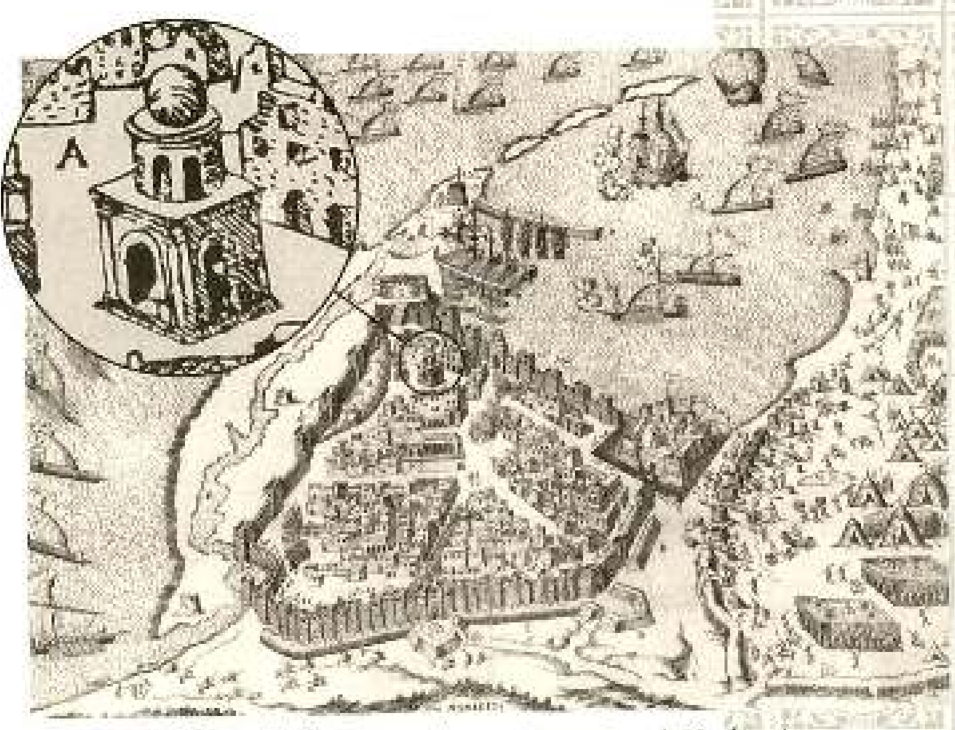
يعد الرحالة العربي محمد العبدرى الذي زار مدينة طرابلس سنة 688هـ / 1289م وهو في طريقة

---

(1) . المؤلهة أبولو APOLLO وهو إله الشباب والشعر والموسيقى وهو الذي أوجد القيثارة LYRE
(2) . المؤلهة منيرفا MINERYA الرومانية وتعرف عند الاغريق باسم أثينا الهة الحرب والحكمة وحامية الصناع كان شعارها الخوذة والرمح وطائر البومة التي هي رمز الحكمة المعرفة عند قدماء الاغريق
(3) . تعني كلمة اسفنكس SPHINX في اليونانية الخانقة، إذ يروي عنها سكان مدينة طيبة اليونانية أنها كانت تعترض المسافرين وتلقى عليهم الالغاز ومن يعجز في حلها تبادر إلى خنقه.



رسم تفصيل لتحصينات وابراج مدينة اطرابلس 1510م.



رسم تفصيل لابراج وتحصينات ومباني مدينة اطرابلس 1559م

إلى الحج، أول رحالة يقف أمام هذا الأثر التاريخي الجليل ويصفه وصفا يدل على عمق الحسن الفني والأثري لديه فيقول ((..... قبة بباب البحر من بناء الأوائل في غاية الإتقان، ونهاية الإحكام، مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم، منقوشة بأحسن النقش، مرصوفة بأعجب الرصف، متماثلة المقدار علويها وسفليها، ولا ملاط بين الصخور من طين وغيره، ومن العجيب ترتيب تلك الصخور ورصفها في الأساس فضلا عن رفعها إلى السقف ووصولاً إلى هناك مع إفراط عظمتها، وفي مقعد القبة صخرة مستديرة منقوشة يحار الناظر في حسن وصفها، وعلى القبة قبة أخرى عالية ومبان مرتفعة، ورأيت للقبة السفلى بابا مسدوداً وعليه من خارجها صورة أسدين قد اكتنفاه مصورين من تلك الصخور بأبدع صنعة وأغربها وهما متقابلان على الباب، وفي كل واحد منهما صورة لجام أمسك بعنانه شخص واقف وراءه وقد منعه أشد المنع.....)).

وبعد العبدري يقوم الرحالة محمد التجاني برحلته إلى طرابلس ويمكث فيها 18 شهراً خلال عامي 706 – 708 (1307م) فيصف المدينة وضواحيها ويصف القوس بقوله بأنه ((مبنى من مباني القديمة العجيبة، وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسق الأعالي والتحوت التي لا تستطيع المئة نقل القطعة الواحدة منها، قامت مربعة فلما وصلت إلى السقف ثمنت على أحكام بديع، وإتقان عجيب صنيع، وهي مصورة بأنواع التصاوير العجيبة نقشا في الحجر، وقد بني عليها الآن مسجد يصلي فيه أخبرت أن ذلك كان لان بعض الكبراء حاول هدمها وأخذ رخامها، وعلى بعض قطعها من الجهة الشمالية أسطر مكتوبة بخط رومي))، أن قيام أهل طرابلس بتحويل القوس إلى مسجد كان القصد منه منع أولئك الكبراء من هدمه وأخذ رخامه وبذلك أمكن من إفشال تلك المحاولة والحفاظ على هذا المعلم التاريخي الذي ارتبط بتاريخ مدينتهم.

في القرن السادس عشر نجد رسمين لمدينة طرابلس، الرسم الأول يعود إلى فترة الاحتلال الإسباني لها 1510 – 1530م، والرسم الثاني يعود إلى سنة 1559م أي عندما كان درغوت واليا على طرابلس والرسمان رسما لإغراض عسكرية لتوضيح وتحديد أسوار مدينة طرابلس وتحصيناتها وأهم معالمها العمرانية ويظهر القوس واضحا فيهما، وأصبح هذان الرسمان يمثلان قيمة تاريخية ويبرزان معالم المدينة خلال القرن السادس عشر الذي امتاز بالصراع البحري الإسلامي العثماني والمسيحي.

يأتي الرحالة الأوربيون إلى طرابلس ويدونون مشاهداتهم ويصفون القوس فيصف نيكولاس

دي نيكولاي Nicolas De Nicolay الفرنسي – الذي رافق سفير بلاده إلى اطرابلس في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وكتب كتاباً نشر سنة 1568م بأنه قوس نصر من الرخام الأبيض به أربع واجهات وأعمدة كورنثية.. ومنحوتات رائعة وعربة يقودها جرافين. ونجد وصفا مهما كتبه الأسير البروفنسالى جيرارد الذي أسره البحارة الطرابلسيون سنة 1668م وبقي في الأسر حتى سنة 1676م في مخطوطه الذي يحتوي على 1108 صفحة ويحمل عنوان ((أخبار تاريخية عن طرابلس)) (Histoire chronologique du Royaume de Tripoly du Barbarie – 1685) وهو محفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية، يذكر جيرارد أن القوس ((مسدود اليوم من جميع جوانبه بجدران سميكة وتحفظ فيه أشرعة السفن وحبالا، ويسميه الأسرى المسيحيون بطريقة عامية (مخزن الرخام) [1] ويذكر أن الواليين محمد باشا الساقزلي والي طرابلس (1631 – 1649م) وإبراهيم داي (1675م) قد فكرا في تهديم القوس والاستفادة من رخامه في إنشاء مباني أخرى ولكن فقهاء وسكان طرابلس عارضوا ذلك معارضة شديدة قائلين بأن تدمير هذا الأثر سيكون نذير شؤم كما أنه من الإجرام تهديم مثل هذا المبنى الجميل العريق الذي حملوا له تقديراً واحتراماً على مدى الأحقاب المتعاقبة ويعلق خليفة التليسي في كتابه ((حكاية مدينة)) على موقف أهل طرابلس هذا بأنه ((يدل على الحسن الحضاري والألفة التي قامت بينهم وبين هذا الأثر الهام الذي اعتبروا العمل على إزالته أو تهديمه نذير شؤم للمدينة التي استطاعت بهذا الشعور أن تحافظ عليه وتسلمه للأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل.)).

نجد رسما لقوس ماركوس اوريليوس يعود لسنة 1685م أثناء قصف الأسطول الفرنسي بقيادة المارشال دي استري لمدينة طرابلس والذي تمكن من نصب بعض مدافعه في النتوء الصخري الذي يقع داخل البحر والمعروف باسم برج الفرنسيس وهو الموقع الذي بني فيه برج بوليلة (أو برج فرنسيس) سنة 1728م في عهد الوالي أحمد باشا القرمانلي، وتتوفر مجموعة من التقارير والوثائق التي أعدها المبعوثون والقناصل والجواسيس والرحالة التي أتيحت لهم الإقامة أو زيارة مدينة طرابلس فقد زارها الرحالة الفرنسي (دو لاموثراى) في ربيع 1697م ووصف القوس وذكر انه يستخدم مخزناً من المخازن التابعة لأمير البحر بمدينة طرابلس، وبعد ذلك بثلاث سنوات أي في سنة 1700م زار طرابلس مجموعة من القساوسة لغرض التفاوض لإطلاق سراح بعض الأسرى

(1) . مازالت المنطقة تعرف حتى اليوم باسم مخزن الرخام

المسيحيين وأشاروا أن القوس يستخدم مخزناً تابعاً لقائد البحر، كما أشار بعض الرحالة الذين زاروا طرابلس بعد ذلك حتى سنة 1732م بان القوس ما يزال مستخدماً مخزناً.
من أهم التقارير التي تصف مدينة طرابلس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، التقرير الذي أعده القائد العام لأسطول البندقية الفيس ميلانوفيتش الذي زار طرابلس رفقة رئيس بعثة الشرف البندقية القائد بوبليش والقنصل بالوفيتش الذي تم تعيينه كأول قنصل للبندقية في طرابلس سنة 1765م ورغم أن الوصف الوارد في التقرير عن القوس الذي لفت أنتباهه كان موجزاً فيقول عنه أنه : ((على شكل مربع يرتفع على أربعة أقواس قائمة على أعمدة ضخمة من الرخام، مزخرفة بنقوش بديعة محفوفة بأوراق الشجر ويقولون ان داخله أجمل عملاً ولكن بما أنه مستغل الآن مخزناً للباشا فليس من السهل دخوله.)) وتزودنا الآنسة توللى في كتابها ((عشرة أعوام في طرابلس)) بمعلومات مهمة، إذ تصف المعالم والحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال فترة إقامتها بطرابلس التي امتدت عشرة أعوام 1783 – 1793م، وتزودنا بمعلومات عن قوس ماركوس اوريليوس فتقول أنه ((مبنى من الرخام... عالي جداً، ولكنه لا يبدو كذلك بسبب الأكداس العظيمة من الرمال التي ذرتها الرياح ورمتها هناك فغطت سطح الأرض حتى بلغت ذروته . يتألف بناؤه من الحجار الكبيرة جداً والتي يثير نقلها الدهشة والعجب واضعين على بالنا عدم وجود مثل تلك الأحجار في هذه البلاد ووضعها في قوس عظيم لا يقل دهشة وغرابة بالرغم من عدم استعمال مادة الأسمنت في البناء لربط الأحجار بعضها ببعض، فإن البناء لا يزال صلباً قائماً، لم تستطع يد الزمان العاتية، في محاولاتها المدمرة والمخربة، أن تزعزع حجراً منه، فتركت هذا النصب التذكاري قائما لم تمسه بشيء من سوء. أما السقوف فمن أعظم أعمال النحت فناً وجمالاً وروعة.)) وتذكر الآنسة توللى أن القوس بنيت بداخله مجموعة من الدكاكين والحوانيت وتشير أن الأوربيين حاولوا أن يلقوا الضوء عليه إلا أن الأهالي والأتراك ((لا يسمحون بزعزعة حجر واحد، أو تحريك حبة رمل واحدة بالإضافة إلى الرسائل المتكررة من القلعة (أي الحكام).... تحذر النصارى من خطر قيامهم بمثل هذا العمل.)) وهذا الموقف يدل على الحرص على هذا الأثر وعدم المساس به خشية أن يتكرر ما حدث لآثار مدينة لبدة إذ تشير نفس الكاتبة إنه ((قد نقلت من لبدة سبع عواميد من حجر الجرانيت ذات الحجوم الهائلة إلى فرنسا لحسن جمالها، واستعملت في تزيين وتجميل القصور الملكية التي بناها لويس الرابع عشر)).



أستعمال قوس ماركوس كدار عرض سينما 1912م.



استعمال قوس ماركوس أوريليوس كحانة.

وصل إلى طرابلس في نوفمبر 1805م الرحالة الإسباني دومينجو باديا لبليك (المعروف اسم علي بك العباسي) ووصف مدينة طرابلس وقوس ماركوس أوريليوس ودون بعض الكتابات والنقوش الموجودة ولكنه لم يخبرنا على وضعه واستعماله في تلك الفترة، وتتوالى الرحلات، فيزور الرحالة الإنجليزي فرانسيس ليون طرابلس سنة 1818م، ولم يهتم كثيرا بوصفها إذ فعل ذلك من هو أقدر منه وقد أشار إلى القوس ورسم له صورة وذكر أنه قد أغلقت أقواسه وأستعملت مخزناً، ثم يقوم الرحالة الألماني (هنريش بارث) بزيارة طرابلس سنة 1846م وأشار إلى أن أحد المالطيين قد أنشأ بداخل القوس حانة لبيع الخمور. ويشير رحالة ألماني أخر هو جيراد رولفس (1864 / 1865م) إلى القوس ويذكر أن الحانة التي يملكها أحد المالطيين قد أغلقت أبوابها بسبب قانون تركي قديم يمنع تواجد الحانات قرب المساجد، وتجدر الإشارة أن القوس يقع بين جامع عبد الوهاب القيسي وجامع قرجي الذي بناه رايس الميناء مصطفى قرجي سنة 1834م.

وتستمر الرحلات نهاية القرن التاسع عشر ويشير أصحابها إلى إستعمال القوس كحانة لبيع الخمور ثم في سنة1887م بنيت به مجموعة من المساكن للعرب والمالطيين ويذكر لويجي روبيكي بريكيتي أن القوس في سنة 1896م كان مستغلاً كمطعم للمأكولات الرخيصة يديره يوناني، ويشير أن مالك القوس هو (القرقني) الذي قام بترميمه ليوظفه مطعماً وعاد القوس بعد سنتين إلى نشاطه السابق كحانة لبيع الخمور، كما تشير مابل تود في كتابها (أسرار طرابلس) والتي أقامت في طرابلس في سنة 1900م ثم في سنة 1905م وتصف القوس وتذكر بأنه يستغل حالياً حانة ومستودع فحم وهي لا تخفي إعجابها بآثار طرابلس فتقول عنها ((تقدم طرابلس، بالبحر الأزرق والرمال وبياض المدينة الباهرة، والعرب والبدو المحيرين الغامضين، وبآثارها مغمورة في التاريخ، تقدم طرابلس بهذا كله نصف المنسي فكل حجر ملئ بالإيحاء، ولأنها الجار القريب لإطلال لا تحصى عصفت بها الرمال، كل منها بقصتها الصامتة تنتظر التفسير. تقدم طرابلس بكل هذا المادة لا يمكن تخيلها، للفنان وعالم الآثار والمؤرخ، وتقدم مثل ذلك للمنقبين عن المشاكل السلالية ولدارس علم اللغات)) .

ويذكر الرحالة الفرنسي (هنري دي ماتزيو) بأن القوس أستغل في سنة 1901م كملهى ليلي ثم في سنة 1906 أستعمل حانوتاً للبقالة ونجد وصفاً في كتاب الجغرافي الألماني ايفالد بانزا الذي قام بعدة رحلات إلى طرابلس في مطلع القرن العشرين (طرابلس مطلع القرن العشرين) والذي طبع سنة 1912م فيشير للقوس الروماني فيكتب مندهشاً ((ولكن ما هذا؟ حامل الصولجان، وعربة النصر؟ نظرنا إلى أعلى فشاهدنا مبنى رصاصياً من





أعمال الحفر والتنقيب وإزالة المباني المحيطة بالقوس

المرمر وعليه أشكال منحوتة وقوساً ذا ثماني زوايا يتوسط دكاكين السمك والخردة. إنه أهم وأقدم مبنى أثري في طرابلس، وهو قوس نصر روماني قديم، ويعتبر الأثر الوحيد المتبقي من مدينة أويا إذ يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي....)). وهو هنا لا يشير إلى إستعمال القوس نفسه بل يذكر أنه يتوسط مجموعة من الدكاكين التي تبيع السمك ومواد أخرى، وقد أستغل القوس نهاية العهد العثماني الثاني كدار عرض للخيالة (سينما) وفي 23 فبراير 1912م فوض اللواء كانيفا الحاكم العسكري الإيطالي لقطاع طرابلس في شراء القوس من أسرة القرقني وإخلاء المتاجر الملتصقة به، والشروع في التنقيبات الأثرية وبالفعل شرع في إزالة المباني المحيطة به في 1912/3/27م وانتهت أعمال الحفر والتنقيب في شهر 1918/7م .

أعمال الحفر والتنقيب بالقوس :

قامت السلطات العسكرية الإيطالية بشرائه من أسرة القرقني في 1912/2/23م، وأخليت المتاجر الملتصقة به وشرع في إزالتها في 1912/3/27م، وبدأت أعمال الحفر والتنقيب به وانتهت في شهر 1915/7م، كانت العديد من الآراء قد برزت في تلك الفترة تطالب بالتوسع في عمليات الهدم والإزالة للمنطقة المحيطة بالقوس حتى يضمن بيئة مناسبة جديرة به تبرزه وتوضح معالمه، وكان ذلك يتطلب التضحية بمجموعة من المباني العربية الإسلامية التي أكسبت مدينة طرابلس هويتها العربية الإسلامية، وما كان هم الإيطاليين إلا أبراز ذلك الأثر الروماني وإزالة العديد من معالم طرابلس لتسلخ المدينة عن هويتها، ويجب أن نشير هنا أن صوت إيطالي هو صوت فرانشسكو كورو ارتفع من بين تلك الأصوات للدفاع عن تلك المباني لافتا النظر إلى أهميتها وضرورة المحافظة عليها فكتب مقالين عنها ضمنها معلومات بالغة الأهمية عن مباني طرابلس الإسلامية وقيمتها التاريخية، في سنة 1931م أنجز المهندس المعماري الايطالي ميكيلي ماريلي بالتعاون مع إدارة الآثار في طرابلس دراسة لتنظيم منطقة قوس ماركوس أوريليوس وكان القصد منها إبراز القوس وإظهار أهميته الأثرية والفنية، إذ أن وضعه في سنة 1918م اعتبر وضعا مؤقتا، إضافة أن فترة زمنية قد مرت به واتضح بجلاء أهمية المباني التاريخية العربية الإسلامية التي تحيط به، منها الفندق المعروف باسم فندق المالطيين أو (فندق البنادقة) وهو فندق قديم جدا ومن المحتمل أن الدمار ألحق به في الفترة التي ما قبل 1551م، وقد أعيد ترميمه بأمر من والي طرابلس سنة 1748م ولذلك عرف باسم فندق القرمانلي، كما عرف أيضاً باسم فندق الرمانة وهو المبنى الواقع على يسار

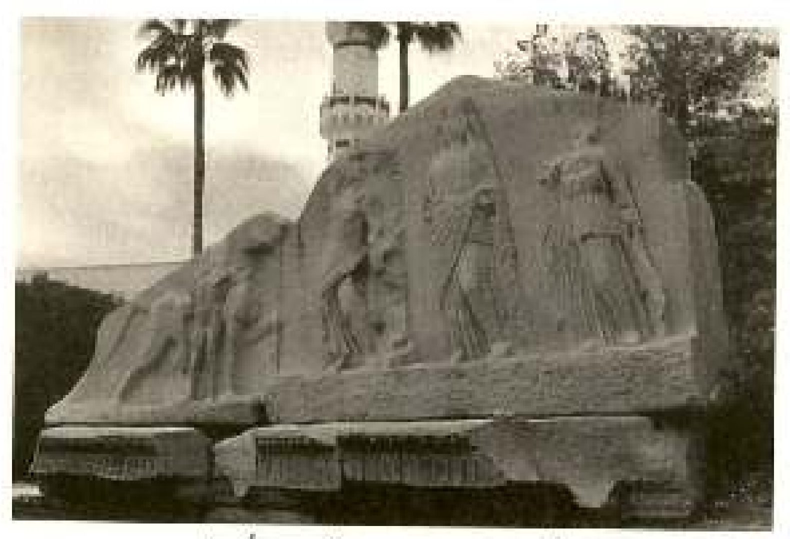
القوس وكان يوجد على يمين القوس فندق عرف بعدة أسماء (بن قدارة، والجنوبيين، وبنت السيد) الذي بني في منتصف القرن السابع عشر على إطلال مبنى قديم، ويحد القوس على جهة اليسار مبنى القنصلية الفرنسية، وهو من المباني المتميزة داخل المدينة وهناك أيضاً فندق الضفايري عرف باسم (فندق زميت أو فندق المالطيين) والذي أنشأ في سنة 1183هـ، إن هذا المخطط يضحى بأجزاء مهمة من تلك المعالم التاريخية في سبيل إبراز القوس وقد استبعد هدم جامع عبد الوهاب القيسي لوقوعه على المحور الرئيسي للقوس بينه وبين البحر في جهة الميناء، بقصد إضفاء ملمح معماري يتسم بالجاذبية والجمال على محيط القوس، وعدم المساس بالشعور الديني لدى الأهالي الذين يكنون كل الاحترام والتقدير للضريح والجامع القديم، وفي نفس الفترة طرح مشروع أخر اكثر تطرفاً وضعه المعماري فلوريستانو دي فاوستو لا يكترث بالجانب الأعظم من المباني التاريخية السابقة ليوفر حرما ومجالا واسعا للقوس مما حدا بمعاصريه إلى التساؤل عما إذا كانت التضحية بمباني له قيمة تاريخية وأثرية تؤدي إلى خدمة القوس وإبرازه بل إنهم عبروا عن خوفهم من أن التضحية بتلك المباني ستجعل القوس في رحبة واسعة فيبدو أصغر مما هو عليه، وفي نهاية الأمر تم تنفيذ مشروع دي فاوستو بعد أن أدخلت عليه تحويرات وتعديلات مناسبة تضحى بأجزاء من بعض المعالم مع عملية الترميم التي تحاول عدم الإخلال بالنسيج العمراني للمنطقة، شرع في تنفيذ المخطط في سنة 1936م فتم الحفاظ على جامع عبد الوهاب القيسي، وازيلت جدران فندق بنت السيد واقتطعت منه مساحة لتكون حرما للقوس، مع بناء جدران مناظرة جديدة تلائم البناء القديم ووظف الفندق ليكون مشاغل للصناعات اليدوية ومدرسة لتعليم صياغة الذهب والفضة ولابد أن نشير هنا إلى القطع الرخامية المتناثرة في حرم القوس التي عثر على أغلبها في مدينة طرابلس (أويا) ولعل أهمها المنحوتات التي نحتت على كتلة رخامية هرمية الشكل عثر عليها بجوار قوس ماركوس أوريليوس أثناء فترة التنقيب بحثاً عن الشارع القديم، كانت جزءاً من واجهة معبد صغير، تشير النقوش اللاتينية التي بها بأن ل. أميليوس فرونتينوس دشن المعبد العام 183 – 184 بعد الميلاد باسم جينيوس (ENIUS) الروح الحامية لمدينة أويا. وتظهر المنحوتات البارزة التي نفذت على سطح الكتلة الرخامية الهرمية الشكل أربعة أشخاص وحصان، ففي مواجهة المشاهد إلى اليسار نحت أحد الديسكوري (DIOSCURI) [1]

---

(1) . تقول الاسطورة أن الاله جوبيتر جامع ليدا (LEDA) في صورة ذكر الاوز فأنجب منها التوأم الديسكوري (DIOSCURI) وغالبا ما يظهران معاً

وهو يسرج حصانه وغالباً ما يظهر الديسكوري التوأم معا فلذلك يرجح أن يكون نحت مماثل له يشغل الركن الأيمن من الكتلة الهرمية الشكل لم يتم العثور عليه. بجانب الديسكوري يوجد نحت للمؤله أبولو وهو يمسك بفرع من الغار ويتكئ على شوكة بثلاثة رؤوس(TRIPOD) وتلتف حوله أفعى. إلى اليسار أبولو يظهر نحت امرأة متدثرة بعباءة تبرز منها الرجل اليسرى عارية ويدها اليسرى ممسكة بالعباءة التي تتدلى حتى قدمها اليسرى. ويمثل هذا النحت في الغالب تيكي (TYCHE) التي تجلب الحظ السعيد لمدينة أويا. إلى يمينها نحت يمثل المؤلهة منيرفا وهي واقفة مرتدية خوذتها ممسكة برمح ودرع. ومن المعروف أن أبولو ومنيرفا هما المؤلهان الحاميان لمدينة أويا.

وختاماً فإن قوس ماركوس اوريليوس قد قاوم عوامل الزمن، وحافظ أهل مدينة طرابلس عليه، ووقفوا أمام محاولات اقتطاع أجزاء منه وهدمه خلال فترة طويلة من الزمن، ومازال القوس قائماً في أهم مناطق طرابلس القديمة التي تعج بحركة السياح، وأعطت الفضاءات الثقافية التي أنشاها مشروع تنظيم وادارة المدينة القديمة بطرابلس بالمنطقة كمكتبة نويجي (القنصلية الانجليزية سابقاً القرن الثامن عشر)، ودار حسن الفقيه حسن للفنون (القنصلية الفرنسية سابقاً القرن السابع عشر) بعدها الثقافي وأصبحت منطقة جذب للمثقفين والباحثين والدارسين وطلبة الجامعات، إضافة إلى الحركة الاقتصادية فيها مما جعلها تنبض بالحياة والحركة. والقوس في حالته الراهنة يحتاج إلى أعمال الصيانة والترميم التي يجب أن يقوم بها مختصون لنحافظ على معلم أثري ارتبط بتاريخ طرابلس لما يقرب من ألفي سنة.



قطعة أثرية خلف قوس ماركوس أوريليوس

أهم المصادر والمراجع

أولا :الكتب العربية:

1. أورنيلا سان جوفاني. المخطط التنظيمي لسنة 1912 إلى أشغال سنتي36-1937م. ترجمة محمود التائب. مجلة اثار العرب، العدد الثالث (سبتمبر 199)، مصلحة الآثار ومشروع ادارة وتنظيم المدينة القديمة طرابلس،
2. الآنسة توللي. عشرة أعوام في طرابلس. ترجمة عبد الجليل الطاهر. بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967م.
3. خليفة محمد التليسي. حكاية مدينة. ليبيا – تونس: الدار العربية للكتاب، 1974م.
4. سالفاتوري اوريجيما. قوس ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس في طرابلس. تلخيص وترجمة عيسى الأسود. ليبيا، الإدارة العامة للأثار، الملحق الثالث لمجلة ليبيا القديمة، 1969م.
5. سعيد علي حامد. قوس ماركوس أوريليوس بطرابلس. طرابلس: مجلة نادي المدينة الرياضي الثقافي. العدد الثاني، 1987م.
6. سعيد علي حامد (قوس ماركوس أوريليوس) بطرابلس . منشورات جهاز المدن التاريخية .
7. محمد علي عيسى. أقواس النصر تفصيلها المعمارية ومواقعها من المدن الرومانية. مجلة أثار العرب، العدد الثالث (سبتمبر 1991م)، مصلحة الاثار ومشروع ادارة وتنظيم المدينة القديمة بطرابلس.
8. محمود أبو حامد، محمود النمس مدينة طرابلس منذ الإستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي. ليبيا: مصلحة الآثار، 1978م.

ثانياً :الكتب الأجنبية:

1. D. E. L. Haynes. THE ANTIQUITES OF TRIPOLITANIA. TRIPoLI, DEPT. OF ANTIQUITES, 1981.
2. SALVATORE AURIGEMMA. L ' ARCO QUADIFRONTE DI MARCO AURE- LIO E DI LUCIO VERO IN TRIPOLI. SUPPLEMENTS OF L. A. III. TRIPOLI, THE DEPT. OF ANTIQUITES.
3. GIACOMO CAPUTO. IL CONSOLIDAMENTO DELL ' ARCO AURELIO IN TRIPOLI. AFRICA ITALIANA, VOL. VII. ANNO XVIII.
4. GIACOMO CAPUTO. IL TEMPIO OEENSE AL GENIO DELLA COLO- NIA. AFRICA ITALIANA, VOL. VII. ANNO XVIII.
5. MICHELE MARELLI . IL CORONAMENTO ARCHITETTONICO DELL ' ARCO DI MARCO AURLIO IN TRIPOLI. AFRICA ITALIANA. VOL. V. 1933 – ANNI XI-XII.



حــوش محمود بي

البيوت القديمة بطرابلس

اكتسبت مدينة طرابلس هويتها العربية الإسلامية بعد فتح عمرو بن العاص لها سنة22هـ / 643م، وتقبل أهلها الإسلام، وبدون شك فإن العمارة في طرابلس عامة تأثرت بروح الدين الجديد وكان لها التأثير الواضح في دور العبادة والمساكن فيها، إن الظروف التاريخية التي مرت بها مدينة طرابلس من فتن وثورات واحتلال وقصف خلال تاريخها الوسيط لم يبق لها دور سكن متميزة ترتقي تاريخياً إلى الفترة الإسلامية المبكرة.

فالمنازل الطرابلسية القديمة القائمة في وقتنا هذا تتوزع زمنيا ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، باستثناء منزل واحد بناء على كتابة على لوحة من القيشاني تشهد بسنة بنائه (1228هـ / 1813م) مع اسم الخزاف (يوسف الخميري) فإننا غير قادرين على تحديد تاريخ تشييدها بكل دقة، لكنه من الممكن الإستنتاج (بالنسبة لجميعها أو معظمها) وبصفة خاصة يمكن ترتيب التسلسل الزمني لتشييدها، وفي ذلك تساهم المذكرات التاريخية المتعلقة بتلك المنازل وبالأخص مقارنة الأشكال المعمارية والزخارف الموجودة بها والتي توجد بالمساجد في المدينة حيث تعرف تاريخ إنشائها الأكثر .»[1]

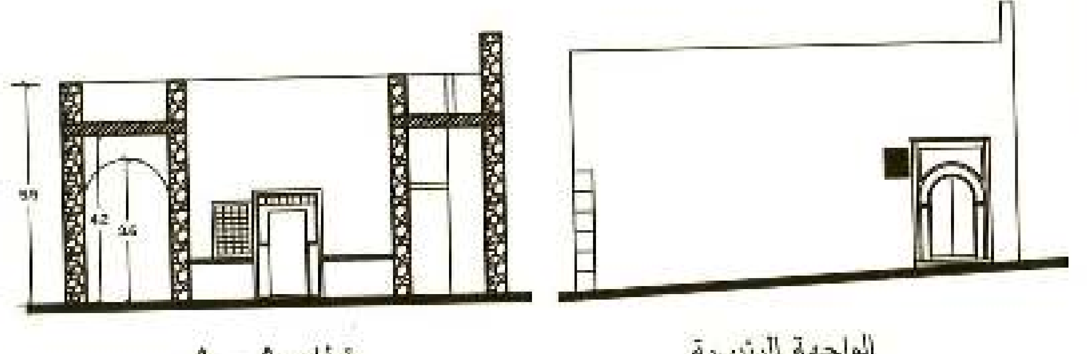
ومن المعروف أنه في النصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد (1510-1551م) كان الصراع على أشدة على السيطرة على مدينة طرابلس بين الأهالي والأسطول العثماني والغزاة الإسبان وفرسان مالطا مما أدى إلى تدمير شبه كامل للمدينة، وفي القرن السابع عشر بعث الأسرى اليونانيون متعة إنشاء المنازل الجميلة المترفة» [2] ويرجع ذلك إلى الاهتمام بالعمارة الدينية من قبل الأهالي حيث أنها أماكن عبادة مقدسة إضافة إلى الإنفاق على صيانتها وترميمها خصص لها من ريع الأوقاف التي وقفت عليها.

ويشير ميسانا في كتابه المعمار الإسلامي في ليبيا أنه منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد ولا سيما إبان ولاية عثمان باشا الساقزلي (1649 . 1672م) ظهرت في طرابلس بعض المساكن الممتازة التي ما برحت قائمة حتى الآن، وإن جميع هذه المنازل بنيت من طابقين وتفتح غرفها على وسط «الحوش» وإن المحال الوحيدة في الطابق الأول

---

(1) . بيترو رومانيللي، منازل عربية قديمة، ترجمة فؤاد الكعبازي، مجلة آثار العرب، منشورات مصلحة الآثار ومشروع المدينة القديمة، طرابلس، العدد 12، مارس 1991م، ص 10

(2) . إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة التليسي، بيروت : دار الثقافة 1974م، ص 241



قطاع A – A

الواجهة الرئيسية

المسقط الأفقي

نموذج للحوش الطرابلسي

يخدمها «مستراح» محيط بالحوش، لها نوافذ وشبابيك حديدية منفتحة على الشارع.»[1] ومن التمعن في بيوت طرابلس القديمة القائمة يلاحظ المرء أن المعماريين والبنائيين في طرابلس كيفوا البيت الطرابلسي ليكون ملائما للبيئة وبالتالي حاولوا « الوصول إلى ما يعرف اليوم معمارياً بالبيت الطبيعي، أي التصميم الذي يشغل الإمكانيات الطبيعية لتوفير البيئة المناسبة للإنسان سواء أكانت هذه البيئة متمثلة في الظروف المناخية أو الابتعاد عن الضوضاء أو الخصوصية المطلوبة أو الشكل المعماري، فنجد التركيز على زيادة سمك الحوائط في العزل الحراري والمحافظة على التحكم في البيئة الداخلية للحجرات عن طريق سماكة الحوائط بالإضافة إلى فعاليتها في عزل الصوت أيضا .

ومهما كانت مادة هذه الحوائط فإننا نجد تخانتها تتجاوز المتطلبات الإنشائية » [2] ويمكن ارجاع ذلك إلى هشاشة المواد المستخدمة في البناء وفي كثير من الأحيان يتم اللجوء إلى دعامات سانده خاصة في مباني المساجد أو القلاع في حين أن الكتل المعمارية المتجاورة والمتراصة تساعد في تدعيم جدران البيوت.

أثنى الكثير من الرحالة الذين زاروا طرابلس على المدينة وشوارعها وبيوتها، فابن رشيد السبتى الذي قام برحلته أواخر القرن السابع الهجري (685هـ) وصف فيها طرابلس بقوله « رأينا بلداً حسناً وناساً فضلاء ... وبها مدينة حسنة الوضع رائعة الصنع .» [3] وأثنى التجاني على شوارع المدينة التي تصف البيوت على جانبيها بقوله « فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن إتساعاً وإستقامة وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من أولها إلى أخرها على هيئة شطرنجية .» [4] ومنهم علي بك العباسي (باديا لبليك الذي زار طرابلس في سنة 1805م أثناء حكم يوسف القرمانلي فذكر أن بيوتها منتظمة حسنة وأكثرها تتميز ببياضها الناصع .

الحوش الطرابلسي :

تطلق كلمة الحوش على المنزل أو البيت في ليبيا، وهو في أغلب الأحيان يتكون من مدخل على هيئة عقد يؤدي إلى ممر يطلق عليها السقيفة وفي بعضها توجد حجرة

---

(1) . غاسبري ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسنين، بيروت : دار الجبل ودار الرواد، 1998م، ص 109

(2) . علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، طرابلس : دار الفرجاني1993م،ص 346

(3) . ابن رشيد السبتى، ملء العيبة عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، ص 118

(4) . التجاني، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب، تونس : المطبعة الرسمية 1958م، ص239

تعرف باسم المربوعة وهي خاصة برب الأسرة، وبعدها جدار يواجه المدخل يوجد بعده ممر إلى وسط الحوش، وهذا يعرف بالمدخل المنكسر وهو يخدم هدفين أساسين :

الأول : يوفر الخصوصية لأهل البيت إذ يحجب أعين المارة والمتطفلين عن ما يدور في وسط الفناء الذي هو المجال الحركي لأهل البيت من النساء .

الثاني : يمنع ولوج الأتربة والرمال إلى وسط الحوش .

يأتي بعد ذلك العنصر الأساسي الذي اشتهر به البيت العربي عامة والبيت الطرابلسي خاصة «المعروف بالفناء الداخلي المفتوح الذي يطلق عليه محليا (وسط الحوش) وهي الكلمة الدارجة للبيت أو المنزل هي الحوش، وتطلق هذه الكلمة في بعض البلاد العربية على الفناء المشار إليه، وهذا الفناء أو وسط الحوش هو عنصر الحركة والإتصال بين أجزائه، بالإضافة لاستعمال مميزاته المناخية بما يتوفر من ظلال حوائط أو بواكي أو أشجار للتريض أو العمل تحت هذه الظلال أي في ظل الطبيعية .» [1]

وما يميز وسط الحوش أن كل الحجرات والنوافذ تفتح عليه ومنه تستمد الإضاءة والتهوية إذ لا توجد عادة أي نوافذ تفتح على الشارع بإستثناء نافذة صغيرة أو طاقة صغيرة لتهوية المرحاض. ووسط الحوش « يعتبر منطقة منفعة جماعية في حالة تقسيم المنزل أو سكنته أكثر من أسرة، وكل هذه الميزات حتمت استمرارية إستخدامه في التكوينات المعمارية الإسلامية بالمدينة الإسلامية، بل إنها دفعت إلى تطوير استخدامه وظيفياً وجماليا ليتناسب وحياة الأسرة المسلمة التي تقضي معظم أوقاتها داخله خصوصاً النساء .» [2] توجد في وسط الحوش في بعض بيوت الأثرياء والموسرين من الأهالي نافورات مياه لتعطي نوعا من التفرد والجمال لوسط الحوش وتساهم في تلطيف الحرارة في فصل الصيف، وجلوس أفراد الأسرة الواحدة التي تشغل ذلك البيت خاصة في الفترة المسائية.

تتميز البيوت في طرابلس بوجود حجرة تسمى (دار القبو) وهي في العادة حجرة مستطيلة في طرفيها سدتان خشبيتان، أحدهما تستخدم لمبيت الوالدين والأخرى لمبيت الأطفال ويستخدم أسفلها لتخزين أغراض الأسرة بينما يستخدم الفراغ الذي يتوسطهما للمعيشة والاستقبال ومن أمثلها ما هو موجود بحوش الحريم بشارع الأربع عرصات بالمدينة القديمة.

تصف لنا الآنسة توللي في كتابها عشرة أعوام في طرابلس أحد بيوت الأثرياء في طرابلس

---

(1) . المرجع السابق، ص 346

(2) . محمد عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 128، أغسطس 1988، ص 341

في رسالتها المؤرخة في 9 سبتمبر 1793م فتقول : « عندما تدخل المنزل تقابلك السقيفة وهي قاعة رصفت على جانبيها مقاعد من الحجر وفي هذه السقيفة ... توجد سلالم تؤدي إلى الحجرة الواحدة الكبيرة ... والتي فيها نوافذ تطل على الطريق، ولا يسمح بوجود مثل هذه النوافذ في أي جزء أخر من أجزاء المنزل، وتكون هذه الحجرة خاصة بسيد المنزل وحده يستقبل فيها الزائرين، ويقوم بالأعمال التجارية، ويقيم الولائم والدعوات البهيجة.. يقع وراء الحجرة هذه وسط الحوش الذي يتناسب رصفه وتبليطه مع الحالة المالية لصاحب المنزل فالبعض منها مبلط بالأسمنت الأسمر، الذي يشبه في جماله الرخام المصقول والبعض الأخر مبلط بالرخام الأسود أو الأبيض، وتبليط المنازل الفقيرة بالحجر والطين وسواء كانت المنازل صغيرة أو كبيرة في المدينة أو القرية فإنها مبنية على نفس الطراز وتستعمل وسط الحوش لإستقبال الضيوف من السيدات اللواتي ترحب بهن وتكرم وفادتهن سيدة المنزل في مناسبات عديدة كالاحتفال بالزواج، أو في العيد وكذلك قبول التعازي عند الوفاة، أو تشييع موكب الدفن .» [1]

اعتمد سكان تلك البيوت في حياتهم المعيشية على مصادر المياه المتوفرة إذ توجد بها آبار وعادة ما تكون مياهها غير صالحة للشرب وتستعمل في الغسل والتنظيف بينما مياه الشرب تخزن في مواجل تعتمد على مياه الأمطار التي تسقط على سطح البيت وتندفع عبر أنابيب فخارية مخفية في أحد جدران البيت لتصل إلى الماجل (الماجن) ولذلك يهتم أهل البيت كثيراً بتنظيف سطح البيت وطلاءه بالجير كما يستغل إضافة إلى ذلك في تجفيف بعض الأطعمة كالطماطم والبصل وغيرها لاستعمالها فيما بعد.

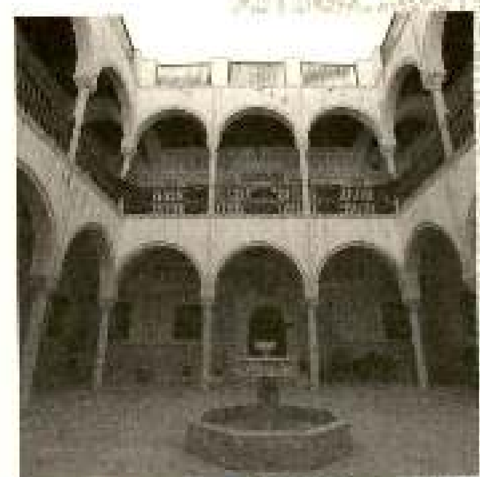
لم يغفل المعمار الليبي الجانب الزخرفي في البيوت المميزة التي يشغلها عليها القوم والموسرين وتتمثل أغلب الزخارف في بلاطات القيشاني التي حوت زخارف نباتية وهندسية صنعت محليا أو استوردت من تونس إضافة إلى بعض الكتابات، فزخرفت بها أفنية تلك البيوت ومداخلها وبعض الحجرات أما الزخارف الحجرية فقد اقتصرت على أفاريز المداخل الخارجية والحجرات، والنوافذ التي استخدم فيها الحجر المستورد من مالطا لسهولة نحته كما هناك بعض الزخارف الجصية خاصة في الطاقات التي تعلو مدخل الحجرات لتعطي الإضاءة والتهوية لها.

وما تزال مدينة طرابلس تحتفظ ببعض البيوت المميزة التي حافظت على معالمها الأصلية وقد أجرت السلطات الأثرية الإيطالية المهتمة بالمعالم التاريخية حصراً في سنة 1921م. فكان عدد البيوت المميزة داخل مدينة طرابلس القديمة أربعة وعشرون بيتاً وفيما يلي أهم البيوت :

---

(1) . الأنسة توللي، عشرة أعوام في طرابلس، ترجمة عبد الجليل طاهر، بنغازي : دار ليبيا للنشر، 1967م، ص





حوش الحريم





حوش محسن





حوش الباشاوات (دار القاضي)

حوش الحريم :

يقع بشارع الأربع عرصات داخل المدينة بناه يوسف باشا القرمانلي باشا طرابلس 1795 .1832م له واجهتان ومدخلين، الأول بالشارع المشار إليه أعلاه والأخر على شارع سوق الحرارة ويبدو أنه كان المدخل الرئيسي للحوش إذ يؤدي إلى سقيفة ينعطف الممر إلى وسط الحوش وهو ما يعرف بالمدخل المنكسر. عرف هذا الحوش بحوش الحريم لأنه مخصص لحريم يوسف باشا والذي سكن فيه بعد تنازله عن الحكم لابنه علي القرمانلي سنة 1832م واستمر يوسف باشا بالإقامة به حتى بعد إنتهاء حكم أسرته سنة 1835م إلى أن وفاته المنية سنة 1838م .

اتخذته قنصلية توسكانا مقراً لها ثم مخزنا لأحد التجار اليهود ثم وظفه مشروع المدينة القديمة في تسعينيات القرن الماضي بعد إجراء أعمال صيانة وترميم كبيرة ليكون معرضا للأزياء والتقاليد الشعبية.

يمتاز هذا الحوش بمساحته الكبيرة ووسطه عبارة عن فناء مربع الشكل تقريبا تتوسط نافورة مياه رخامية، وتفتح عليه أبواب ونوافذ الحجرات في الطابق الأرضي وتحيط به بواكي ويشرف عليه مستراح الدور الأول والجدران كلها مكسية ببلاطات القيشاني، ويوجد سلم حجري يؤدي إلى السطح الذي منه يمكن مراقبة الحركة في ميناء طرابلس .

حوش محسن :

نسب هذا الحوش لصاحبه وهو الشيخ محسن شيخ البلد في عهد يوسف القرمانلي، يفتح مدخله على شارع الأربع عرصات، وقد تم بنائه في سنة 1228هـ / 1813م . حسب ما هو مدون على ثلاث لوحات من القيشاني توجد في الطابق الأول تحمل إحداهما اسم الخزاف يوسف الخميري وفيها الكتابة التالية :

(هذه الدار أضافت بهجة، وتجلت فرحا للناظرين، كتب السعد على أبوابها، ادخلوها بسلام آمينين) وهو يشبه حوش الحريم في معماره إلا أنه أقل مساحة وقد استخرجت منه بعض المحلات.

حوش الباشاوات :

يقع بشارع جامع الدروج رقم (40) يعود بناؤه إلى العهد القرمانلي وهو يتكون من طابقين وملحق به اسطبل يفتح على شارع جامع الدروج، وفي فترة الاحتلال الإيطالي عرف باسم دار القاضي لأنه كان مقراً للمحكمة الشرعية .




حـــوش قـــرجي




حـــوش الزبي النسيم




حـــوش القرمانلي

حوش قرجي :

يقع بشارع الأربع عرصات شيده مصطفى قرجي وهو من أعيان طرابلس وتجارها في عهد يوسف باشا القرمانلي وكان قد تزوج من ابنة يوسف باشا وكان يشغل وظيفة رايس المرسى التي من مهامها الإشراف على الأسطول والملاحة في الميناء. ويتكون الحوش من دورين الدور الأول به وسط الحوش شبه المربع وتفتح عليه أبواب ونوافذ الحجرات ومستراح الدور الأول الذي كانت تعلو أحدى حجراته مزولة شمسية والحوش في حالة سيئة يحتاج إلى صيانة وترميم .

حوش المكني :

يقع في زنقة المكني رقم 27 المتفرعة من شارع كوشة الصفار، وكان المكني من أعيان مدينة طرابلس عينه يوسف باشا القرمانلي حاكما على فزان . يتميز الحوش بغنائه بالأقواس والأعمدة وملحق به حمام بخاري صغير وحوش صغير كان يشغله الخدم .

حوش الربي نسيم :

يقع بشارع الربي نسيم رقم (10) يعرف الآن بشارع جامع بن سليمان، وكان يشغله حاخام يهودي فنسب إليه . يمتاز الحوش بسقيفة طويلة نحو 8 أمتار ثم ينعطف المرء على اليسار يجد وسط الحوش وهو عبارة عن شبه مستطيل تفتح عليه حجرات ونوافذ الدور الأرضي ومستراح الدور الأول وكانت تزين الجدران بعض بلاطات القيشاني وسكنت البيت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي أسر ليبية. وهذا الحوش الآن خرابة .

حوش القرمانلي :

يقع بشارع سيدى عمورة رقم 35 كان سكنا لعائلة القرمانلي وآخر من سكن فيه كان علي غالب القرمانلي في ستينات القرن الماضي، يتكون الحوش من دورين، وهو يخلو من الزخارف، وكان يتوسط وسط الحوش حوض به بعض نباتات الزينة وربما كان سابقاً نافورة يرتكز مستراح الطابق الأول على أعمدة خشبية .

حوش حواء علجية :

يقع في زنقة حواء علجية رقم 123 المتفرعة من شارع كوشة الصفار، ويتكون من دورين به بعض الزخارف الخشبية، وعرف بهذا الاسم لأنه كان سكنا للسيدة حواء علجية طليقة أحمد باشا القرمانلي الذي حكم إيالة طرابلس بين سنتي 1711-1745م.




حـــوش حواء علجية




حـــوش بيت المال




القنصلية الفرنسية

حوش بيت المال :
يقع بشارع جامع الدروج رقم 18 مساحة الحوش صغيرة، ويتكون من دورين حدثت به عدة التغيرات والإضافات وتعود أهمية الحوش لأنه كان سكنا لأحد الشخصيات المتنفذة في عهد يوسف باشا القرمانلي 1795-1832م، واشتهر بتوليه إدارة بيت المال ثم منصب الوزير انضم إلى الثورة التي قادها محمد بن محمد القرمانلي ضد جده يوسف باشا وعمه علي باشا 1830 . 1835م وفي بداية العهد العثماني الثاني عمل مستشاراً للولاة العثمانيين الذين استفادوا من خدماته.
وتوجد مجموعة أخرى من البيوت داخل المدينة القديمة ومنها حوش الأزمرلي بشارع كوشة الصفار، وحوش حبيب (الغدامسي) وحوش الصابون بشارع سيدي الحطاب بنفس الشارع السابق وحوش قرجي بشارع سوق الحرارة، وحوش البي محمود بزنقة الفرنسيس وهناك مجموعة من البيوت استعملت كمقار للقنصليات الأجنبية ومن أهمها :

القنصلية الفرنسية :
يقع مبنى القنصلية الفرنسية بزنقة الفرنسيس بمنطقة باب البحر ويبدو أن المبنى يعود إلى الفترة التي سبقت سنة 1630م وشغلته القنصلية الفرنسية في هذا التاريخ واستمر القناصل الفرنسيون يؤدون عملهم ويسكنون فيه إلى سنة 1940م.
وكان أول قنصل هو دي مولان ومن أشهر القناصل في العهد القرمانلي كان القنصل روسو 1825-1830م الذي كان له خلاف كبير مع القنصل الإنجليزي وارنجتون ثم القنصل الفرنسي شوبيل في نهاية العهد القرمانلي 1830-1835م من أشهر القناصل الفرنسيين في العهد العثماني الثاني كان القنصل شارل فيرو 1878- 1885م صاحب اليوميات الطرابلسية . [1]
ويتميز مبنى القنصلية باللمسة الجمالية التي أضيفت عليه، ورغم الإضافات والتعديلات في الجانب الشمالي التي طرأت في فترات مختلفة، فإنه ما يزال يحتفظ بسمات البيت الطرابلسي، فمدخله الرئيسي الذي يفتح على زنقة الفرنسيس يمتاز بحجمه الكبير وهو على هيئة عقد، تليه السقيفة التي بها ماجل لحفظ مياه الأمطار، ثم يأتي وسط الحوش المربع الشكل تقريباً ووجود دار القبو في جهته اليسرى، أما عن ناحية الشرق فهناك درج رخامي به دربازين يؤدي إلى الدور الأول الذي كان به مكتب القنصل وبعض الحجرات الأخرى

---
(1) . لمزيد من التفاصيل ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي





مكتب القنصل الفرنسي في القنصلية الفرنسية





القنصلية الانجليزية



الفناء الداخلي للقنصلية الانجليزية



المدخل الرئيسي للقنصلية الانجليزية

ويبدو أن هناك إضافات وتعديلات على البيت بإضافة حديقة له واسطبل لخيول القنصل وفي الفترة الإيطالية أثناء تهيئه حرم لقوس ماركوس أوريليوس سنة 1936م أزيلت بعض الأجزاء الشمالية منه لتضم إلى حرم القوس وتم تحوير هذه الجهة لتكون بشكلها الحالي يتميز الحوش بمساحته الكبيرة إذ تبلغ نحو 950متراً مربعاً، وبعقوده وأعمدته وبلاطات القيشاني وبالمشغولات الخشبية والحديدية مما أضفى عليه مسحة جمالية إضافة إلى إطلاله على أهم معلم أثري في طرابلس وهو قوس ماركوس أوريليوس وبشرفته التي تطل على الميناء التي تمكن القناصل في تلك الفترات من رصد الأساطيل الحربية والتجارية، بعد سنة 1940م أصبح المبنى سكنا لبعض العائلات حتى قام مشروع المدينة القديمة بصيانته وترميمه وتأثيثه ووظفته ليكون داراً للفنون باسم دار حسن الفقيه حسن للفنون وافتتح 2001/11/1م لتكون أحد المعالم الثقافية في مدينة طرابلس القديمة .

القنصلية الإنجليزية :

تقع في شارع الأكواش بمنطقة باب البحر يرجع إنشاء هذا البيت إلى سنة 1744م وقد استعمل كمقر للقنصلية الإنجليزية حتى سنة 1940م، شهد البيت استقبال البعثات الاستكشافية التي اتجهت إلى بلاد ما وراء الصحراء وكانت في ضيافة القنصل الإنجليزي خاصة وارنجتون الذي كان له تأثير كبير على حكام الأسرة القرمانلية ودخل في صراع مع القنصل الفرنسي خاصة بعد مقتل 1826م الرحالة الإنجليزي لاينج واختفاء أوراقه واتهم فيها القنصل الفرنسي وأنه تلقى مساعده من حسونة الدغيس الذي اضطر إلى مغادرة طرابلس. المدخل الرئيسي للقنصلية الإنجليزية بشارع الأكواش وهو مدخل كبير بعقد نصف دائري تليه السقيفة التي هي شبه مربعة بها حجرة على يمين الداخل الذي ينعطف يساراً ليجد وسط الحوش الذي هو عبارة عن ساحة مربعة بوسطه شجرة، وتطل عليه بعض الحجرات ونوافذ الدور الأرضي، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية منه مدخل يؤدي حجرة كبيرة مستطيلة الشكل سقفت على هيئة قبو وكانت أسطبلاً للقنصل ولها باب يفتح على زنقة البيليك.

ويتوسط الجدار الجنوبي درج يتفرع إلى فرعين يؤدي إلى الدور الأول الذي به مستراح ومجموعة من الحجرات، بعد سنة 1940م سكنت مجموعة من العائلات المالطية ثم أصبح سكناً لبعض البحارة.

قام مشروع المدينة القديمة بصيانة وترميم المبنى ووظفته ليكون فضاء ثقافيا باسم بيت عبدالخالق نويجي يضم مكتبة عامة وافتتح في 1994/10/27م.



علم القنصلية الأمريكية

القنصلية الألمانية :

وتقع في شارع الحمام الصغير بمنطقة باب البحر قبل تقاطعها مع زنقة الريح (الكاتب) على اليسار وكان ملاصقا لسفارة الدانمارك من الخلف وقد تهدم هذا المبنى كليا وبنى مكانه مبنى جديد .

قنصلية البندقية :

تقع بزنقة الخمري بمحلة باب البحر، وكان هذ البيت ملكا للسيدة اللالا حلومة والدة يوسف باشا القرمانلي، ويتضح من حجة صادرة من محكمة طرابلس الشرعية بتاريخ أخر محرم 1211هـ هجرية الموافق 6 أغسطس 1796م أنها باعتها لابنها يوسف، ومن المحتمل أن يكون قد أمر بتحرير هذه الحجة كطريقة لإثبات أنها أمه قبل وفاتها. [1] ويتكون الحوش من دورين ويطل سطحه على مدخل ميناء طرابلس .

القنصلية الأمريكية :

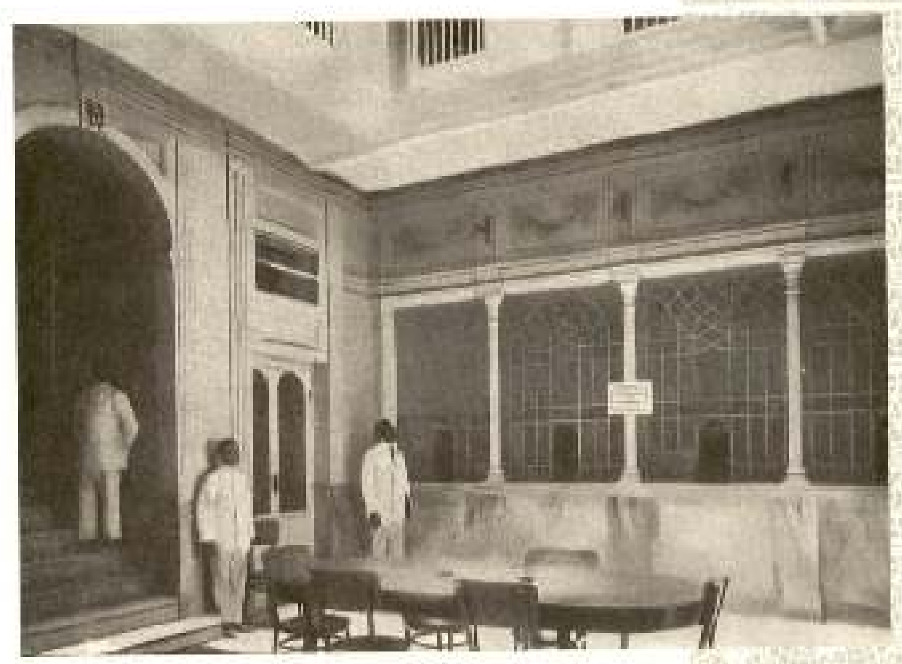
شغلت الحوش رقم 24 بزنقة الحمام الصغير، وهي ملاصقة لقنصلية الدانمارك من الخلف الذي كان بابها الرئيسي يفتح على زنقة الريح (الكاتب)، يتكون مبنى القنصلية من دورين عرف لدى الأهالي بحوش المليكان، وكان أول قنصل أمريكي بطرابلس هو كاثكارت الذي وصل إليها في سنة 1799م وتظهر المفردات المعمارية المتبقية في الحوش أنه كان بيتا متميزاً، وتدل أنه يعود إلى بداية العهد القرمانلي، تعددت استعمالات المبنى من قنصلية إلى سكن لبعض العائلات، وفندق اشتهر باسم فندق السري، وهو الآن في حالة سيئة جداً

مبنى بنك روما :

يقع بساحة السيدة مريم بمنطقة باب البحر، وقد أدخلت على البيت العديد من الإضافات والتغيرات، فقد كان المقر الأول لبنك روما الذي فتح أبوابه في شهر أبريل سنة 1907م ليكون أحد ممهدات الغزو الاقتصادي الإيطالي لليبيا . [2] يمكن القول أن طرازه المعماري هو عمارة البحر الأبيض المتوسط التي بدأت تظهر بوضوح في بعض مباني مدينة طرابلس القديمة بعد منتصف القرن التاسع عشر، تبلغ مساحته 818 م2 وظف المبنى في سنة 1936م ليكون متحفا للتاريخ الطبيعي، يضم مكتبة كانت تضم نحو 4 آلاف كتاب

(1) . أنظر : ميكاكي، طرابلس تحت حكم أسرة القرمانلي

(2) . لمزيد من المعلومات أنظر : عقيل البربار، نشاط مصرف روما، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة 4، العدد 2

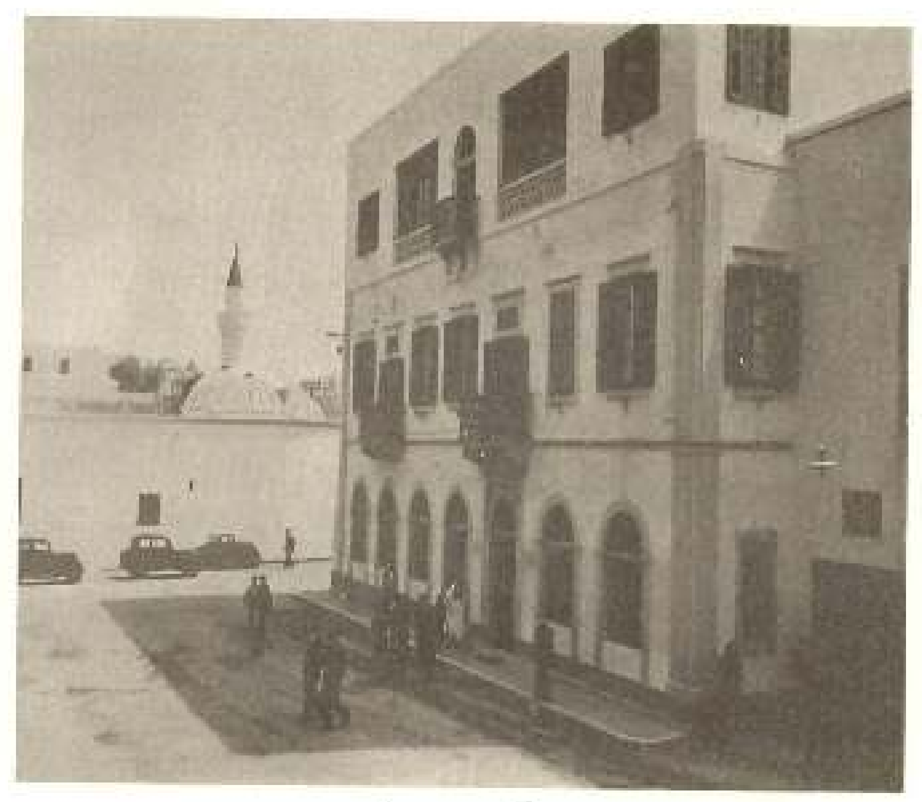


بنك روما من الداخل



الواجهة الخارجية لبنك رومـــا

متخصصة في التاريخ الطبيعي والجيولوجيا واستعملت بعد الحرب العالمية الثانية كمقر الإجراءات التعويض لمتضرري الحرب ثم تعددت استعمالاته حتى قام مشروع المدينة القديمة بصيانته وترميمه وأصبح أخيراً فرعاً لمصرف الجمهورية .



بنك رومـــا



صورة حديثة لفندق الزهر بعد إجراء عملية صيانة وترميم

فنادق مدينة اطرابلس القديمة *

في أوائل الألف الأول ق . م بدأت سفن الفينيقيين تقصد الشواطئ الليبية، وكان هؤلاء من أوائل الشعوب التي زاولت التجارة والملاحة في التاريخ القديم، أنشأ الفينيقيون مراكز تجارية على السواحل الغربية من ليبيا لبدة-أويا- صبراتة ونمت هذه المراكز حتى أصبحت مدناً. شهدت مدينة أويا (اطرابلس) حركة تجارية واسعة في العهود: الفينيقية والرومانية والبيزنطية.

ولعب التجار الطرابلسيون دوراً هاماً في حركة التبادل التجاري بين دول شمال البحر الأبيض المتوسط ودول جنوب الصحراء الكبرى، فتح المسلمون مدينة طرابلس أو أطرابلس كما وردت في الكتاب الذي أرسله عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب على إثر فتحه إياها سنة22 هـ . وبعدها تمت سيطرة المسلمين على بقية الشمال الأفريقي وبعد استقرار الوضع أزدهرت تجارة القوافل وشاركت في إثرائها قوافل الحجاج التي أتخذت من مدينة طرابلس أحدى أهم مراحلها.

إن هذه الحياة التجارية المزدهرة كان لابد وأن يتبعها وجود أمكنة تتسم بالأمن والطمأنينة لإيواء التجار والمسافرين . تصمت المصادر التاريخية عن ذكر مثل هذه الأمكنة في الفترة المبكرة، وكان هؤلاء يحلون بالمساجد أو لدى بعض الأهالي الموسرين في العهد الإسلامي المبكر.

لقد «ظهرت في الماضي وعلى طول طرق القوافل في ربوع الشرق خانات تدعى سرايا القوافلCaravanserai كانت بمثابة الاستراحات لإستضافة أبناء السبيل، وخاصة التجار الذين كانوا كثيراً ما يتنقلون برفقة سلعهم المحملة على ظهور الإبل، وكانت تنشأ هذه المرافق عادة على مسافة تساوي مسيرة نهار كامل (أي ما بين أربعين إلى خمسين كيلومتراً) بين الواحد والآخر، وكان الغرض منها توفير مأوى يأوى إليه المسافرون في أثناء الليل للحيلولة دون تعرض أرواحهم وأموالهم لشر قطاع الطرق والسراق .»[1]

ثم ظهرت الرباطات التي أدت خدمات فندقية مجانية. فالرباط علاوة على أنه دار جهاد ودار عبادة وعلم فقد كان مأوى يقدم الإقامة للمسافرين والزاد إن أحتاجوا إليه، « أما فنادق

---

* . نشر بمجلة تراث الشعب، السنة 3، العدد 11، 1983م

(1) . غاسبرى ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسنين، طرابلس: الناشر مصطفى العجيلي 1973م ص116 . 117

المدن فلم نسمع عنها إلا ببلاد فارس، فكان في نيسابور مثلاً شبستان (أي دار الليل) ومثله بشيراز. أما مصر فلم تعرف بها الخوانق، والربط لم تعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية، وكان في بلاد المغرب في صحاريها ونواحيها الموحشة رباطات كثيرة يأوى إليها الناس، وكان عليها أوقاف كثيرة بإفريقية، والصدقات تأتيها من جميع البلاد .» [1]

عرفت مصر نوعاً آخر من أمكنة الإيواء وهي القياسر وهي « كالخان العظيم تغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على البعض، والقيسارية مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق من أروقة الدير، وبها حوانيت ومصانع ومخازن، وأحياناً مساكن وقد كثرت القياسر في العهد الفاطمي وعمرت بالتجار الوافدين عليها من كل فج. كما كثرت الخانات بمصر في ذلك العهد. [2]يذكر آدم متز أنه في غرب المملكة الإسلامية لم تكن هناك فنادق إلا للتجار الغرباء، وكانت أشبه بالأسواق الكبيرة، وكانوا يضعون بضائعهم في أسفلها، وينامون في أعلاها ويغلقون غرفهم بأقفال رومية.

وكان يطلق على هذه الأسواق أو المخازن اسم الفندق (من الكلمة اليونانية Pandokeion) [3] « أن الفندق لا يعدو أن يكون النظير الشمالي الأفريقي للخان الشرقي» غير أنه ينشأ في الغالب في المناطق الأهلة بالسكان . وأن شأنه – من حيث التركيب- شأن الخان، إذ تتوزع أقسامه حول الفناء المألوف الذي تنفتح عليه « «البيوت» ومستودعات السلع والمطبخ والمراحيض وأحياناً أسطبل بمعناه الصحيح، وفي حالة خلوه من الأسطبل تربط الدواب في وسط الفناء الدي يصلح كساحة لعرض البضائع وتسويقها.

وعلى النقيض مما هو موجود في الخان Caravanserai ليس من المألوف أن يكون للفندق مسجدا ولا أن تخصص فيه حجرة للصلاة. أن الخان الشرقي كناية عن حصن يلجئ الناس إليه أثناء ترحالهم، بينما الفندق ليس إلا نزل فيه يحل المسافرون ويعرض التجار سلعتهم ويعقدون صفقاتهم». [4]

بذكر الجراح الفرنسي جبرارد Girard الذي أسر بالمياه الطرابلسية أثناء حرب كريت وظل بطرابلس حتى سنة 1676م وألف كتاب بعنوان Histoire أنه كان بالقرب من سنة 1671م

---

(1) . أدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد الهادي أبو ريدة، بيروت :دار الكتاب، الطبعة الرابعة1967م، المجلد الثاني،ص 407

(2) . حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الاولى1967م،ص4

(3) . المرجع السابق

(4) . غاسبري ميسانا، ص117.

عدة فنادق بناها الأتراك في مختلف المواقع الدفاعية وخصوصاً للجند الانكشارية. وقد أنشأوا بطرابلس أيضاً مثل هذه المنشآت المعروفة بالفنادق وهي تشبه بغرفها الصغيرة وزنزاناتها أديرة الرهبان الأوروبية.ويسكن بها الانكشارية المتزجون والعزاب وهي تعتبر من أملاك الباشا أو الداي، ويقوم الجند بتسديد إيجار الغرفة كما يقوم على ضبط الأمن والنظام بها بعض الضباط الانكشارية أنفسهم، وهو يشير إلى أنه كان يوجد بطرابلس عدد كبير منها، أشهرها الفندق الكبير، والفندق الجديد وقد أنشأ عثمان باشا (الساقزلي) الفندق الأول في 1654م في شارع البازار، وكان يحتوي على أكثر من مائة غرفة وبه بئر في ساحته. اما الفندق الجديد فقد أقامه سليمان كاهية1671م قرب مسجد درغوت، وتعتبر غرفه أكثر تحقيقاً للراحة، كما يشير إلى فندق الديوان الذي يجتمع فيه الديوان وقد ورد ذكره في الأحداث التي صاحبت تنحية مصطفى الشريف داي وكذلك في حركة تمرد ضد محمد الساقزلي، وكان موقعه أمام القلعة، وربما عرف بفندق الخبز، ثم يشير إلى فندق الجمرك حيث يتولى قائد الحرس توزيع الأطعمة على الانكشارية و سفن القرصنة .» (1)

يقع الفندق الكبير الذي شيده عثمان باشا بسوق الترك (سينما النصر حالياً) كما شيد عثمان باشا فندقاً آخراً في مواجهة البحر قرب مسجد درغوت (فندق أطلس حالياً).

تذكر المس توللي أنه في سنة1783م تم بناء فندق بطرابلس، ففي رسالتها المؤرخة في9 تشرين الأول (أكتوبر)1783م كتبت « ولقد تم بناء واحد من ألطف فنادق (خانات) البلدة قبل بضعة أيام، أقامته زوجة الباشا على حسابها، وبهذا حظيت تلك السيدة بتقدير كبير من أهل البلد على كرمها، ففي هذا الخان يجد جميع المسافرين ملجأ مجانياً، وبناية الخان الضخمة جداً وعلى شكل مربع، فيها بئر وجابية أو سبيل يجد فيه المسلمون ماء يتوضأون منه لتأدية فرائض صلواتهم، ويغسلون أيديهم قبل تناول طعامهم. وفي وسط الخان ساحة كبيرة مكشوفة يحيط بها عدة من الحجر الصغيرة يضع فيها المسافرون أمتعتهم وينامون على سطوحها أما الجمال والبغال والماشية العائدة لأولئك المسافرين فيمكن ربطها حول الساحة، وحين يصل المسافر الغريب ينفض الرجل من أهل البلد الغبار من أرض الغرفة ثم يفرد حصيرة هي الأثاث الوحيد المسموح بوجوده في الحجرة، ثم ينصرف، وتصبح الحجرة تحت تصرف ذلك القادم الغريب، وينتظر ممن يهبطون في هذه الحجرات أن يترك من تسمح حالتهم بعض النفقة كمنحة للبواب، ولا يسمح بالدخول إلى الخان بعد أذان صلاة

(1) . خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة،ليبيا وتونس :الدار العربية للكتاب ص90





فـــنـدق بن زكـــري

المغرب، كما لا يسمح بالخروج منه قبل أذان الفجر حيث يفتح البواب أقفال بوابته .»[1]
يذكر الرحالة فرنسيس ليون الذي قام برحلته إلى فزان سنة 1821م أن بطرابلس (منازل كثيرة أعدت لاستقبال التجار وتقديم المشورة إلى القوافل التي تسير شرقاً وتسمى هذه المنازل (فنادق) [2] ولم يمدنا ليون بأي معلومات عن هذه الفنادق ويذكر أحمد النائب في كتابه المنهل العذب (ج2) أنه كان يوجد في اطرابلس فندق قديم أنشأ الوالي أحمد راسم على أساساته مستشفى للغرباء سنة 1883م[3] ولعل أساسات هذا الفندق هي أساسات فندق الجمرك الذي أشار إليه الجراح الفرنسي جيرارد.
إن معظم فنادق المدينة القديمة بطرابلس تعود إلى العهد العثماني الثاني، ففي هذه الفترة أنشئ العديد من الفنادق . وتبين من الأحصاء العام الذي أجرى في عهد الوالي إبراهيم باشا 1909-1911م أي قبيل الإحتلال الإيطالي أن بطرابلس 14 فندقاً، بينما كانت في سنة 1302هـ/1883م حسب إحصاء ورد في سلنامة أن عددها 20 خانا (فندقا) وهذا يعني أن بعض الفنادق تحول إلى بيوت سكنية في بعض الأحيان.
إن أغلب الفنادق الموجودة الآن عبارة عن أبنية تتكون من طابقين يتوسط الطابق السفلي ساحة مكشوفة تحيط بها أروقة، تستعمل حجراته كمخازن، كما أن الساحة تستعمل لعرض البضائع وبيعها، وبكل فنادق طرابلس القديمة أبواب كبيرة على هيئة نصف دائرة تليها سقيفة تؤدي إلى فناء الفندق الذي تحيط به عقود وحجرات .
أهم فنادق مدينة طرابلس القديمة :

1. فندق بن زكري:

ويقع في نهاية سوق الصياغة، وكان من أملاك شيخ البلد غلي القرقني وانتقلت ملكيته إلى عائلة بن زكري فيما بعد، بأعلى المدخل توجد لوحة رخامية تذكارية كتب عليها ما يأتي:

فإن مررت بهذا الخان مبتهجاً   أن المحاسن أجمعت فيه

وانظر ترى بهجة تسبى العقول بها   ونزه الطرف فيما صار يحويه

---

(1) . مس توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة عمر أبوحجلة، طرابلس : دار نشر الفرجاني،ص20

(2) . جون فرنسيس ليون، من طرابلس إلى فزان، نقله إلى العربية مصطفى جودة، ليبيا وتونس: الدار العربية للكتاب،16-15

(3) . انظر أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ اطرابلس الغرب، القاهرة: مطبعة الإستقامة، الطبعة الأولى 1961م،ح2،ص33



اللوحة الرخامية مدخل فندق الهنشيري



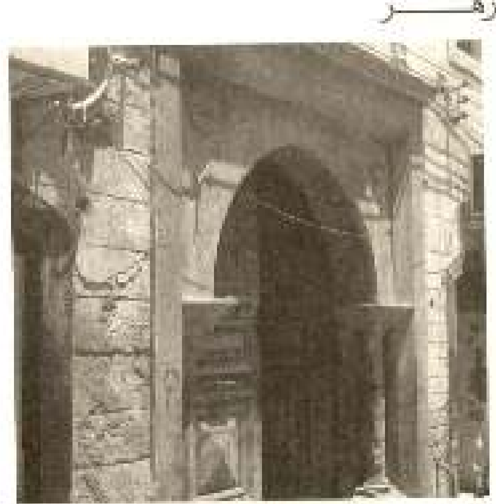
فندق الهنشيري



فندق الـــزهـــر



فندق الغدامسي وفندق حواص



فندق الـخـوجـة

وان تكن ظاعنا قد جئت من سفر   تجد بها مسكناً والوكر تسليه

يقول من أمه من أي ما وطن   ما مثله عندنا خان يضاهيه

حيث الغريب يجد بحسنه بدلا   والوطن والأهل والأحباب ينسيه

ولا محال أن الساكنين به   يدعون ربهم جهراً لبانيه

علي أفندي أدام الله نعمته   شيخ البلاد رفيع القدر منشيه

وعندما تمه أرخت مرتجلا   نال العلا والمناة قال مبديه (1273هـ)

حالة الفندق جيدة ويحتاج إلى بعض الترميمات البسيطة.

2. فندق الهنشيرى:

يقع بزقاق متفرع من سوق الترك يقابل المدخل الرئيسي لمسجد شايب العين، تعلو المدخل لوحة رخامية تذكارية تعلوها الطغراء كتب عليها ما يأتي: (بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم وشرف عظيم بذا فندق مبارك أنشأه المحترم التاجر الحاج محمد ابن الحاج علي الهنشيرى سنة1301هـ)، الفندق في حالةسيئة.

3. فندق الزهر:

يقع بسوق المشير وكان من أملاك عائلة قرجي، أجريت عليه أعمال الصيانة وترميم . وعرف بذلك لأنه كان تصدر منه زهر البرتقال إلى أسطنبول .

4. فندق الغدامسي:

يقع بالفنيدقة مقابلا لجامع الناقة يحتاج إلى بعض الاصلاحات.

5. فندق العدلوني:

ويقع بالفنيدقة بالقرب من الزاوية القادرية به ساحتان تتصلان بممر ضيق، وقد تمت إزالته بالكامل.

6. فندق الخوجة:

يقع بزنقة الحليب التي تربط بين سوق الترك وشارع جامع الدروج ويعد من أكبر فنادق مدينة اطرابلس القديمة وكان به 60 حجرة ودروج تتفرع إلى قسمين تؤدي إلى الدور الأول يحمل المدخل لوحتين صغيرتين تحملان التاريخ الهجري والتاريخ الميلادي1334هـ /1916م والفندق في حالة سيئة ومعظم اجزاءه منهارة.





فندق زمـيـت





فندق مــيزران



فندق حســان

7. فندق حواص:

يقع بالفنيدقة بالقرب من جامع الخروبة، جدد هذا الفندق في العهد الإيطالي.

8. فندق زميت:

يقع بالقرب من جامع قرجي ومقابل لقوس ماركوس أوريليوس بمنطقة باب البحر، وقد أجريت عليه أعمال الصيانة والترميم ووظف ليكون فندقاً سياحياً، تذكر اللوحة التأسيسية أن تاريخ أنشائه1183هـ .

9. فندق أبودلغوسة:

يقع بزنقة الحلقة المتفرعة من طريق الحلقة، يحتاج الفندق إلى بعض أعمال الترميم.

10. فندق ميزران:

يقع بطريق الحلقة. يحتاج إلى بعض الأصلاحات.ويستعمل بعض الحرفيين وبه محل لبيع الصناعات التقليدية

11. فندق سيالة بالفنيدقة :

فقد معالمه الأصلية يحتاج إلى بعض الترميم.

12. فندق الطوبجية:

يقع في زقاق متفرع من سوق الترك يربطه بالفنيدقة يحتاج إلى بعض الترميم. كان يسكنه رجال المدفعية في العهد العثماني لذلك عرف بفندق الطوبجية.

13. فندق حسان:

يقع بزنقة البدوي المتفرعة من سوق الترك، ويعد أجمل وأنظف فنادق مدينة اطرابلس الموجودة الآن.

14. فندق جيجه :

ذكره الفقيه حسن في يوميته التي كتبها في 26 صفر 1241هـ (فندق جيجه الذي بسوق السبابيط) وكان هذا الفندق مخصصاً لإيواء الأهالي المنخرطين في سلاح المدفعية في العهد القرمانلي .ويبدو أن اسم الفندق (جيجه) اشتق من اسم البلدة التي تحمل نفس الاسم في جنوب نهر النيجر، وقد كانت بضاعة هذه المدينة تجد سوقاً رائجة في اطرابلس، كما أن بضائع اطرابلس تباع في هذه البلدة وخاصة الحرير، وقد بلغت جيجه قمة شهرتها في

النصف الأول من القرن التاسع عشر وكان نشاطها التجاري يتجه نحو الشمال .(1) مع سواحل ليبيا وجنوبا نحو خليج غانا.وكانت اطرابلس تستورد منها جوز الكولا كما يجلب منها الرقيق وعرف بذلك الرسم لانه يختص بالمواد التجارية الموردة أو المصدرة إلى تلك المدينة كانت هذه الفنادق تؤدي دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية لمدينة اطرابلس، ولكن من المؤسف أنها أضحت في حالة تداع وخراب..علماً أن الغرض الذي أنشئت من أجله قد تغير أيضاً فمعظم حجرات الفنادق تستعمل الآن من قبل بعض أرباب الحرف كالحياكة وصياغة الذهب والفضة كما تستغل كمخازن وبيوت للسكن. أن الفنادق القديمة بمدينة اطرابلس في حاجة ماسة إلى عناية وأصلاح قبل أن نفقدها وتفقد المدينة القديمة أحد ملامحها التي لازمتها عدة قرون من الزمن.



فندق الخوجة

(1) . مصطفى عبدالله بعيو مختار في مراجع تاريخ ليبيا،ج3.ص65



شارع العزيزيه (الاستقلال) بطرابلس بداية القرن الماضي حيث كان يوجد به سوق الرحبة لبيع الصوف و الزيت و الحبوب

التجارة والأسواق في اطرابلس*

تعد مدينة اطرابلس من أهم المدن التجارية التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط منذ فترة التاريخ المبكر ولا شك في أنها نشأت كمحطة تجارية أسسها الكنعانيون (الفينيقيون) في الألف الأول قبل الميلاد، وقد عُرف هؤلاء بمهارتهم في صناعة السفن كما برعوا في فن الملاحة وعرفوا ركوب البحر تعمقوا فيه، وقد ساعدهم على ذلك اكتشاف أهمية النجم القطبي فأقبلوا على الإبحار ليلا معتمدين على النجوم. وقد تعلم الإغريق هذا الفن منهم حتى إن أسماء النجوم الإغريقية هي نفسها الأسماء الفينيقية.[1] وكانوا في سفاراتهم في البحر يحبذون الإبحار بجوار الساحل للاهتداء بمعالم الطبيعة القريبة من الشاطئ إضافة إلى أن سفنهم لم تكن قادرة في الفترة المبكرة على تحمل الأنواء والعواصف المدمرة فأنشأوا محطات على طول الساحل ليأووا إليها ويتزودوا منها بالماء والغذاء إضافة إلى الاستراحة فيها، وبمرور الزمن تطورت هذه المحطات فأصبحت بعضها مراكز تجارية. يقوم فيها الكنعانيون بمبادلة بضائعهم مع سكان المناطق التي ينزلون بها، ونمت بعض هذه المراكز وأصبحت مدناً تجارية في بداية القرن السادس قبل الميلاد وخاصة تلك التي تقع غرب ليبيا مثل صبراتة وطرابلس (أويا) ولبدة.

أصبحت مدينة طرابلس أحد المراكز التجارية التي تسيطر على تجارة أواسط أفريقيا وكانت بها أحد أهم طرق القوافل التي تربط بين مدن حوض البحر الأبيض المتوسط وأواسط أفريقيا وكانت هذه الطريق تبدأ من طرابلس» (أويا)–غريان– إلى برقن عبر الجبال–كشبان أوباري– جرمة– وقد اشتهرت باسم طريق أكلة اللوتس .» [2] وكان الجرميون سكان جرمة يسيطرون على تجارة هذا الطريق فقد عرفوا بمهارتهم «في الملاحة الصحراوية وقدرتهم– بسبب قوتهم وكثرة عددهم– على حماية القوافل التي يهمهم أمرها فأصبحت جرمة عاصمتهم، مركزاً تلتقي فيه القوافل الذاهبة من أواسط أفريقيا باتجاه الساحل .» [3]

وكانت السلع التي يجلبها الكنعانيون تتمثل في الخشب والقمح والزيت والخمر والمصنوعات المعدنية والمنسوجات أما الجرامنت فقد كانوا يزودون الكنعانيين بسلع أواسط أفريقيا والمتمثلة

---

* . نشر بمجلة تراث الشعب السنة 11، العدد 4، 1991 . 1992م

(1) . د.محمد بيومي مهران.بلاد الشام،ص177

(2) . د.عبد اللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور حتى الفتح الأسلامي،ص320

(3) . المرجع السابق،ص320

في الحيوانات المفترسة وجلود الحيوانات والعاج والذهب والفضة والياقوت أو حجر الأمازون الذي عرف باسم الحجر القرطاجي وهي التي كانت تصدره إلى العالم الخارجي.

ومن المعلوم أنه بعد تأسيس قرطاجة سنة814 قبل الميلاد أصبحت هي العاصمة الفينيقية بشمال أفريقيا حتى أن المدن الثلاث أصبحت تابعة لها في بعض الفترات، ولكنها لم تتأثر بهذه التبعية إذ بقيت تسيطر على تجارة الصحراء وازدهرت هذه المدن في إطار الحكم الذاتي، بانتقال تبعية المدن الثلاث إلى المملكة النوميدية سنة 146 قبل الميلاد وحافظت على دورها التجاري وعلى استقلالها الذاتي.

وعندما وقعت تحت السيطرة الرومانية تأثرت بالحرب الأهلية الرومانية التي تزعمها بومبي وخصمه قيصر وانضمت المدن الثلاث إلى جانب بومبي الذي لم يحالفه الحظ وانهزم في معركة فاسلوس سنة 46 قبل الميلاد أمام قيصر الذي قضي على مملكة نوميديا وأدخل القسم الأكبر من أراضيها فيما عرف باسم إقليم أفريقيا الجديدة الذي يضم المدن الثلاث أيضاً.

وفي عهد الإمبراطور أغسطس 25 قبل الميلاد أحكم السيطرة على الإقليم وأنشأ الفرقة الأوغسطية الثالثة التي أوكل إليها مهمة الدفاع عن منطقة التخوم الطرابلسية، فساد السلام المنطقة، فانتعشت التجارة، ونمت هذه المدن وازدهرت وفتحت أمامها أبواب التجارة الخارجية فبدأت سوقاً رائجة وعاد إليها نشاطها السابق في التعامل مع أواسط أفريقيا.

كانت مدينة طرابلس تتأثر بظروف الإمبراطورية الرومانية فكلما قويت وأحكمت السيطرة على مستعمراتها والمناطق المحيطة بها أزدهرت وانتعشت تجارتها، وينعكس هذا بدوره على حياة السكان والمنشآت العمرانية وخير مثال على ذلك ما شهدته المدن الثلاث من رخاء في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين في عهد الامبراطور سبتميوس سويروس (193-211م) وابنه كاركلا (211-217م).

عانت مدينة طرابلس من فترة الاضطرابات التي سادت الامبراطورية الرومانية بعد سنة 235 للميلاد، فأضمحلت مكانة الأسواق وكسدت التجارة وشهدت منشآتها العمرانية الإهمال وقلة الترميم والصيانة ثم تعرضت طرابلس للإحتلال الوندالي سنة 455 للميلاد «ولعلها لم تكن لتجتذبهم بأوضاعها الاقتصادية المهزوزة فقد دمرت الثورات والقلاقل كثيراً من إمكانياتها الزراعية وانهارت حركتها التجارية وأختفت بعض الأسواق التي كانت تتعامل معها، وأصبحت شبه مهجورة، وأخذت الرمال تزحف على بعضها، مثل لبدة، ولم يهتم

الوندال بهذه المقاطعة كثيراً كما لم يفطنوا إلى أهميتها الاستراتيجية، وأقتصر وجودهم العسكري على بعض الحاميات الموزعة على بعض النقاط، وربما أعطيت أهمية خاصة في هذه المرحلة لمدينة أويا وميناثها بالنظر إلى استمرار هذه المدينة في الاحتفاظ بأسوارها .[1]
تمكن البيزنطيون سنة 534م من طرد الوندال ولعل الانتعاش التجاري بدأ يدب في أسواق المدينة، ولكن الثورات التي أشعل فتيلها سكان الدواخل ضد الاحتلال البيزنطي حدَّثْ من قدوم القوافل التجارية من أواسط أفريقيا مع أواسط القرن السابع الميلادي دخلت طرابلس في فترة جديدة في ظل دين سماوي وحضارة بزغت، استطاعت أن تضئ منطقة شاسعة في فترة وجيزة.
ونستطيع أن نتبع أدوار الحياة التجارية وأسواق مدينة طرابلس خلال الفترة الإسلامية من خلال ما كتبه الرحالة والجغرافيون العرب عنها، فابن حوقل وصفها في كتابه صورة الأرض في القرن الرابع الهجري بقوله إنها « خصبة حصينة كبيرة ذات ربض صالحة الأسواق، وكان لها في ربضها أسواق كبيرة فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور .»[2]أما البكري صاحب كتاب المسالك والممالك فيصفها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بقوله « وبها أسواق حافلة جامعة .» [3] وهو وصف مختصر ولكن نتبين منه أن أسواقها تشهد رواجاً كبيراً وأنها حافلة بكل أصناف البضائع، أما الإدريسي في القرن السادس الهجري فوصفها بقوله إنها «متقنة الأسواق، وبها صناع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات .» [4] أي أنها ذات أسواق رائجة وصناعات كثيرة حتى إنها يتجهز بها إلى الخارج وأنها كانت تشهد رخاءً وازدهاراً رغم أنها في الفترة السابقة كانت في وضع أحسن، أما صاحب كتاب الاستبصار فوصف أسواق المدينة في القرن السادس الهجري بقوله «وبها سوق حافلة .. وأكثر أهلها تجار يسافرون براً وبحراً وبهم سمح في تجارتهم وهم أحسن الناس معاملة .»[5]
أما الرحالة العبدري(688هـ) 1298م فإنه لم يصف أسواق مدينة طرابلس «وإنما أكتفى بصب نقمته على المدينة وأهلها ولم يهتم بها وبوصفها وانما وجّه اهتمامه إلى اختيار الجمل والعبارات التي يصف بها «فقر المدينة ظاهراً وباطناً ولمعانها لقاصدها لمعان البرق

---

(1) . خليفة محمد التليسي حكاية مدينة،ص12
(2) . ابن حوقل صورة الأرض،ص71،72
(3) . ابو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك لممالك،ص7
(4) . د.أحسان عباس،د.محمد نجم، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ص 31
(5) . المرجع السابق ص 45

الحلب، وتفرق الفضائل عنها تفرق الحجيج يوم النفر وأنها أقفر من جوف الحمار، وأهلها سواسية كأسنان الحمار»..[1] إلى غير ذلك من العبارات التي يتحامل فيها العبدري على المدينة وأهلها ويبعد فيها عن أعطاء الوصف الحقيقي لهما، ولعل له العذر في ذلك لأن الظروف المحيطة بالمدينة وأهلها لم تكن ملائمة للزيارة فالمدينة تعيش حالة فوضى حتى أن أهلها كما يذكر العبدري نفسه «سواء لديها من حارب أو سالم أي أنهم لا يفرقون بين المحارب والمسالم واختلط الأمر لديهم من شدة الفوضى، وفي مثل هذه الفوضى وانعدام الأمن يعزف التجار عن القدوم إلى الأسواق وتكسد التجارة عامة.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن مدينة طرابلس كانت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تنعم برخاء وازدهار كبيرين، وأن أسواقها عامرة وكانت الحركة التجارية مزدهرة مع السواحل الأوربية وأن سفن النصارى كانت تتردد عليها بالسلع التي ينقد التجار ثمنها .»[2] وعاشت فترة ازدهار «وكانت في ذلك الوقت أغنى من تونس ويتردد عليها تجار الجنوب والشمال الأفريقي والأتراك والجنويين والصقليين والمالطيين.» [3] أما الرحالة العياشي فقد وصفها في كتابه الرحلة العياشية والتي تعرف أيضاً باسم ماء الموائد في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي بأن خيراتها كثيرة وأن أهلها لهم سماحة على المعتاد زائدة سيما مع الحجاج الواردين وتزويدهم بما يحتاجونه من زاد.

ويبدو أن الأسواق بالمدينة قد شهدت انتعاشاً كبيراً فأصبحت من أهم محطات القوافل التي تمر بين الشرق والغرب ولا سيما قوافل الحجاج وما تمثله من حركة نشيطة، إذ أنَّ هذه القوافل تعطي حركة لأسواق المدينة فيكثر فيها البيع والشراء والمقايضة وقد « كانت عادة الركب إذا دخل المدينة سيما في الذهاب «إلى الحج» أن يقيموا بها نحواً من شهر يستعدون فيها لقطع المفازة التي قل نظيرها، وهي مفازة برقة ومن هذه المدينة يشتري الحجاج ما يحتاجون من الإبل والقرب ويتخذون زاداً نحو من ثلاثة أشهر إلى مصر إن كان الوقت شتاء، وإن كان صيفاً فنحو شهرين...وهذه المدينة شاهد أهلها بركة الحجاج والمجاهدين في أمر معاشهم فربما أجتمع فيها من الركبان الذاهبين والآتين خمسة أو ستة. ويصادف ذلك في كثير من الأحيان خروج عسكر البحر للجهاد ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على ما كان في كل مطعوم بل ربما نقص في البلد، مع أن البلد في كثير أحواله معروف بغلاء

---

(1) . العبدري رحلة العبدري (المسماة المغربية) ص76

(2) . خليفة التليسي، حكاية مدينة،ص60

(3) . توري روسي .ليبيا منذ الفتح العربي وحتى سنة 1911

الأسعار بالنسبة إلى أرياف النيل وسواحل المغرب وجباله، إلا أن أهلها مستكفون بها غاية وراضون بها إلى النهاية .» (1)

أما الرحالة الحشائشي الذي زار مدينة طرابلس (1895م) وألف كتابه (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) فيصف أهل طرابلس وتجارتهم بقوله: «وأغلبهم يميلون إلى التجارة خصوصاً في هاته السنين الأخيرة فلهم مُتّجر عظيم مع أهل السودان من برنو ووداى والشاد وغات وغيرها ويأتيها من أوربا غالب السلع التي تأتي إلى بلد تونس ويخرج منها القمح والشعير والبقر والغنم والصوف والتمر وبعض الغلال كالبرتقال والليم الحامض والحلو والفُلفُل الأحمر الشايح والحناء وسلع السودان كالجلد المسمى بالرقعة وريش النعام وناب الفيل وغير ذلك وهاته السلع الخارجة ليس عليها ضرائب دولية إلا شئ قليل وجميع ما يأتيها من السلع براً مع القوافل السودانية وغيرها ولا يؤدي شي من الضرائب. (2)

وكتب العديد من الرحالة والكتاب الأجانب عن طرابلس وأسواقها وأنقل هنا عن بعضهم فالآنسة توللي تذكر في كتابها«عشر سنوات في بلاط طرابلس» وكانت قد أقامت في طرابلس في الفترة من1783 إلى1793م في عهد علي باشا القرمانلي-أن « التجار هنا لا يعرضون بضائعهم في مخازن كبيرة، وإنما هي حوانيت وسقائف، مع أن محتوياتها كثيراً ما تكون بضاعة ثمينة تتألف من اللآلئ والذهب والجواهر والعطور النادرة، وهناك بازاران أو سوقان مسقوفان أحدهما كبير جداً ومبنى على شكل أربعة صفوف متصالبة عند التقائها وعلى كل جانب من هذه الصفوف أقيمت دكاكين وبسطات متراصة تحوي مختلف أصناف السلع والبضائع.» (3)

ووصف الرحالة الألماني (نختجال) طرابلس في كتابه « الصحراء والسودان «في النصف الثاني من القرن التاسع بأنها تشهد نشاطاً للتجارة البحرية، وأن الشوارع التي تؤدي إلى المنشية مخصصة لبيع الخضروات والمصنوعات اليدوية التقليدية، وبالقرب منها تباع المنسوجات الصوفية والأردية الوطنية والأغطية الملونة والبرانس والحايك المستورد من تونس و بلد الجريد وجربة. »(4)

أما مابل تود صاحبة كتاب «أسرار اطرابلس» والتي أقامت في المدينة مع بداية القرن

---

(1) -- العياشي – الرحلة العياشية (_ماء الموئد) ص60

(2) . محمد الحشائشي . رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) ص66، 69

(3) . توللي .عشر سنوات في بلاط طرابلس، ص60

(4) . خليفة التليسي، حكاية مدينة ص .163



باب هوارة (المؤدى إلى موقف الغنم)



سـوق الـترك 1927م

العشرين 1900-1905م فتصف اطرابلس وأسواقها وتذكر أن «اطرابلس تبدو صلة الوصل الطبيعية بين أوربا وأفريقيا، وكانت البضائع الأوربية تختزن هنا في السنوات الماضية حتى يحل وقت سير القافلة إلى السودان كما كانت البضائع تنتظر هنا لتنقل عبر المتوسط، وكانت التجارة مع الداخل مستمرة، وكان ريش النعام وأنياب الفيلة والجلود وحتى الذهب تأتي بواسطة القوافل بكميات من بورني و أوديا لتقايض بأقمشة مانشستر وأواني فينسيا الزجاجية، وبضائع من جنوب فرنسا .»[1] ويبدو أن تجارة القوافل قد فقدت أهميتها كثيراً في أواخر القرن التاسع عشر فقد قلّت القوافل الواردة والمنطلقة من اطرابلس وذلك بسبب وجود طرق من وسط إفريقيا إلى غربها أقل تكلفة وأكثر يسراً وتذكر مابل تود بأنه كان يرسل خمسمائة أو حتى الألف، والآن، وعلى الرغم من أن اطرابلس مازالت نقطة انطلاق لمثل هذه الحملات، فأنها أصغر وأقل مما كانت كثير.»[2]

أسواق مدينة اطرابلس :

موقف الغنم:

وهو من أسواق طرابلس القديمة وقد ذكره التجاني في رحلته 706هـ-708هـ / 1306 - 1308م فقال « باب يعرف بباب هوارة...، وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم وفي هذا الموضع يقول أبو يحي ابن مطروح (عاش في بداية القرن السادس الهجري)...

« لوقفة عند باب البحر ضاحية   أو باب هوارة أو موقف الغنم
أشهى إلى النفس من كسر الخليج ومن   دير الزجاج وشاطى بركة الخدم .» [3]

سوق الترك:

وهو من أهم أسواق مدينة طرابلس، وينسب إنشاؤه إلى الوالي محمد باشا الكراداغلي المشهور باسم « شايب العين»1687-1701م. وقد ذكر ابن غلبون سوق الترك في حدث يسبق عهد محمد شايب العين إلا أن الأخير جدده فنسب إليه، وقد وصفت الأنسة توللي سوق الترك وسمته بازار البن فتذكر أن بازار البن هو المكان الذي يقصده الاتراك ليتحدثوا عن الأخبار اليومية والشئون العامة ويرشفوا بعض فناجين القهوة أثناء ذلك وهذا مملوء بالمقاهي

(1) . مابل لومس تود. أسرار، أسرار اطرابلس،ص152. ص153.
(2) . المرجع السابق، ص153
(3) . التجاني . رحلة التجاني ص 245





ســوق الــربع

أما الرحالة الالماني نختجال فيصف سوق الترك بقوله «أنه أنظف هذه الشوارع وأكثرها ترفاً وأهمية، حيث يقوم التجار العرب والأتراك ببيع بضائعهم في متاجرهم الصغيرة، متحلين بجدية صارمة دون إكتراث بإطراء بضائعهم أو الدعاية لها كما لا يقبلون بالمساومة أو تخفيض الأثمان، لا يبالون بالبيع والشراء.» [1]ويصف كاوبر صاحب كتاب مرتفع الآهات الجمال سوق الترك سنة 1895م بأنه» أوسع شوارع اطرابلس، وهي سوق تركية مستقيمة يستطيع المرء أن يشتري منها كل شيء، وفيها دكاكين ذات واجهات زجاجية، ولكن طبيعة السوق شرقية عموماً مع أن أغلب الحاجيات المعروضة للبيع هي أوروبية الصنع... .» [2]

سوق الرباع «الربع»:

وقد عرفت قديماً باسم سوق العرب وهي مقابلة لسوق الترك وقد انشأها عثمان باشا الساقزلي 1649 –1672م « وقد عرفت بسوق الرباع نسبة إلى الرباع التي بنيت فوقها للسكنى والرباع: جمع ربع وهي الدار.[3]وقد تم بناء سوق أخر مكمل لهذا السوق عرف باسم سوق الرباع الجديد وملاصق لجامع أحمد باشا القرمانلي وقد ذكره الفقيه حسن في يوميته (ليوم السبت أول محرم1229هـ (1813م) وأن هذه السوق كانت ملكاً ليوسف باشا وربما أضيفت في عهده .» [4]

وقد كانت سوق الرباع مخصصة لبيع الأردية الحريرية، وكانت هذه تُنسج «مخلوطة بالأسلاك الفضية والذهبية، وهي منسوجات ثمينة ترجع صناعتها إلى أوائل القرن التاسع عشر، أما قبل ذلك فقد كانت صناعة هذا الملبوس الوطني الثمين إحتكاراً للبندقية التي كانت أيضاً تزود طرابلس بالخيوط الذهبية والفضية التي تستعمل في نسج الستائر التي كانت قليلة الجودة...وكانت الأسلاك الحريرية والبقايا تستورد من إيطاليا وفرنسا وتركيا وكريت، أما الأسلاك الذهبية والفضية فقد كانت تستورد من فرنسا خاصة .» [5]

وقد وصف كاوبر في كتابه مرتفع الآهات الجمال سنة1895م سوق الرباع بقوله : «سوق الرباع أو السوق[6] المسقوفة المحيطة بالجامع الكبير، فهنا يجلس الباعة العرب في زواياهم

(1) . التليسي. حكاية مدينة ص 164
(2) . هـ . س . كاوبر. مرتفع الاهات الجمال، ص41
(3) . حسن الفقيه حسن – يوميات الليبية .ص.229
(4) . المصدر السابق نفس الصفحة
(5) . فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني.ص80،81
(6). يلاحظ القارئ هنا تذكير لفظة "سوق" وتأنيثها وكلا الأمرين صحيح لغوياً



ســوق اللـفـة



مدخل ســوق الــحريــر.

الصغيرة ويبيعون البراقان والبرانس، ولما لم تكن السوق لتشتمل إلا على الأزياء الوطنية فإن المشهد فيها هو شرقي دائماً، وهنا يأتي صانعوا البراقان الطرابلسيون ببضاعتهم ويبيعونها بالجملة في مزاد علني إلى التجار، والحق أن هذه السوق هي سوق البضاعة بالجملة، وحين يجرى المزاد العلني فإن المشهد يكون مثيراً للاهتمام إذ يركض النساجون (ولعلهم السماسرة[1]) في السوق وهم يحملون البراقان على أكتافهم ويصرخون معلنين آخر العطاءات: (سبعة وأربعون) (أربعة وستون) قرشاً إلى غير ذلك.»[2]

ولا زال هذا السوق يؤدي وظيفته إلى الآن بنفس الصورة تقريباً، مع تغير في الأسعار وتطور في صناعة الأردية الحريرية ويعرف جزء من سوق الرباع باسم سوق قويعة « وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن أحد كبار التجار (قويعة) كان مسيطراً عليه ويحتكر معظم التجارة به إضافة إلى أنه كان يتولى كفالة صغار التجار في معاملاتهم فأشتهر جزء من السوق الرباع باسمه وأصبح يعرف باسم سوق قويعة.» [3]

سوق اللفة:

يقع هذا السوق ملاصقا جامع الناقة يفتح بابه على سوق الصياغة وله بابان أخران يفتحان على طريق الحلقة وكان مخصصاً لبيع الأردية الصوفية(الحوالي) وكانت اطربلس أهم مراكز الولاية في صنع هذا النوع من الاردية ... كما أن جملة من هذه الاردية تأتي من الداخل..» [4] وكانت تباع به الأردية الغامقة (العباء)، وكذلك، المرقوم وهو نوع من المنسوجات كانت تستعمل لأغطية الاسرة وتزيين جدران الغرفات وفرش لها كما تستخدم لدى القبائل الداخلية كأغطية، أثناء الرحلات الطويلة ويستعمل في صناعة هذه الانسجة الصوف المحلي.» [5]

سوق الحرير :

ويتفرع هذا السوق من سوق الترك، وبجوار جامع شايب العين ويربط بين سوق الترك وسوق النجارة وقد جدد محمد باشا شايب العين هذا السوق سنة1699م وكانت تصنع به الأردية الحريرية التي تشتهر بها اطرابلس والتي كانت تباع بسوق الرباع.وقد أثنى الرحالة أبو الحسن الوزان الذي زار المدينة سنة 8151م على صناعة الحرير بها.

---

(1) . إنهم من يعرف الواحد منهم بأسم الدلال، ورد في لسان العرب مادة "دلل" : "والدلال الذي يجمع بين البيعين. وقال أبن دريد: الدلالة، بالفتح، حرفة الدلال "   " التحرير

(2). كاوبر، مرتفع آلاهات الجمال،ص42 . 43

(3) . مقابلة مع الحاج بهجت القره مانلي مراقب آثار اطرابلس سابقا

(4) . كورو . ص79،80

(5) . المرجع السابق، ص 80



ســـوق العطارة



ســـوق خارج سور المدينة 1912م



طـريـق الحـلـقـة

سوق الفنيدقة:

ويقع هذا السوق بمنطقة الفنيدقة بالمدينة القديمة وكان يشتهر بصناعة الأردية الحريرية وصناعة الأدوات التي تستعمل في النول اليدوي، ويوجد به حرفيون يقومون بأعمال مرتبطة بحرفة الحياكة كالمناولة والسدوة وغيرها.

سوق الصياغة:

وهو يقع بين جامع الناقة وفندق القرقني بالمدينة القديمة، وكان مخصصاً، لبيع وصناعة الحلى الفضية والذهبية وكان بطرابلس أمهر الصناع الذين يقومون بصناعة الأسورة والأقراط والخواتم.. ويتفاوت الانتاج السنوي ارتفاعاً وهبوطاً بحسب أحوال الحصاد الذي تعتمد عليه إلى حد بعيد الرغبة في أقتناء تلك المعادن الثمينة لإستخدامها في الأغراض التي تنتشر في مواسم الخصب والرخاء. وتستورد سبائك الفضة من فرنسا ويجري صهرها أحياناً من المصنوعات الفضية والذهبية القديمة مثل ليرات (ماريا تيريزا).. وكانت الصياغة الطرابلسية تصدر إلى تونس ومصر [1] في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت صياغة الفضة متطورة جدا بعكس صياغة الذهب الذي كان الطلب عليه يقلّ كثيراً عن طلب الفضة، أما الآن فإن صياغة الفضة في طريقها إلى الاندثار إذ لم يبق إلا بعض الحرفيين الذين يزاولون صياغة الفضة بينما تطورت صناعة الحلي الذهبية التي زاد عليها الإقبال كثيراً ويرجع ذلك إلى الرخاء الذي شهدته البلاد في الفترة الأخيرة.

سوق السراجة:

وكان هذا السوق مُعدًّا لصناعة السروج وبيعها وهي من الصناعات التي اشتهرت بها مدينة اطرابلس، وكان يوجد في المنطقة التي بها الآن رواق الحرية .

سوق السرارة :

وكان هذا السوق مكاناً لصناعة السرير: « والسرارة نسبة إلى السرير، وهو خشبة البندقية[2] كما يقوم فيه الحرفيون بصيانة البنادق أيضاً.

سوق النعال:

ويطلق الفقيه حسن في يومياته أسم سوق السبابيط الحمر وسوق سبابيط النسوان وسوق السبابيط الصفر، وتقع هذه السوق بزقاق متفرع من طريق الحلقة تعرف « بزنقة النساء» وهذا الاسم

---

(1) . المرجع السابق ص 83
(2) . حسن الفقيه حسن . اليوميات الليبية ص 275



سوق الخبزة



سوق العطارة



سوق الحرارة

أخذ من اسم سوق سبابيط النسوان، وكانت تصنع فيه الأحذية الرجالية والنسائية كما عرفت هذه السوق باسم (سوق البلاغجية) وهي النسبة التركية لكلمة البلغة، وهو نوع من الأحذية .

سوق الخبزة:

وكان مكانه بميدان الشهداء الآن وكانت تباع فيه أرغفة الخبز المتنوعة، حيث يعرض البائعون بضاعتهم في سوق مفتوحة.

سوق الخرداجية:

وهو نسبة إلى الخردة (بأسلوب اللغة العثمانية). والخردة ما صغر وتفرق من الأمتعة (لفظة معربة) وعرف باسم سوق البقالة.

سوق العطارة :

وكان يقع أمام فندق القرقني (بن زكري) ويمتد إلى سوق المشير وتباع فيه العطور والبخور، وكان أهل اطرابلس والمناطق المجاورة يشترون أكثر احتياجاتهم للمناسبات وخاصة من العطور والبخور من هذا السوق، فكانت هناك قفة العرس وعطرية الطهور الختان وقد غلب على هذا السوق في الفترة الأخيرة تجارة الذهب وانتقل العطارون إلى منطقة باب الحرية بجوار الزاوية الكبيرة.

سوق الجبابرية:

وكانت تصنع فيه الجباير (مفرد جبيرة) وهي حقيبة تصنع من الجلد وتعلق على الكتف وتستعمل لحفظ النقود والأوراق والامتعة الخفيفة.

سوق الزنايدية:

وكانت تصنع فيه الزنادات وهو أداة صغيرة «زناد» في البندقية تصنع من الفولاذ مهمتها توليد شرارة بواسطة احتكاكها فينفجر البارود،كما كانت تصنع به المأسورات(سبطانات) البنادق، وكان يعتني بصناعتها وكانت تزخرف وتنقش بالذهب.[1] ويذكر أحمد النائب في كتابه المنهل العذب أن الوالي المشير سامح باشا الذي تولى أمر الولاية سنة1291هـ قام بتنظيم سوق الزنايدية وسوق الجبايرية على الأسلوب الجديد في غاية الإستقامة والحسن [2]

سوق الحرارة:

ويمتد هذا السوق من شارع الأربع عرصات إلى بداية حومة غريان وكان تباع فيه الأقمشة

---

(1) . أنظر المرجع السابق ص247

(2) . أحمد النائب الأنصاري. المنهل العذب في تاريخ طرابلس ص383


زنقة الدباغ


سوق فم الباب


سوق القزدارة

والمنسوجات المختلفة، ولازال في المدينة القديمة الشارع يحمل نفس الاسم (شارع سوق الحرارة). ولعل سوق الحرارة اشتهر ايضاً باسم سوق الحمام الكبير إذ كان بالمنطقة حمام تركي يعرف باسم الحمام الكبير أنشأه الوالي عثمان الساقزلي 1649 - 1672 م وقد ذكره الفقيه حسن في يوميته ليوم الأربعاء 3 جمادى الآخر 1244هـ.

سوق الحلقة:

ويقع بمنطقة باب الحرية وكانت تصنع به الأردية من القطن والصوف. وتباع فيه المواد الآولية لصناعة الأردية الصوفية مثل الصوف والطعمة والجداد وغيرها، هناك طريق يعرف باسم طريق الحلقة كانت به حلقات حديدية أمام المتاجر يربط فيها الرقيق لعرضهم للبيع .

سوق القزدارة:

لازال هذا السوق يؤدي وظيفته وهو خاص بصناعة وتبييض الأواني النحاسية والقزدارة نسبة إلى القصدير وكانت تطلى به الأواني النحاسية كالقدور والصحون الكبيرة «القصاع» والأدوات النحاسية.وتصنع به نماذج الهلالات التي توضع في أعلى مأذن المساجد.

سوق الدباغة:

لا زال هناك شارع بالمدينة القديمة يحمل هذا الاسم وهو خاص بدباغة الجلود وأن تغيرت حرفته وأصبح منطقة تجارية.

سوق فم الباب :

وكانت تباع فيه الحبال والمواد المستعملة والتالفة كالحديد والقناني والأدوات الحديدية ومصائد الفئران والسجاجيد والآت النسيج والفخار، بل كل ما يمكن أن يخطر على البال. [1]

سوق القمل:

ويقع هذا السوق في تقاطع شارعي سوق الترك وزنقة الريح وكانت تباع به البضائع القديمة والملابس المستعملة وغيرها. وقد ذكرته وقفية مصطفى قرجى[2] المدونة في العاشر من رمضان 1260هـ سوق القمل.

سوق السمك:

ويقع هذا السوق بمنطقة باب البحر وكان عبارة عن مربع صغير به «أغرب أنواع السمك»

---

(1) . كاوبر .ص.45.
(2) . دار المحفوظات التاريخية . سجل المحكمة الشرعية .5ب. ص،115



سوق العزيزية



سوق الحميدية



سوق المشير

ولكن أكثرها هو سمك البوري وأبو ذقن، بيد أنَّ جميع أنواع السمك متوفرة في السوق فهنالك سمك أبو موسى والحبار وكلاب البحر والقرش الصغير، وانواع أخرى غير مألوفة إلا لعلماء الطبيعة»[1] وتوجد وثيقة بدار المحفوظات التاريخية تذكر أنواع السمك بمدينة طرابلس سنة 1870م وهي تصل إلى نحو سبعين (70) نوعاً.

سوق الجديد (أو الشيشمة):

وقد أنشاه أحمد باشا القرمانلي بإزاء القلعة من جهة الشمال، ويطلق ابن غلبون عليه اسم السوق الجديد ويذكر أنها كانت سوقاً فسيحة أقيمت سنة1163هـ (1723-1724م) بينما يسميه الفقيه حسن في يومياته بسوق الشيشمة (تركية بمعنى الصنبور أو الحنفية) سنة1135هـ.

سوق العزيزية:

يقع هذا السوق بشارع الاستقلال خارج أسوار المدينة القديمة الآن، وقت أنشأه الوالي العثماني الفريق علي رضا باشا الذي تولى أمر الولاية للمرة الثانية سنة1870 . 1872 م وعرف بذلك الاسم نسبة إلى السلطان عبد العزيز.

سوق الحميدية:

أسسه الوالي أحمد عزت باشا في ولايته الثانية سنة 1296هـ وهو يقع بشارع 24 ديسمبر خارج المدينة القديمة الآن ويذكر أحمد النائب في كتابه المنهل العذب أن الغرض من تأسيس (سوق الجديد) لتقدم الصنائع وزيادة في واردات البلدية « وعرف بذلك الاسم نسبة للسلطان عبدالحميد .

سوق المشير:

ويطل عليه جامع أحمد باشا القرمانلي ويبدأ من باب سوق المشير (هوارة) إلى ميدان الساعة وقد أسسه الوالي المشير رجب باشا تولى حكم ولاية طرابلس بين سنتي 1904-1908م وهو متنوع النشاط.

كما توجد أسواق أخرى منها الخضرة وهو مخصص لبيع الخضروات، وسوق النجارة لمحترفي النجارة، وسوق الحدادة لمحترفي الحدادة، وسوق الحطب ويقع خارج أسوار المدينة بمنطقة جنان النوار الآن وسوق الحصاير خارج باب هوارة، وسوق الحشيش وهو ما يبس من الكلأ، وهو خارج سور المدينة، كما أن هناك أسواقاً تعقد أسبوعياً منها سوق الثلاثاء وكان يعقد

---

(1) . المرجع السابق .ص.20.



سقالة الحلفاء



سوق الجمعة



سوق الحوت (السوق المحلي)

كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع في الساحة التي يشغلها الآن الفندق الكبير وكان مخصصاً لبيع الحيوانات. وسوق الجمعة الذي يعقد يوم الجمعة من كل أسبوع بضاحية المدينة.

كما كانت هناك سقالة الحلفاءقرب ميدان الغزالة الآن وقد أنشأ أحمد راسم رصيف من الأسمنت يمتد من تحت سور المدينة إلى سقالة الحلفاء لحماية الأسواق والمنطقة من هيجان البحر. وكان يباع بها نبات الحلفاء والذي يكبس ويصدر إلى الخارج. وقد بدأ تصدير الحلفاء من ولاية اطرابلس الغرب منذ سنة1868م إلا أن عدم عناية العرب بطريقة اقتلاع هذه الشجرة في السنوات الأولى قد أدى إلى إضعاف إنتاجها وقد كان تصدر منها حتى سنة1888م من60.000 إلى70.000 طن سنوياً، ثم أخذ هذا التصدير يهبط عن هذا المستوى بسبب المنافسة التونسية والسويدية وبعد اكتشاف صناعة الورق من المواد الخشبية وكانت الحلفاء تصدر كلها تقريباً إلى إنجلترا حيث يتراوح سعرها بين55 و65 شلنا للطن الواحد.»[1]

وفي فترة الإحتلال الإيطالي أنشأ الإيطاليون بمنطقة باب الحرية سوقاً عرف باسم سوق الحوت، كان ولايزال يباع فيه السمك والخضروات واللحوم كما أنشأوا سوق للصناعات المحلية بسوق المشير، ثم أكملت بلدية اطرابلس هذه السلسلة من الأسواق بإنشاء سوق يربط باب الحرية بسوق الصناعات المحلية وكان فيما مضى تعقد في مكانه سوق الحلقة تباع فيه المواد الأولية لصناعة الأردية والجرود مثل الصوف والطعمة والجداد والقطن وغير ذلك. وتخصص أغلب نشاطه لبيع الذهب والفضة.

كما كانت فنادق مدينة اطرابلس[2] تؤدي دوراً تجارياً، إذ كانت نزلاً يحل فيه المسافرون ويعرض التجار سلعهم ويعقدون صفقاتهم، وتستعمل بعض حجراتها كمخازن لبضائع التجار.

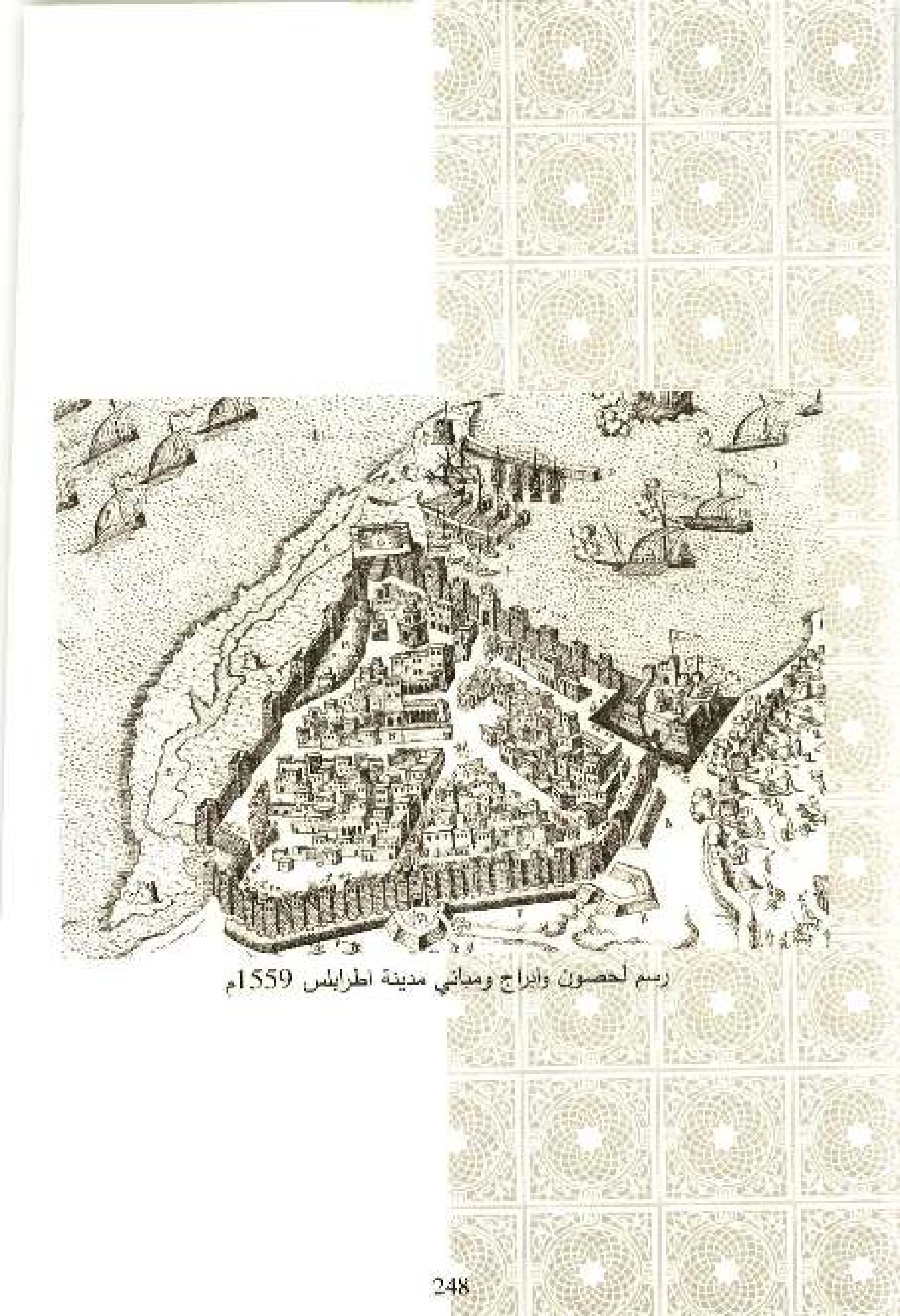
---

(1) . كورو.ص85
(2) . أنظر سعيد علي حامد، فنادق مدينة اطرابلس، مجلة تراث الشعب، السنة الثالثة، العدد الحادي عشر، 1983 ص58،69

المصادر والمراجع

1. ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت: دار مكتبة الحياة (د.ت).
2. البكري. المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد: مكتبة المثنى(د.ت)
3. العبدري. رحلة العبدري(المسماة الرحلة المغربية).تحقيق محمد الفاسي. الرباط : وزارة الدولة المكلفة والشؤون الثقافية والتعليم الأساسي.(د.ت)
4. العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، وضع فهارسها محمد حجي. الرباط : دار المغرب التأليف والترجمة والنشر .الجزء الأول(د.ت)
5. التجاني، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، ليبيا تونس : الدار العربية لكتاب،1981م.
6. حسن.حسن الفقيه. اليوميات الليبية . تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر. طرابلس: منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجزء الأول1984م
7. الحشائشي، محمد،رحلة الحشائشي إلى ليبيا(جلاء كرب عن طرابلس الغرب).تحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت، دار لبنان، الطبعة الأولى،1956م.
8. النائب،أحمد، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس مكتبة الفرجاني، الجزء الأول(د.ت)
9. ابن غلبون، التذكار طرابلس : مكتبة النور،الطبعة الثانية،1967م.
10. التليسي، خليفة محمد، حكاية مدينة-ليبيا-تونس : الدار العربية للكتاب «د.ت»
11. البرغوثي، عبداللطيف، التاريخ الليبي القديم . بيروت: دار صادر، منشورات الجامعة الليبية، الطبعة الأولى1971م.
12. مهران، محمد بيومي، بلاد الشام، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية،1990م.
13. عباس، إحسان،ومحمد نجم، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات بنغازي : دار ليبيا لنشر1968م.

14. روسي، إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة1911م تعريب خليفة التليسي، بيروت: دار الثقافة الطبعة الأولى 1974م.
15. بعيو، مصطفى عبدالله، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، ليبيا- تونس : الدار العربية للكتاب، الجزء الثالث 1975م.
16. توللي، ريتشارد عشر سنوات في بلاط طرابلس ترجمة عمر أبو حجلة .طرابلس : مكتبة الفرجاني(د.ت).
17. تود، مابل لومس، أسرار طرابلس، طرابلس . مكتبة الفرجاني 1968م.
18. كاوبر، هـ. س . مرتفع الآهات الجمال، ترجمة أنيس زكي حسن .طرابلس : مكتبة الفرجاني.
19. كورو، فرانشسكو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، طرابلس : دار الفرجاني(د.ت).
20. دار المحفوظات التاريخية، سجل محكمة طرابلس الشرعية رقم5ب.
21. مجلة تراث الشعب، السنة الثالثة، العدد الحادي عشر 19832م. فنادق مدينة طرابلس ص58 - 69.



رسم لحصون وابراج ومباني مدينة اطرابلس 1559م

معالم عربية مفقودة من اطرابلس*

كلما تقدم الإنسان وتطور ازداد اهتمامه بالعمارة، فالعمارة مرآة الحضارة. والحضارة نسيج الفكر الإنساني النابع من معطيات الثقافة التي تتحرك في إطار عقائده الدينية ومبادئه السياسية وكيانه الاقتصادي وأصوله التربوية. والعقائد الدينية تتطلب أشكالا وأنواعا من العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية تلائم أهدافها وتحقق أغراضها، بل أن الدين قد يستخدم العمارة والفنون للتأثير على الناس أو قد يستخدمه هؤلاء للتعبير عن شعورهم نحو دينهم ارتبط الفن الإسلامي أشد الارتباط بالدين، فلقد نشأت العمارة الإسلامية أول ما نشأت في المدينة عندما اختط أول بيت للصلاة، وأول مسجد جامع للمسلمين وقد ظهر في تاريخ العمارة من هذا المسجد البسيط نظام تخطيطي لبناء جديد له اليوم شأن في الآثار.[1] ولقد بنيت أغلب المساجد فيما بعد على هذا النموذج مع بعض الإضافات التي صاحبت تطور المعمار الإسلامي مع بناء وزخرفة وتذهيب وارتفاع المآذن وكسوة الجدران بالرخام والفسيفساء...الخ.

إن هذا المسجد قد ابتكره الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه وأنصاره ولم يقتبسوه من أي من الطرز المعمارية السابقة أو المعاصرة، وهو إذن تصميم عربي إسلامي خالص لا شك ولا شبهة في أصالته ونقاوته، فقد استمد ميزاته من خصائص البيئة المحيطة به وأحوال معيشة سكانها ولهذا نلاحظ في رسوم الأقواس والأعمدة والمنابر والقباب المستعملة في الفن المعماري العربي تشابها قويا مع نقوش وتقبب أحواض النخيل المحببة إلى قلوب العرب.

ومن بناء المسجد انطلق الفنان المعماري المسلم إلى القصور والدور والأضرحة والحمامات والمدارس والخانات...الخ، ومما تجد الإشارة إليه أن فن العمارة الإسلامية لم يتأثر بالفنون الأخرى التي سبقته إلا بما وافق طبيعة التقاليد العربية الإسلامية، واقتبس العناصر والوحدات المعمارية الزخرفية التي تصلح لأغراضه وهذب الفنان العربي ما اقتبس لذوقه وأدخلها في عناصر ووحدات صيغت في قالب عربي إسلامي وبمرور الزمن أخذت تلك العناصر تتطور حتى أخفت ملامحها الأولى وأصبحت تدل على الفن المعماري الإسلامي الذي غطى مساحة شاسعة امتدت من أسيا الوسطى شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

---

* نشر بمجلة آثار العرب تصدر عن مصلحة الآثار ومشروع المدينة القديمة . العدد6 . 1993م

(1) . أحمد فخري، بحث عن عوامل الوحدة في الآثار الإسلامية بالبلاد العربية

ولقد جرت العادة في معظم ما كتبه المستشرقون عن العمارة الإسلامية أن يتجهوا عند وصفهم لأي أثر معماري عربي إسلامي إلى تشبيهه بعناصر معمارية وجدت في طرز سابقة لكي يصلوا من خلال ذلك إلى اعتبارها أصولا ومصادر اشتقاق لتلك الوحدات والعناصر الإسلامية، حتى ولو لم تكن هناك علاقة بين تلك العناصر وهذه الوحدات لا من الناحية الزمانية ولا من الناحية المكانية في كثير من الأحيان وبذلك يخرج القارئ بنتيجة أن الأثر الإسلامي إما ان يكون قد ظهر على أيد غير عربية وغير إسلامية أو أنه اعتمد في إخراجه على تقاليد ليس للعرب والمسلمين فضل فيها. [1]والحقيقة التي يجب أن تذكر أن العرب ما كادوا يحررون العراق ومصر وتونس في زمن مبكر حتى وضعوا أسس أربع مدن وهذا ما لم ينتبه إليه المؤرخ (ابن خلدون) حيث كتب أن العرب ما دخلوا بلادًا إلا أسرع إليها الخراب واستغل بعض الشعوبيين ذلك التشنيع، وقد استمر بناء المدن قائما حتى العهود الإسلامية المتأخرة. [2]

ومدينة اطرابلس باعتبارها احدى المدن العربية التي حررها العرب المسلمون من الإستعمار البيزنطي سنة 643م ونشروا بها الدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم شهدت منذ بداية الإسلام بها أول لبنات الحضارة الإسلامية في مجال العمارة، وسنتناول هنا بعض آثار طرابلس الإسلامية المفقودة:

- **جامع عمرو بن العاص:**

يذكر هذا بعض المؤرخين أن القائد عمرو بن العاص عندما حرر مدينة طرابلس أسس مسجدا بها سنة 22هـ وأن صح هذا القول فيكون هذا أول مسجد بني في شمال أفريقيا ورغم أن هؤلاء المؤرخين لم يصفوا ذلك المسجد فإنه سيكون مشابها للمسجد الذي أسسه عمرو بالفسطاط بمصر سنة 20هـ، الذي تميز كالمساجد الأولى في الإسلام بالبساطة في البناء والأثاث، ويرجح بعض الباحثين أنه على أنقاض مسجد عمرو بن العاص قد بني جامع أحمد باشا سنة 1738م.

- **رباط طرابلس:**

شهدت مدينة طرابلس قيام أول الرباطات بالمغرب. إذ أسس الوالي هرثمة بن أعين رباط طرابلس سنة 181هـ والرباط عبارة عن ثكنة لحماية الثغور العربية في بداية الأمر يربض

---

(1) . فؤاد شمس الدين، العمارة الإسلامية ما لها وما عليها، بحث نشر في مجلة الفكر العربي الذي يصدرها معهد الانماء العربي، العدد الثاني والخمسون، آب أغسطس 1988م، ص 47

(2) . أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دمشق : دار الفكر، ط 2، 1977م، ص 27، أنظر : سليمان زابيس، بين الأثار الإسلامية في تونس، منشورات دار الثقافة، 1963

بها بعض المتطوعة لمجابهة الغارات البحرية البيزنطية بدافع الجهاد إلى جانب أداء فروضهم الدينية الأخرى وقد تطور الرباط مع مرور الزمن ليصبح مركزاً ثقافيا أيضا للرجال والنساء ودار وراقة لنسخ الكتب وبثها احتساباً لوجه الله تعالى ولا سيما المصاحف ومجاميع الحديث وكتب الفقه، فالرباط مسجد ومدرسة ودار وراقة ومكتبة وحصن. [1]

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن المراحل التي مر بها رباط طرابلس أو موقعه بالتحديد أو الإضافات التي شهدها في الفترات اللاحقة أو إلى الفترة التي هدم فيها.

أما عن تركيب رباط طرابلس في بداية إنشائه فلعله ورباط سوسة والمنستير بتونس قد شيدت على طراز واحد إذ يتكون الرباط عادة من سور تستند إليه حجرات، وتتوسطه ساحة تستخدم للتدريب والحياة اليومية وعادة ما يشيد الرباط من طابقين تعلو حجرات الطابق الأول حجرات الدور الأرضي ويمكن الصعود إليها عن طريق سلم أو أكثر ومن ثم يصعد إلى أعلى الرباط التي توجد به 4 أبراج في أركانه للمراقبة والحراسة والدفاع عنه عند تعرضه إلى هجوم، وتجدر الإشارة هنا أن الرباطات منتشرة على الساحل من سبته إلى الإسكندرية وأن الرسالة بينهما تصل في ليلة واحدة عن طريق اشعال النار.

- **جامع الناقة القديم:**

وهو من أعظم مساجد مدينة طرابلس ويسمى الجامع الأعظم وتذكر المصادر التاريخية أن إنشاءه تم على يد الفاطميين، فقد ذكر الرحالة التجاني عند إقامته لطرابلس 1306_1308م بأنه بين القصبة والمدرسة المستنصرية « جامع طرابلس الأعظم الذي بناه بنو عبيد وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض على أعمدة مستديرة، فلما تم نصفه كذلك سدس وكان بناؤه في العام المكمل للمائة الثالثة على يد خليل بن إسحاق .» [2] ويذكر أن « شكراً المعروف بالصقلبي ابتنى الماجل الذي بجامع طرابلس من الجهة الجوفية والقبة التي عليه في سنة تسع وستين ومائتين وأن خليل ابن أسحاق ابتنى المنار الذي به..... [3]

إن ما أشار إليه الرحالة التجاني يفيد بان الجامع متسع وله سقف مجدد حديثا – لأيام مقام التجاني بطرابلس – وأن خليل بن اسحاق ابتنى المنار سنة 269هـ (913م) ونتبين من هذا أن

---

(1) . ينظر : عثمان الكعاك الرباطات

(2) . التجاني، رحلة التجاني، ليبيا . تونس، الدار العربية للكتاب، 1981م، ص 253

(3) . التجاني، ص 254

جامع الناقة قد شيد في فترة مبكرة، هذا وقد وصف الرحالة جامع الناقة فذكره البكري صاحب كتاب المسالك والممالك في القرن الخامس بقوله « وبنى جامعها أحسن مبنى « ووصفه العبدري اثناء زيارته لطرابلس 688هـ بقوله « ولم أر بها ما يروق العيون، وسما عن أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها فإنّ لها من حسن الصورة نصيبا ومن إتقان الصنعة سهما مصيبا. [1]
وقد فقدت مدينة طرابلس مبنى هذا الجامع على يد الإسبان عند احتلالهم لها ودمروا جامع الناقة عندما اعتصم به كثير من الأهالي أثناء مقاومتهم للغزو الإسباني وقد عوض الوالي صفر داي مدينة طرابلس عن فقدان ذلك المعلم بان شيد لها جامع الناقة القائم حاليا سنة 1019هـ 1610م. حسبما تشير اللوحة الرخامية التذكارية التي تعلو مدخله الشرقي.

- **قصر فلفول:**

يشير ابن خلدون في كتابه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) إلى قصر فلفول، ولا يذكر أين شيد فلفول هذا القصر ولا نجد له وصفا ويرجح ايتوري روسي في كتابه ((ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م)) بان هذا القصر قد بني بمدينة طرابلس حيث يوجد الحائط الشمالي لسور المدينة فقد كان يوجد به باب يدعى باب فلفول [2]، وقد هدم ذلك الباب ويبدو أن تشييد القصر كان في زمن حكم فلفول بن سعيد طرابلس 319 _ 400م ولم يعثر على وصف له أو تاريخ هدمه...

- **مبنى الرياض:**

يقع هذا المبنى مقابلا للقلعة، وكان مخصصا لوالي البلد ويذكر التجاني أن هذا المبنى يرجع في زمن تأسيسه إلى « بني مطروح رؤساء طرابلس في القديم » 541هـ. ولم يعمر مبنى الرياض طويلا رغم ضخامة بنائه فيذكر التجاني بأن المبنى في فترة مقامه بطرابلس 706_708هـ ((خرب غير أن به آثارا دالة على ما يذكر عنه، وقد أقطع هذا الموضع في هذا الوقت لبعض العرب فغيره عن حاله وابتنى في موضعه دارا)). (3)

---

(1) . أنظر محمد يوسف نجم، إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968

(2) . إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة التليسي، بيروت : دار الثقافة 1974م، ص 78

(3) . التجاني، ص 237

- **المدرسة المنتصرية:**

تقع المدرسة المستنصرية أو المنتصرية بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس بباب البحر إلا أن مكانها غير محدد بدقة ويذكر الكاتب الطرابلسي الخروبي وهو من علماء القرن السادس عشر مدرسة الرخام عرضا التي يحتمل أن تطابق المدرسة المنتصرية التي لابد وأن تكون قد استعمل في بناءها رخام الآثار الرومانية ويحدد لنا التجاني مكانها بالتقريب فيذكر المدرسة المنتصرية القريبة من القوس الروماني وهذا يبعث على الظن بان هذه المدرسة كانت تقوم قريبا من المكان الحالي لمسجد درغوت ومدرسة عثمان باشا.

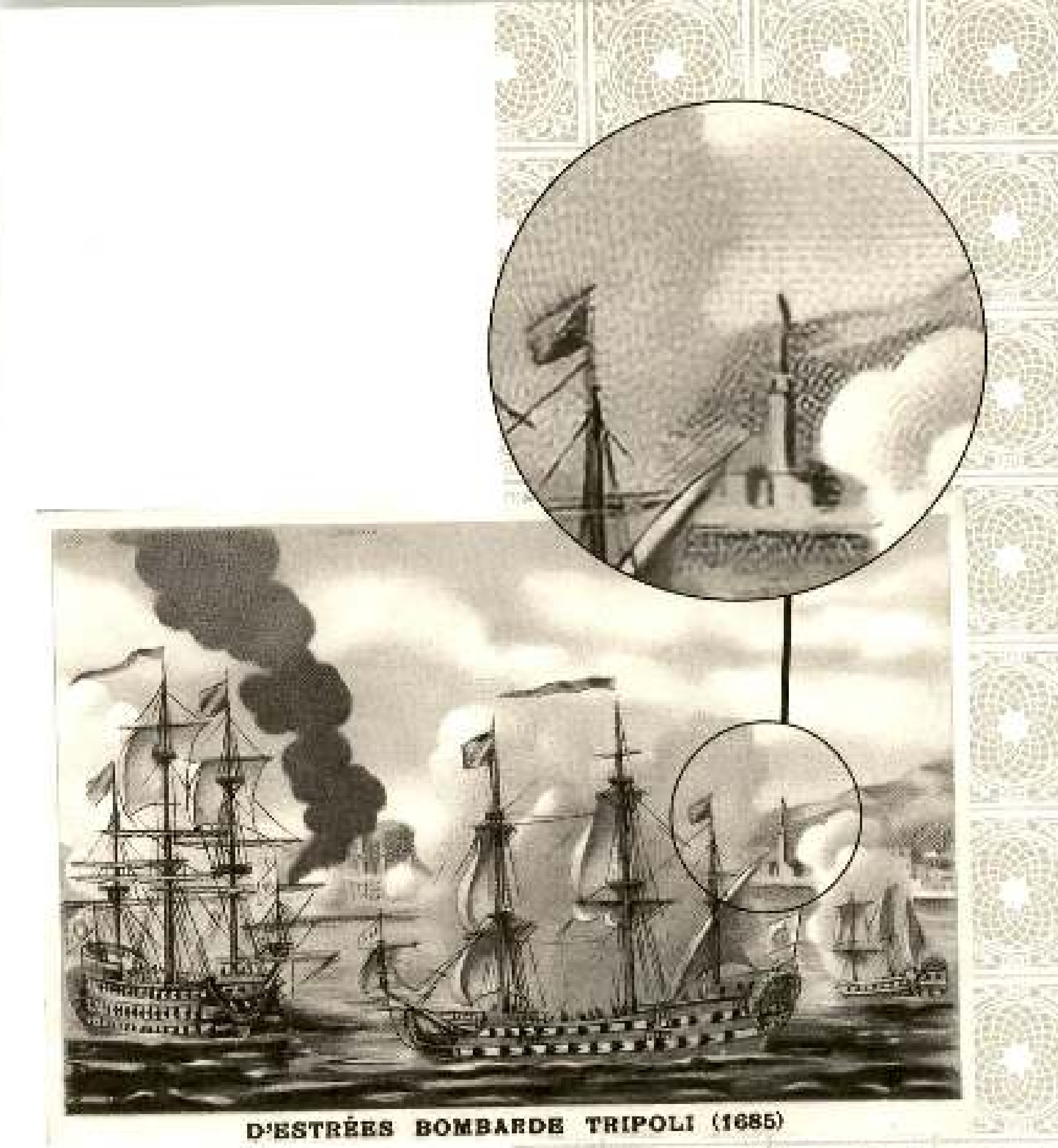
وقد وصف ابن الرشيد السبتي في رحلته في نصف العقد الثامن من القرن السابع هجري حديقة المدرسة المستنصرية وقد تعلل بنسيم الحديقة وبما تحويه من أزهار وكأنه بجنة نعيم ولكنه لم يتحفنا بوصف لمبنى المدرسة وما تحويه من أثار معمارية. أما الرحالة العبدري الذي زار مدينة طرابلس سنة 688هـ، وتحامل على المدينة وأهلها ووصفها بوصف يبعد عن الواقع فانه لم يخف إعجابه بمبنى المدرسة فيقول « ولم ار بها ما يروق العيون وسما أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها فان لها من حسن الصورة نصيبا من إتقان الصنعة سهما مصيبا، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة.

لقد بخل علينا العبدري فلم يصف المدرسة وهو في وصفه للمعالم الأثرية كأنه عالم آثار سبق زمانه ونلاحظ ذلك في وصفه للقوس الروماني المجاور للمدرسة. ومع ذلك فان وصفه البسيط لها نتعرف على البناء وروعته حتى ان العبدري لم ير في الشمال الأفريقي مثل هذه المدرسة.

ولم تحظ المدرسة باهتمام الرحالة التجاني أيضا الذي مكث في طرابلس 18 شهرا 706هـ_708هـ ومع ذلك لم يكتب عن المدرسة إلا بضع كلمات رغم إعجابه بها فقال من احسن المدارس وضعا واظرافها صنعا، إن المدرسة المستنصرية أو المنتصرية كانت إحدى مفاخر مدينة طرابلس منذ أن شيدها الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بين سنتي 655هـ_658هـ (1257_1259م) حتى هدمها الإسبان عند احتلالهم لمدينة طرابلس سنة 1510م، وبذلك فقدت مدينة طرابلس أثراً معماريا هاما ومركزا ثقافيا ظل ينير الحياة العلمية بها قرنين ونصفا من الزمن .

- **مدرسة ابن ثابت:**

انفرد الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي القلصادي بذكر مدرسة ابن ثابت، رغم أن الرحالة



D'ESTRÉES BOMBARDE TRIPOLI (1685)

رسم قصف طرابلس بواسطة الأسطول الفرنسي بقيادة (دي إستري) 1685م

السابقين قد ذكروا بأنه بطرابلس مدارس كثيرة ولم يذكر إلا المدرسة المنتصرية، وصل القلصادي إلى طرابلس في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة 851هـ الموافق 10 من شهر ناصر 1447م وذكر بانه أقام « بمدرسة ابن ثابت عدة ليال وأيام .»(1) ورغم مكوثه به والتقائه ببعض الأصدقاء والأحباب فانه لم يجشم نفسه العناء بذكر بعضهم أو وصف للمدينة أو حتى للمدرسة وإن اقتصرت إفادته باسم المدرسة وشئ خير من لا شئ ولعل هذه المدرسة قد أسستها أسرة ابن ثابت التي تنتمي إلى قبيلة الجواري من وشاح بن عامر بن دياب بن مالك بن سليم في مطلع القرن الثامن وأخذت تمارس التجارة مما أكسبها ثروة طائلة إلى جانب نسبها العربي فأصبحت لها بذلك مكانة مرموقة في طرابلس حتى أنها تولت أمر طرابلس بين سنتي 724_803هـ.

- **مسجد مخزن الرخام:**

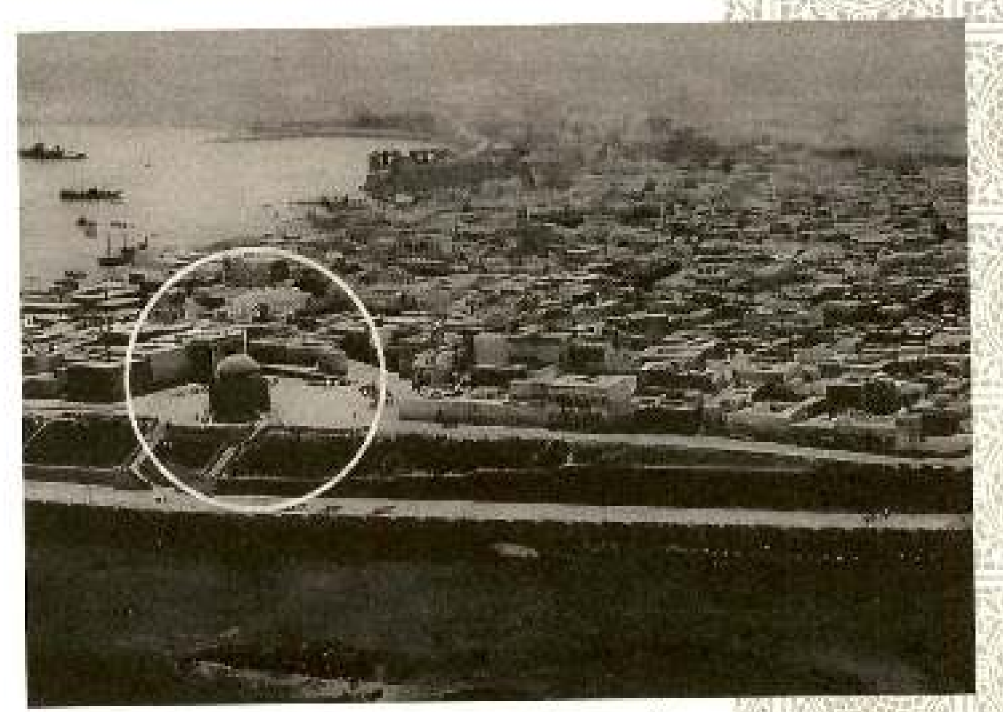
بني هذا المسجد بالقوس الروماني بمنطقة باب البحر، وتدل القرائن المادية أن هذا القوس استعمل كمسجد صغير في بداية إنتشار الإسلام بمدينة طرابلس، وقد اتضح ذلك من الحفريات التي أجراها الإيطاليون وعند الكشف عن القوس في الفترة ما بين 1912_1918م فقد عثر على نقش ظهر به التاريخ واضحا 75هـ (4 / 695م) كما عثر على آثار زيت مصابيح على طبقات الجبس التي كانت تغطي جدران القوس. (2).

وقد أشار التجاني اذي قام برحلته 706-708هـ إلى القوس وقبته وذكر بانه «قد بنى الآن عليها مسجد يصلى فيه « وهو يعزو أسباب بنائه إلى أن بعض كبراء طرابلس حاول هدمها وأخد رخامها. كما شيد على قبة القوس منارة على شكل برج وذلك لإعطاء هذا البناء المظهر المتكامل للمسجد، وقد اظهرت رسومات مدينة طرابلس شكل ذلك البرج في القرن السادس عشر ويبدو البرج على شكل دائري به عدة عقود وتعلوه قبة، ولا نعلم بالتحديد الزمن الذي تهدم فيه هذا البرج إلا أن رسما لمدينة طرابلس يمثل قصف الأسطول الفرنسي بقيادة دي استري لها سنة 1685م قذ اظهر ذلك البناء، ولكن الرحالة الفرنسي (موثراي) الذي اقام بطرابلس من 21 / 4 /1697م إلى 3 / 5 / 1697م وصف القوس وذكر بأنه استعمل كمخزن من المخازن التابعة لأمير البحر في مدينة طرابلس وعلى ذلك فانه هناك

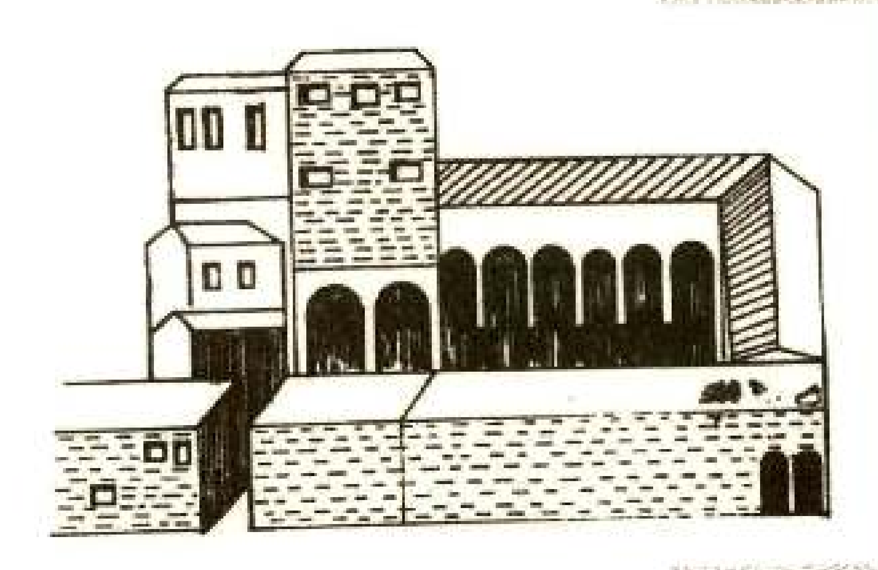
---

(1) . أبو الحسن علي القلصادي ، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الاجفان، تونس : الشركة التونسية للتوزيع 1978م، ص 124

(2) . أنظر : محمد علي عيسى، قوس ماركوس أوريليوس عبر العصور ، بحث منشور بمجلة تراث الشعب التي تصدرها اللجنة الشعبية العامة للأعلام، السنة العاشرة، العدد الثالث، 1990م



المنطقة الشمالية الغربية لمدينة اطرابلس قبر الجندي المجهول فترة الاستعمار الايطالي موقع برج التراب .



رسم لقصر درغوت

إحتمالا قويا بأن ذلك البرج قد انهار على أثر القصف الفرنسي لمدينة طرابلس سنة 1685م.

- **برج التراب:**

يقع هذا البرج بوسعاية البولاقي في المنطقة التي شيد بها خزان مياه القبة، في المنطقة الشمالية الغربية لمدينة طرابلس القديمة، وقد بدأ في تشييده مراد آغا والي طرابلس 1551_1553م بالقرب من مسجد سيدي سالم حيث ترتفع المنطقة بحوالي 17 مترا عن مستوى سطح البحر لتحصين المدينة ضد أية غارات محتملة من القوى المسيحية المعادية، ولم يستطيع مراد استكمال ذلك الحصن. وعندما تولى درغوت باشا (1553 - 1565م) أمر ولاية طرابلس عزم على استكمال ذلك الاستحكام لتقوية المنشآت الدفاعية للمدينة، وفعلا استطاع استكماله بدقة وعناية وعرف ذلك الحصن باسم (برج التراب) بسبب الكميات الهائلة من المواد التي جمعت فيه، كما أحاط به سور مرتفع عريض، وقد قام الأتراك بتجديده سنة 1880م وأطلقوا عليه اسم (برج المنار) وبعد احتلال الإيطاليين لطرابلس سنة 1911م أزال الإيطاليون هذا الحصن وبنوا مكان ما أطلقوا عليه اسم (قبة النصر أو قبر الجندي المجهول) التي تم إزالتها في نهاية الخمسينات من القرن الماضي وشيد بدلها خزان مياه القبة.

- **قصر درغوت:**

في مدة ولايته على طرابلس 1553 - 1565م بنى قصرا بالقرب من مسجده مكونا من دورين مفصولين بالشرفات والأروقة ومحاطا بالحدائق الجميلة، ولا نجد وصفا لهذا القصر ولكن لابد وأنه كان بناء رائعا مزدانا بالأعمدة المجلوبة من المدن الاثرية القديمة يليق بحاكم مدينة لها شهرتها بين مدن البحر الأبيض المتوسط.

وختاما أود أن أشير إلى أن هذه ليست كل المعالم العربية الإسلامية التي فقدتها طرابلس ولكن لابد وأن هناك غيرها سواء تلك التي أشار إليها الرحالة والكتاب أو التي لم يشيروا إليها واندثرت. ولعل ما اورده المهندس غاسبري ميسانا في كتابه « المعمار الإسلامي في ليبيا « فيه كثير من الصواب إذ يقول أنه « قد يتبادر إلى الأذهان أن ليبيا خالية من أية آثار معمارية ذات بال للفن الإسلامي. ففي واقع الأمر ليس فيها الكثير بالمقارنة مع ما تفخر به مصر ويزخر به المغرب مثلا، إذ لم يتوفر في الماضي إلا قلة من الموارد سواء للغزاة والفاتحين أو لسكانها الاصليين، الذين على ضآلة عددهم بالنسبة لاتساع رقعة ترابها _ كانوا ذوي روح نضالية وقد بذلوا دوما أفضل طاقاتهم لمقاومة سيطرة الغزاة بكل حزم وصرامة.

وان مثل هذه الظروف الجغرافية والتاريخية لم تكن قادرة على تحقيق إنجازات عظيمة من شأنها التغلب على تقلبات تاريخ مليء الجوانب بالنوائب لكي نستطيع أن نقف عليها في عصرنا الراهن. [1]

---

(1) . غاسبري ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب على الصادق حسنين، طرابلس، مصطفى العجيلي، د . ت . ص

المراجع :

1. وثائق بدار المحفوظات التاريخية – السراي الحمراء .
2. عمر علي بن إسماعيل – إنهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م طرابلس / مكتبة الفرجاني الطبعة الأولى 1966م.
3. اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م . تعريب خليفة التليسي بيروت : دار الثقافة، الطبعة الاولى 1974م.
4. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي .ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية 1983م.
5. منصور عمر الشتيوي ، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة . طرابلس : مؤسسة الفرجاني 1970م.
6. لويس رايت وجوليا ماكليود، الحملات الأمريكية على شمال أفريقية، تعريب محمد روحي البعلبكي، طرابلس: مكتبة الفرجاني (د.ت).



الحنفية العثمانية خارج سور اطرابلس



حنفية سوق الثلاثاء القديم – جهة نافورة الغزالة 1911–1913م

مصادر مياه مدينة اطرابلس منذ التأسيس وحتى 1911م*

تؤسس المدن عادة على ضفاف الأنهار أو في الأماكن التي تتوافر فيها المياه اللازمة للإستغلال البشري. ولما كانت منطقة طرابلس خالية من الأنهار فقد أعتمد سكانها على الآبار ومياه الأمطار فلولا وفرة المياه ووجود بعض الحماية الطبيعية لميناء طرابلس، لما أسس الفينيقيون بها مركزا تجاريا، وقد نمى هذا المركز حتى أصبح مدينة عرفت في التاريخ القديم باسم (أويا)، احتلها الرومان 46ق.م واستقروا بها، وهم قوم معرفون باهتمامهم البالغ بإنشاء الحمامات بأنواعها الثلاثة/ الباردة والفاترة والساخنة وحجرات التعريق.

اعتمد أهل مدينة طرابلس في حياتهم-حتى وقت قريب-على مياه الآبار السطحية ومياه الأمطار التي تسقط في فصل الشتاء حيث تخزن في (مواجن) لاستعمالها على مدار السنة، وصف الرحالة (البكري) في كتابه المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، بعض مصادر المياه في طرابلس في القرن الخامس الهجري بقوله : « وداخل مدينتها بئر تعرف (ببئر أبي الكنود) يعيرون بها ويحمق من شرب منها، فيقال للرجل إذا أتى بما يلام: لاعتب عليك لأنك شربت من بئر أبي الكنود. وأعذب أبارها بئر القبة . »[1] والقبة هي منطقة الشعاب حالياً، ويذكر الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في إختراق الأفاق) الذي ألفه في النصف الأول من القرن السادس الهجري أن تغريبة بني هلال وسليم قد أضرت بطرابلس « وبما حولها وأجلت أهلها، وأخلت بواديها، وغيرت أحوالها، وأبادت أشجارها، وغورت مياهها.» [2] ويقول أبو الفداء صاحب تقويم البلدان المتوفي في سنة 732هـ: إن طرابلس ليس بها ماء جار بل بها جَوابٍ وعليها سواقٍ » [3] والحباب في اللغة هي الجرار أو الخوابي.

أما التجاني الذي زار ليبيا بين سنتي 708-706هـ/ 1306 1308م فيقول عندما يصف مدينة طرابلس ومعالمها إن موضع المصلى القديم يعرف الآن بالعيون سمى بذلك لأن هناك عيون مياه عذبة، وهي بشاطئ البحر وماؤها ينصرف إليه، وبمقربة من هذا المصلى الآن

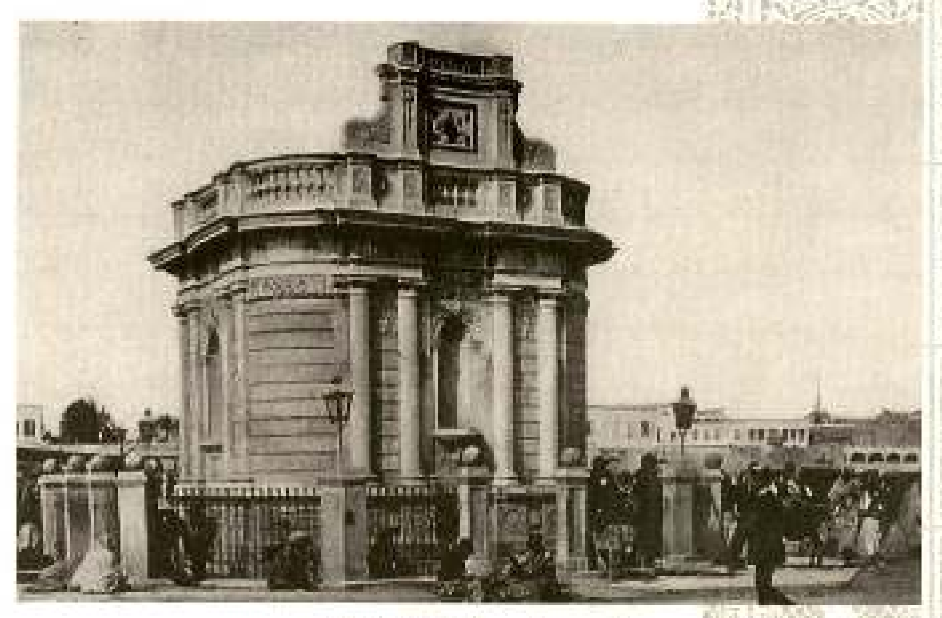
---

* . نشر بمجلة آثار الشعب، السنة 4، العدد 13، 1984م

(1) . البكري المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. بغداد : مكتبة المثنى، ص8

(2) . محم نجم، إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، بنغازي:دار ليبيا،1968م، ص45

(3) . المرجع السابق،ص89



ماء سبيل سوق الثلاثاء القديم



ماء سبيل سوق الخبزة 1912م

بئر قد نبتت بها شجرة واحدة من شجر الجميز المخصوص نباته بأرض المشرق. » [1]
ويرجح أيتورى روسي أن يكون هذا الموضع (موضع المصلى) هو المكان الواقع غربي طرابلس بين السور والمقبرة اليهودية، ومازال يعرف (بالعيون) بسبب المياه النابعة من الأرض والمنصرفة إلى البحر[2] ويقع هذا الموضع الآن غرب سور مدينة اطرابلس القديمة، وذكر التجاني أنه رأى بئر أبي الكنود التي ذكرها البكري ويقول عنها :« وهذه البئر قد رأيتها بداخل المدينة وعليها يوردون بهائمهم، وكثير من أهل البلاد يشرب من مائها ولا يتحرج من ذلك مع علمه بما يسند عنها .» [3]

ويذكر الرحالة التركي الرئيس محمد بيري الذي زار مدينة طرابلس في 916هـ / 1510م أن مدينة طرابلس عامرة بأسواقها فيمكن التزود منها بكامل ما يحتاج إليه وعلى السفن التي يلزمها الماء فتوجد بئر قريبة من الساحل الجنوبي للميناء ماؤها عذب غزير وتحيط بالبلد الحدائق والبساتين بكثرة، وتسقى بواسطة القرب والدلاء . [4]

وتصف المس توللي أسطح بيوت طرابلس في رسالتها المؤرخة في9 تشرين الأول (أكتوبر) 1783م المنشورة في كتاب عشر سنوات في بلاط طرابلس بقولها: « ومن هذه الأسطح يسيل ما يتجمع من المطر إلى أبار محفورة في أرض الفناء حيث يختزن إلى موسم سقوط الأمطار في السنة التالية، والماء العذب متوفر على عمق قليل من سطح الأرض في كل مكان لكنه حاذق ونتن الرائحة .» [5]

ومن المؤسف أن ليبيا خلو من الأنهار وبالتالي فإن شحَّ الأمطار ربما سبب قحطا، أما إذا سقطت فهي تسقط بغزارة ولأيام وليال متواصلة، وداخل الآبار مشغول من أخلاط شبيهة بالرخام في مظهرها الخارجي، لربما كانت سعة البئر بقدر سعة الفناء الذي يعلوه » ويذكر محمد بن مصطفى بيرم صاحب كتاب صفوة الأعتبار المتوفى سنة 1307هـ أن طرابلس « كانت في أيام دولة الرومان والقرطاجنيين في غاية العمران والخصب، وأن كانت المياه بها قليلة، لكن الآثار القديمة دالة على إخراج منابع الماء بها من العيون والآبار وحفظ ماء المطر ،غير أنها الآن قليلة الخصب والسكان.» [6] يصف المؤرخ الليبي أحمد النائب

(1) . التجاني، رحلة التجاني.، تونس: المطبعة الرسمية 1958، ص246.
(2) . ايتورى روسي،ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911،ترجمة خليفة التليسي، طرابلس: دار نشر الفرجاني، الطبعة الاول،1974، ص105
(3) . التجاني، ص259
(4) . بلدية اطرابلس في مائة عام: ص44
(5) . توللي،عشر سنوات في بلاط اطرابلس، ترجمة عمر أبوحجلة، طرابلس: مكتبة الفرجاني،دت، ص89
(6) . محمد نجم، أحسان عباس،ص 258



ماء سبيل بومليانة بالقرب من شارع الخندق 1905م



الحنفية العثمانية يسار مدخل سوق المشير 1894م

في كتابه المنهل العذب في تاريخ اطرابلس الغرب مصادر المياه ويتحدث عن توصيل ماء بئر (بومليانة) إلى البلد (اطرابلس القديمة) في عهد الوالي أحمد راسم قائلا : « بما أن ولاية طرابلس الغرب خالية من الأنهار والمياه الجارية المساعدة للإستفادة العمومية، فلأجل تسهيل حصول الأهالي على الماء جعل في كل بيت صهريج تجمع فيه المياه المطر، إلا أن أكثر الصهاريج لم تكن لتكفى إلى نهاية موسم الصيف أي إلى زمن نزول المطر، فكان أهالي مركز الولاية مثل غيرها من بعض الملحقات المعمورة يضطرون لابتياع ما يحتاجونه من المياه العذبة بواسطة السقايين من الآبار الكائنة خارج البلد، وكان الفقراء من الأهالي يعانون مصاعب جمة في الحصول على الماء، فلما رأى ذلك حضرة الوالي المشار إليه أستحسن أن يجلب إلى البلد ماء البئر المعروفة ببئر (أبو مليانة) الواقع خارج البلد على مسافة نصف ساعة إلى الجنوب، وهي خاصة من القديم باستفادة العموم ومشهورة بلذة مائها وغزارته، وعمقها أربعة عشر مترا ونصف متر، فأمر بزيادة حفر هذه البئر وتنظيفها جيدا في أول الأمر، وابلاغ عمق مائها إلى أربعة أمتار ونصف، وإتقان بناء داخلها وتوسيعه. ثم أوصى إلى أوروبا على ألة بخارية لرفع الماء تعادل قوة أربعة من الخيل فجئ بها، ودفع ثمنها من واردات البلد، ووضعت على البئر، وأنشئ بازاء فم البئر غرفتان واحدة للآلة البخارية والأخرى لمديرها وخزان للماء متين ومحكم، مساحته طولا عشرة أمتار وعرضا كذلك وارتفاعه ستة أمتار ولأجل إيصال الماء المجتمع في ذلك الخزان إلى البلد مدت على مسافة الفين وخمسمائة متر أنابيب جئ بها من أوروبا أيضا (عشرة سنتيمترات ونصف) وبنيت عين (خزان) في غاية الرصانة والمتانة لتكون مركزا من خارج باب الخندق متصلة بالبئر بواسطة مواسير تحت الأرض طول العين سبعة أمتار، وعرضها ستة، وارتفاعها خمسة أو تسعة (62400) قة عتيقة من الماء وجدارها من الوراء ملاصق لحائط القلعة الحاجز بين باب الخندق المذكور وباب المنشية وقد غلفت هذه العين بالحجر المالطي الصلد، وزينت بنقوش لطيفة منحوتة على هذا الحجر ووضع على كل من أضلاعها الثلاثة أنبوبتان كبيرتان وأنشئت حياض صغيرة مستطيلة الشكل في أطرافها من الحجر المالطي أيضا، وبنيت بها طرق لجريان الماء الزائد إلى البحر وتبلطت أطراف العين فصار كل فقراء المدينة وحمالو الماء والعساكر السلطانية يأخدون الماء من هذه العين ليلا ونهاراً منذ اليوم الخامس من شهر شعبان المعظم سنة1308 [1]

---

(1) . أحمد النائب، المنهل العذب تاريخ اطرابلس الغرب، القاهرة : مطبعة الأستقامة. الطبعة الأولى، 1961 ص38-36



ماء سبيل سوق الثلاثاء أمام القشلة 1900-1909م



ماء سبيل بالباب الجديد

ويذكر النائب أيضا أن « محمود أكرم بك أفندي رجائي زاده أحد أعضاء شورى الدولة ومن أعاظم الأدباء والشعراء انشأ منظومة تاريخية تركية العبارة . نقشت على واجهة تلك العين « نقلها ايتوري روسي في كتابه «الكتابات الاثرية في متحف اطرابلس»، وتوجد وثيقة تاريخية بدار المحفوظات كتبت باللغة العثمانية تتفق مع ما ذكره النائب وهي لا تحمل تاريخا إلا أن كتابتها تدل على أنها كتبت قبل إنتهاء العمل فتذكر أنه قد بوشر في بناء سبيل بوسط الميدان المجاور لخارج باب خندق المدينة ليكون مركزا للماء المذكور، وبما أن مواسير الحديد من قطر عشرة سنتيمترات ونصف التي ستمد في الكيلو مترين ونصف التي بين البئر والبلد فقد أوصى بجلبها من أوروبا ومنتظر وصولها قريبا .» [1]وتذكر وثيقة أخرى أن السقايين كانوا « يبيعون حمل الحمار المكون من أربع جرار من الماء الذي كانوا يجلبونه بستين بارة للحمل. الواحد ونظرا إلى قرب المورد فقد سمح لهم بالمورد مجانا من هذا السبيل شريطة ان يبيعوا حمل الماء بعشرين بارة » وفي عهد الوالي نامق باشا 1898-1896م ظهر أن ماء الشرب الذي جلب لطرابلس من (بومليانة) لم يعد كافيا لحاجة المدينة لازدياد عدد سكانها، وهكذا بدئ بإنشاء موارد أخرى للمياه كلفت الحكومة مبلغ (35000) ليرة تركية، وجلبت المياه من عين زارة.» [2]ويذكر فرانشيسكو كورو في كتابه ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني أنه عند وقوع الاحتلال الإيطالي كان يوجد بطرابلس خزان صغير لحفظ المياه الجوفية المستخرجة للشرب وهو مقام في (أبي مليانة) ويشغل بواسطة آلة بخارية محدودة القوة ويستخدم الخزان بصفة خاصة في تزويد النوافير الثلاث الكبيرة الموجودة في بعض النقاط الرئيسية من المدينة أي ميدان الحلفاء، وميدان الخبز وقرب القلعة، أما الناس فيستخدمون لأغراضهم العادية مياه الأمطار المخزنة في الصهاريج وكان كل بيت مزودا بصهريج لتجميع مياه الأمطار بالإضافة إلى الآبار وهي في الغالب ذات طعم مالح غير صالح للشرب. [3] ومازالت توجد في بعض بيوت اطرابلس القديمة إلى حد الأن أثار المواجن والآبار السطحية التي يتراوح عمقها ما بين 10-5 أمتار ويشترك بيتان في بعض الحلات في بئر واحدة تقام تحت الحائط الفاصل بينهما ومازالت بعض البيوت تستعمل المواجن حتى اليوم في أعمال التنظيف .

---

(1) . دار المحفوظات التاريخية – طرابلس . وثيقة غير مصنفة
(2) . أنتوني كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني، ترجمة يوسف العسلي، القاهرة : دار أحياء الكتب العربية، ص59
(3) . فرانشسكوكورو، ليبيا في أثناء العهد العثماني الثاني، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس دار الفرجاني، ص 128



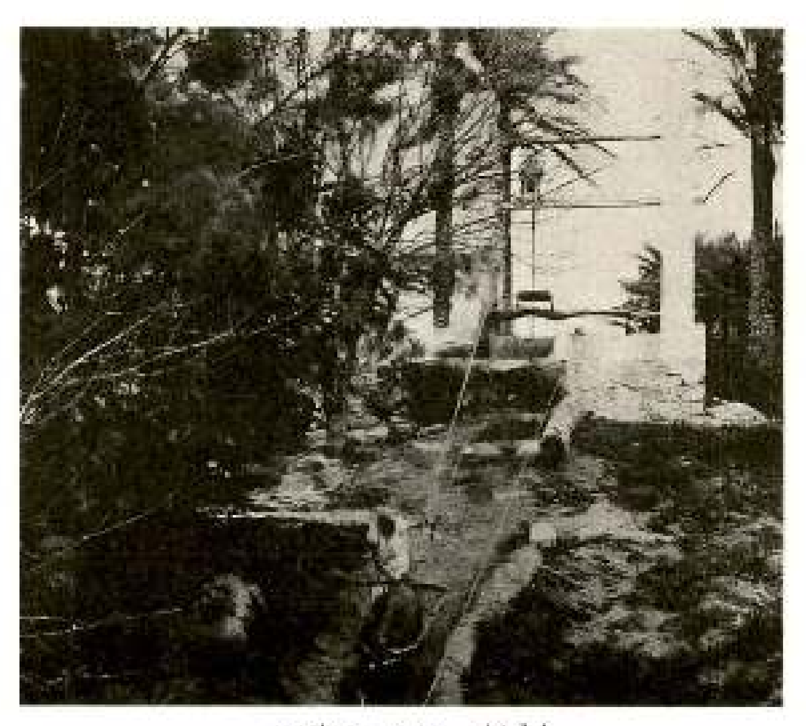
ماء سبيل بومليانة بشارع الخندق 1902م.



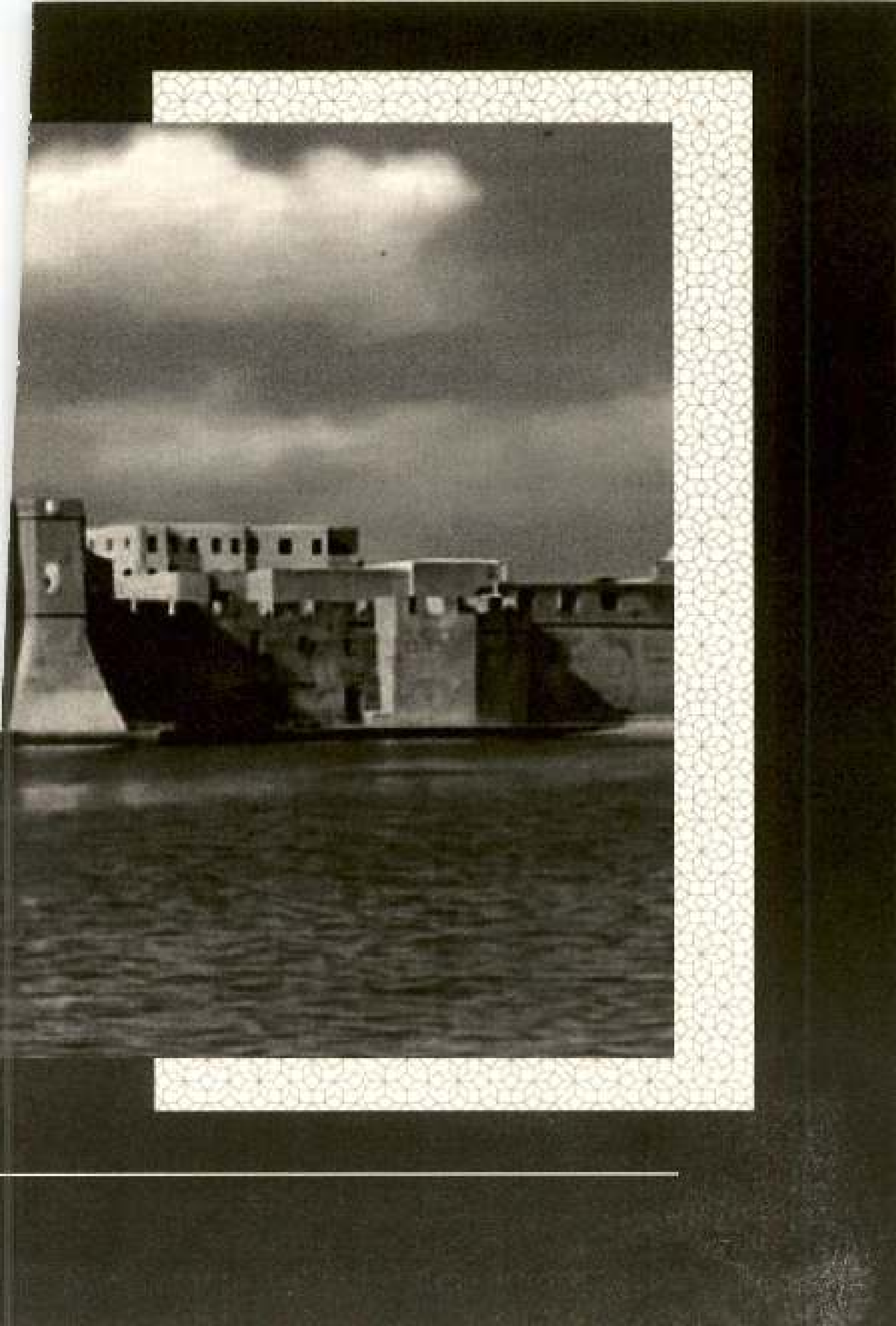
أسست هذه الحنفية العامة (الباب الجديد)
في عهد الوالي العثماني المشير أحمد فوزي باشا سنة 1325هـ



اطرابلس بير بو جناحين 1930م.

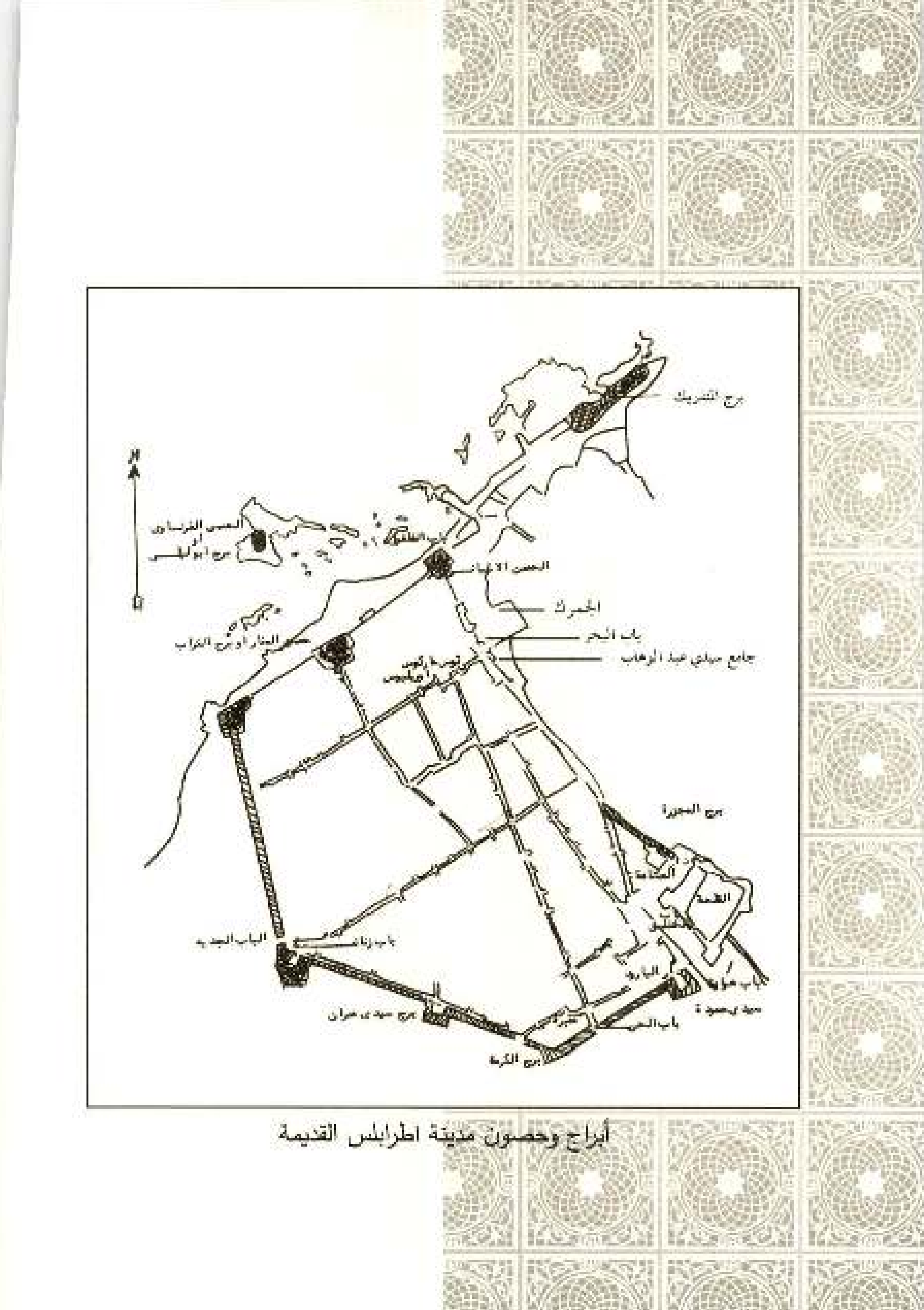


اطرابلس بير بو جناحين.





الفصل الخامس : العمارة الحربية



أبراج وحصون مدينة اطرابلس القديمة

الحصون والأبراج [1]

كانت المدن في الزمن القديم تعتمد في الدفاع عن نفسها على مدى قوة ومناعة أسوارها وتحصيناتها وعلى مقدرة أهلها في الدفاع عن مدينتهم، فكلما كانت الأسوار والتحصينات قوية ومرتفعة ،كلما استطاع أهلها العيش في أمن وسلام.

ومدينة طرابلس القديمة التي أسسها الفينيقيون في بداية الألف الاولى كمحطة تجارية أخذت تنمو وتزدهر، ولم تكن في بداية تأسيسها محاطة بسور أو محصنة، ويرى بعض الباحثين ان تشييد أسوار مدينة طرابلس يرجع للفترة اللاحقة للقرن الثاني الميلادي، أي عندما أشتدت هجمات القبائل الليبية القاطنة في دواخل البلاد على المحتلين الرومان، ومن المؤكد أن الأسوار لم تكن تحيط بها بشكل كامل، لا في العهد الروماني ولا البيزنطي.

ومن المعتقد أن السور القديم كان يمتد على نفس الخط الذي أقيم عليه السور الإسلامي، وكان يمر من الباب الجديد إلى برج الكرمة (حيث شارع سيدي عمران الآن) ثم يتجه إلى الشمال الشرقي إلى دار البارود (سوق الصناعات المحلية الآن).

ويلاحظ أن مدينة طرابلس لم تكن مسورة من جهة البحر في العهدين الروماني والبيزنطي لأنها لم تكن تخشى أي تهديد بحري. عندما فتح المسلمون مدينة (اطرابلس) كما كانوا يسمونها على يد عمرو بن العاص سنة 22هـ أمر بهدم أسوارها خوفا من عودة البيزنطيين وتحصنهم خلفها، إذ أنه أعتبر فتحه إياها تمهيداً لفتح قريب لاحق.

وباستقرار العرب المسلمين في طرابلس اعتنوا بسورها فقد أعاد بناءه عبد الرحمن بن حبيب والي افريقية وذلك سنة 132هـ من جهة البر، أما من جهة البحر فقد تأخر بناؤه الى ولاية هرثمة بن أعين على إفريقية الذي عينه هارون الرشيد سنة180هـ فتم تشييده على يده ثقته زكريا بن قادم. وقد تعرضت أسوار المدينة إلى الهدم في بعض الفتن، ففي أواخر القرن الثاني الهجري عندما تغلب عبدالله بن ابراهيم بن الأغلب على جموع هوارة وانتزع منهم مدينة طرابلس، جدد ما هدم من أسوارها، كما أن أبا الفتح زيان الصقلبي متولى طرابلس عام 345هـ زاد في إتقان ورفع بناء السور من جهة البر والبحر.

ويذكر الرحالة التجاني الذي زار مدينة طرابلس ما بين سنتي 706-708هـ إنه كان يحيط بسور المدينة أثناء زيارته لها سور أخر قصير منه يسمونه الستارة ولم يكن في القديم وإنما

(1) . نشر بمجلة تراث الشعب، السنة 5، العدد 15، 1985م

أمر ببنيانه الشيخ أبومحمد عبد الواحد بن حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان 614هـ ويذكر أنه رأى هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبدالله ولم بصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وإنما أنتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت أيام مقام التجاني بطرابلس.

يذكر التجاني أنه رأهم « قد شرعوا في حفر خندق متسع، يرومون أن يصلوه بالبحر من كل جانبي البلد، وابتداء حفره من الركن الذي بين القبلة والشرق، وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه بـ(الرملة) وهو حقف رمل متسع لاصق إلى جانب السور ولا يزالون ابدا يتكلفون نقله من ذلك الموضع، فإذا جهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر اعادته الريح كما كان..) ويضف التجاني أنه رأى بسورها من الاعتناء والاحتفال البناء ما لم يره بمدينة سواها وسبب ذلك أن لأهلها حظا من مجباها يصرفونه في رمّ سورها وما تحتاج إليه من مهم أمورها فهم لا يزالون أبداً يجددون البناء فيه[1]، وتوجد بدار المحفوظات التاريخية بعض الوقفيات على قلعة وأسوار اطرابلس من العهدين العثماني والقرمانلي.

يذكر كوستانزيو برنيا في كتابه طرابلس من 1510-1850م أنه لكي تصد مدينة طرابلس هجمات الأعداء المغيرين عليها من جهة البر، فقد تابعت العمل الذي بدأه النورمان سنة 1146م الدين أجهدوا أنفسهم طوال ستة أشهر لكي يحيطوا سور المدينة بخندق كبير ويتمثل هذا العمل في أخدود كبير عريض يبدأ من الجنوب الشرقي للقلعة مارا أمام باب المنشية ثم يتابع سيره نحو الباب الجديد ويقتضي التخطيط أن يكون مفتوحا على البحر من الجهة الغربية.

عند احتلال الإسبان لمدينة طرابلس سنة1510م تهدمت حافة كبيرة من السور تبلغ مائتي خطوة استخدم الإسبان الركام الناشئ عن هذا الدمار في ترميم و تدعيم القلعة، وقد تحدث ناتستينو دي تونسيس الذي شارك في الحملة الإسبانية التي استولت على طرابلس سنة 1510م بقيادة الكونت بدرو دي نافارا عن تحصينات مدينة طرابلس قائلاً:

« ويحيط بها «طرابلس» سور يبلغ امتداده أكثر من ميل! ولها سوران مزدوجان تحف بهما خنادق منخفضة وضيقة، السور الأول فصيل منخفض، أما السور الثاني، فهو مرتفع جدا وضخامته متناسبة مع الأبراج، وهي ذات مواقع دفاعية ضخمة، محاطة بالبر من جهات الثلاث...»[2].

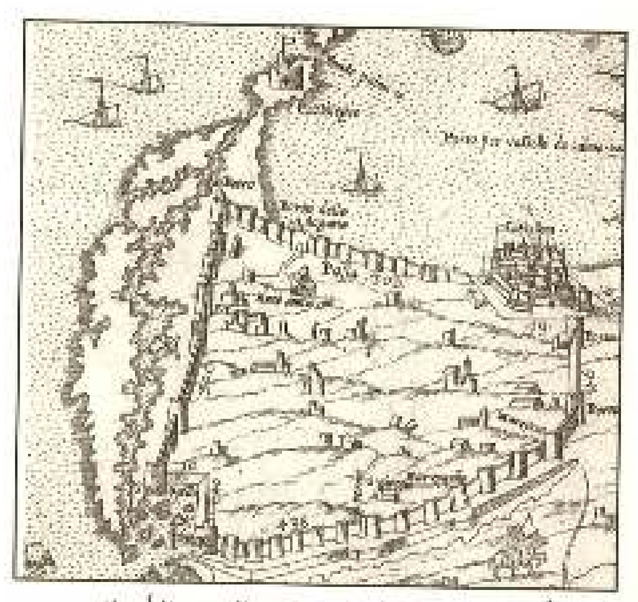
---

(1) لمزيد من التفاصيل :ينظر رحلة التجاني بتحقيق حسن حسني.عبد الوهاب.تونس، المطبعة الرسمية، 1958م.

(2) . أتوري روسي،ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة1911م ترجمة خليفة التليسي /بيروت دار الثقافة: الطبعة الاولى1974م ص239

ونجد وصفا لأسوار مدينة طرابلس قرب سنة1672م تركه لنا الجراح البرونفسالي جيرارد، إذ يقول:

إن المدينة «محاطة بأسوار ذات بابين، وستة أبراج وحصن ثم القلعة، ويؤدي باب المنشية إلى الريف وهو واقع بين خندق القلعة ودار البارود، يليه الدباغ وبرج الولي، وبرج باب زناتة ثم الركن الذي به حارة اليهود، ثم حصن غير كامل بدأ في تشييده محمد الساقزلي لأحكام السيطرة على المدينة فعاقه الموت عن اتمامه ثم حصن الطابية أو حصن الشريف . »[1]



أسوار مدينة اطرابلس فترة الغزو الأسباني

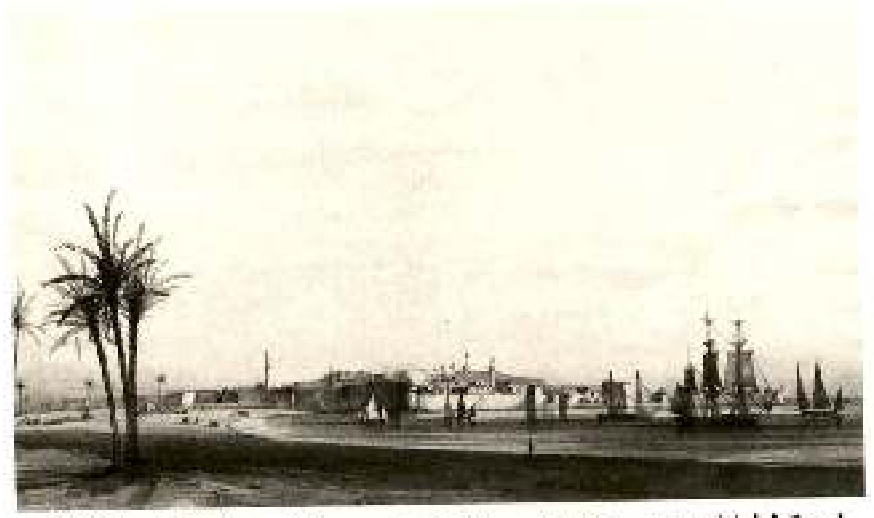
ووضع القيسي ميلانوفيتش في سنة 1765م تقريرا عن حامية اطرابلس وقوتها العسكرية[2] اعطى فيه وصفا دقيقا لأسوار وتحصينات المدينة فذكر أن محيطها يبلغ الفا وخمسمائة خطوة هندسية بالتقريب، ترتفع في زواياه الأربع حصون غير عالية توفر لها حماية رديئة يبذل أهلها قصارى جهدهم في المحافظة عليها من جهة البحر، وقد استخدموا كل فن (حربي) ممكن لإحاطتها من الجانبين المذكورين بدفاع جيد، وفوق ذلك فقد اقاموا عددا من البطاريات (الطوابي) من جانب الميناء وذكر أن السور يمتد من الجانب المطل على الميناء

(1) . المرجع السابق ص239

(2) . لمزيد من التفاصيل انظر محمد مصطفى بازامه،الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر .(بنغازي، مكتبة قورينا(205).

لمسافة 410 خطوة وله تعرجات عدة، كما أن به ثلاثة ابراج عالية، غير أن اثنين منها يستخدمان في الوقت الحاضر كسكن، أما الثالث فان به بقايا طاحونة ريح، ولكنها الآن دمرت ، ويشير إلى حصون مدينة طرابلس مثل حصن قرارة (طابية البحر) والبرج الفرنسي (برج أبو ليلة) والحصن الإسباني وحصن الميناء، ويذكر أن للمدينة ثلاثة أبواب، واحد للقادم من اليابسة (باب هوارة) والثاني يؤدي إلى الميناء (باب البحر) والثالث إلى الترسانة.

أما في منتصف القرن التاسع عشر فقد وصف بالليسير دي رينود، قنصل فرنسا بطرابلس من1850 -1852م طرابلس بأنها مدينة نظيفة إلى حد ما بإستثناء الحي اليهودي، وتحيط بها أسوار في حالة سيئة ولها بابان، إلى الشرق باب المنشية، وفم الباب على الطريق ضيقة كأنها ممشى يؤدي إلى الريف، وباب إلى الغرب أسمه (باب البحر) الذي يؤدي إلى البحر.[1] وفي هذه الفترة حصنت الأسوار من الجانب الشمالي المواجه للميناء.



لوحة لطرابلس من جهة الغرب تاريخها يرجع لما بين 1830- 1850م
من محفوظات المكتبة الوطنية النمساوية

يصف الرحالة الحشائشي أسوار مدينة اطرابلس1895م، بقوله: « وطرابلس محاطة بأسوار عالية تماما، وهذه الأسوار هي في حالة سيئة متداعية، كما هو الأمر في أي مدينة تركية ولها أربع بوابات، وفيها ستة حصون كبيرة، وأربعة صغيرة بالإضافة إلى برج المندريك وبرج

(1) - روسي .ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م. ص 375

القلعة، فإذا بدأنا بالشمال الشرقي، وجدنا باب البحر وبالقرب منه رصيف صغير ودائرة الجمارك وسوق السمك، وعلى هذا الباب تاريخ عربي هو1022هـ ويشير ذلك إلى أن هذا الباب كان قد شيد أو أعيد ترميمه قبل290 سنة تقريبا، ويتحدث عن حصن الباب الجديد فيقول: أنه مثمن ويقع وسط الناحية الغربية مشتملا على الباب الجديد ولابد أنه قد كانت هناك بوابة قد أعيد أنشاؤها في زمن ما إلى الغرب قليلا من موقعها الأول، لأن هنالك بالقرب من القلعة الشرقية بعض الآثار التي تدل على وجود بوابة في ذلك المكان في زمن من الأزمان، وبسور مدينة طرابلس كانت توجد عدة أبواب منها باب زناتة وعرف باسم باب زناتة لأنه يؤدي إلى مضارب قبائل زناتة وكذلك باب الستارة وعرف أيضا باسم باب عبدالله نظار للمقاومة الشديدة التي أبداها عبدالله بن الأغلب ضد أعدائه وهو يطابق باب المنشية الذي يؤدي إلى منطقة المنشية وباب هوارة وهو باب المنشية وسمى بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى قبائل هوارة، وباب البحر وهو الباب الذي يؤدي إلى الميناء ويقع بالقرب من مسجد سيدي عبد الوهاب الآن.



باب زناتة

أما الباب المعروف باسم الباب الجديد فقد أفتتح في سنة 1865م إذ تقدم الأهالي بطلب إلى والي طرابلس يطلبون فيه فتح باب من الناحية الغربية نظرا لأن باب زناتة قد أغلق في سنة 1248هـ في عهد علي باشا القرمانلي أثناء الحرب الأهلية وقد استجاب الوالي



باب زناتة وباب الجديد



برج المندريك

لطلب الأهالي وأمر بفتح الباب وعند محاولتهم إعادة فتح باب زناتة لم يتمكنوا من ذلك نظرا لصلابة المواد المستخدمة في غلقه ففتح باب جديد بالقرب منه وعرف باسم الباب الجديد. اما باب الحرية فقد أفتتح في سنة 1909م ويسمى بهذا الاسم نظراً لافتتاحه في الفترة التي تولت فيه جمعية الاتحاد والترقى الحكم في تركيا واستبشارا بعهد جديد من الحرية، وهناك باب يفتح على الشركة الكهرباء سابقا (فندق كورنثيا الآن) في الغرب وباب أخر صغير يؤدي إلى سوق الصناعات المحلية (دار البارود) استحدثا في عهد الاحتلال الإيطالي وقد عنى الإيطاليون بإقامتها على طراز الأبواب القديمة.

أهم حصون وأبراج مدينة اطرابلس:

- **قلعة طرابلس** أفردنا في هذا الكتاب لها بحثا خاصا.
- **دار البارود** أفردنا لها بحثا في هذا الكتاب.

- **برج المندريك**

يقع هذا البرج غرب ميناء طرابلس وقد بدء في تشييده على إحدى الجزر الصخرية التي تغلق فرضة المرسى من الجهة الشمالية أثناء فترة الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس 1510–1530م للدفاع عن مدخل المرفأ وحماية السفن الراسية فيما بين البرج و المدينة وكانت توقد به الأضواء ليلا لإرشاد السفن، وكان عثمان باشا قد حصن هذا البرج تحصيناً جيداً في سنة 1661م ثم عمل بالى داي وإبراهيم داي على وصل برج المندريك ببرج درغوت بواسطة سور منيع وحصن صغير فوق أحد المرتفعات التي كان بها بالماضي طاحون هوائي وضريح الولي.

- **برج التراب**

يقع برج التراب في شمال المدينة يوجد مكانه الآن خزان مياه القبة، شرع في بنائه درغوت باشا والي طرابلس سنة1553م–1565م، ويظهر أن هذا البرج قد تم تجديده في عهد أحمد راسم باشا قبيل شعبان1299هـ وينقل أحمد النائب عن جريدة طرابلس الغرب المؤرخة في 3 شعبان1299هـ ما نصه :–« قد تمت الآن بصورة حسنة إنشاءات الاستحكام الجسيم المسمى ببرج التراب الذي كنا ذكرنا في جريدتنا قرب تمام انشائه وتجهيزه وذلك بسعي وغيرة العساكر السلطانية، وانضمام ومعاونة الاهالي فعلا».



بــــرج بونيلة (برج الفرنسيس)



البــــرج الإســــباني

ويذكر النائب أن إنشاء الإستحكام المذكور على ثلاث طبقات في غاية المتانة والرصانة ووضعت المدافع اللازمة من مدافع كروب القلاعية الجسيمة في الجهتين اليمنى واليسرى وجهزت أطرافه بغيرها من المدافع الجديدة، أزال الإيطاليون برج التراب وبنو مكانه قبر الجندي المجهول (القبة) وفي نهاية خمسينات القرن العشرين هدم وبنى مكانه خزان مياه القبة.

- **حصن الطابية أو برج الشريف**

شيده محمد الشريف داي قرب سنة 1627م ويذكر الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية أن برج الشريف يقع شمال برج سيدي يعقوب وشرقي برج (أبوليلة) في مكان يقال له الفلفول وفي جواره من الغرب البئر الإسبانية (حفرة عميقة في البحر تسمى بهذا الاسم) وهو متصل بالبحر ولم يبق منه شيء.

- **برج الفرنسيس (الفرنساوي) أو برج (أبوليلة).**

أفردنا له بحثا خاصا في هذا الكتاب .

- **البرج الأحمر (البرج الإسباني).**

يقع بالقرب من باب البحر عند الطرف الأقصى الغربي من الميناء وقد ذكره حسن الفقيه حسن في يومياته، وذكر النائب أنه في أواسط محرم1282هـ (30 مايو1864م) أحترق مخزن البارود (الجبخانة) الكائن بالبرج الأحمر وطارت انقاضه وصخوره الهائلة في الجو بمن كان فيه من العساكر وعددهم نحو الثلاثمائة، ووقعت بعض الصخور على البيوت المجاورة له فهدمت أربعين بيتاً ومات نحو المائة نسمة.

- **برج المجزرة**

يقع في منتصف الطريق بين الميناء والقلعة مواجها للبحر، شيده عثمان باشا الساقزلي في سنة 1669م وقد جدد يوسف باشا بناءه سنة 1215هـ (1800-1801م) وسمى بهذا الاسم لوقوعه بجوار مجزرة المدينة. وهو يقابل سوق الحرير (مصرف ليبيا الآن) وعرف بالبرج بالجديد وتشير لوحة رخامية بها أبيات شعرية إلى ذلك:

إذا ما مررت ببرج جديد فقف داعيا لأمير البلاد

وقل له يوسف باشا نلت المنا وأهداك ربي سبيل الرشاد

تجددت سورا وعمرت دوراً تنال قصوراً بها في المعاد



بـــرج المجزرة 1912م.



بقاية برج فرارة 1914م

وقد هدم الإيطاليون وبنوا في موقعه صندوق التوفير الإيطالي (الآن مصرف ليبيا المركزي)

- **البرج الجديد**

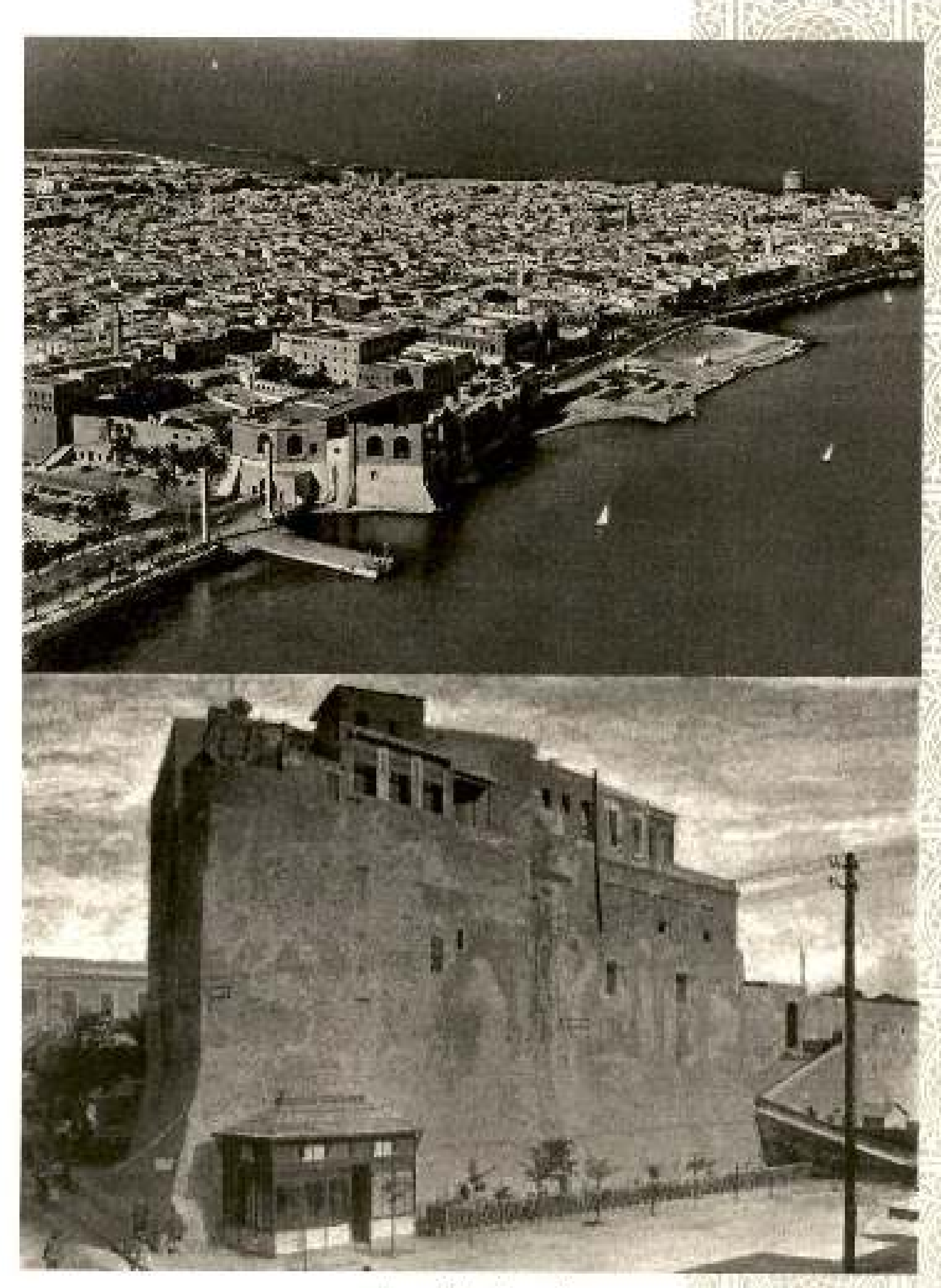
شيد هذا البرج في عهد يوسف باشا على يد رئيس الميناء مصطفى قرجي وقد بدئ العمل فيه في سنة1817م وأنتهى منه في مستهل 1820م وهو محاذٍ لبرج المندريك.

- **برج فرارة**

يقع بالقرب من برج المجزرة (المصرف المركزي الآن) ذكره حسن الفقيه حسن في يومياته وقد جدد في سنة 1299هـ وسمى (باحملى طابيه سي).

المراجع:

1. النائب،أحمد .المنهل العذب في تاريخ اطرابلس الغرب (اطرابلس مكتبة الفرجاني ج1)
2. روسي، ايتوري. ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة1911م .تعريب خليفة التليسي (بيروت دار الثقافة ط.الأولى1974م)
3. نجم ، محمد يوسف. وإحسان عباس. ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات (بنغازي .دار ليبيا 1968م).
4. بازامة ، محمد مصطفى. الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر (بنغازي .مكتبة قورينا)
5. التليسي ، خليفة محمد .حكاية مدينة (ليبيا-تونس- الدار العربية للكتاب).
6. برنيا ، كوستانزيو .اطرابلس من1510-1850م .ترجمة خليفة التليسي (طرابلس- دار الفرجاني-1968)
7. فيرو، شارل. الحوليات الليبية .ترجمة عبد الكريم الوافي(طرابلس- دار الفرجاني)
8. حسن. حسن الفقيه . اليوميات الليبية .تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر (طرابلس- منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ج1. 1984)
9. الزاوي. الطاهر أحمد- معجم البلدان الليبية (طرابلس مكتبة النور. الطبعة الأولى1968).



السراي الحمراء

قلعة اطرابلس (السراي الحمراء)*

من أهم معالم مدينة طرابلس ذلك البناء العتيق المربع الشكل تقريباً والذي يقع في الطرف الجنوبي الشرقي من مدينة طرابلس القديمة أي القلعة أو السراي الحمراء. و كلمة السراي كلمة فارسية استعملها الأتراك للدلالة على قصر الحاكم أو الوالي، أما وصفها بالحمراء فلا تذكر المصادر التاريخية سبباً لذلك، والتعليل المنطقي لذلك هو حمرة لون جدرانها إما لأنها كانت تترك دون طلاء فيظهر لونها يميل إلى الأحمرار لأنها بنيت بالتربة الرملية الحمراء وإن كان في بعض السنوات تجير بالأبيض كما ذكر بيري ريس في كتابه وعرفت باسم الحصار في العهد القرمانلي1711-1835م.

يعتقد بعض الباحثين أن أسس السراي الأولى ترجع إلى العهد الروماني حيث أن التحصينات القديمة وسور المدينة يرجع تأسيسها إلى تلك الفترة، فقد دلت الحفائر التي أجريت بأساساتها على أنها كانت مقرا لمبنى عام كبير، فقد تم اكتشاف قطع من الفسيفساء وآثار لجدران بعض الأساسات وأعمدة كورنثية ضخمة [1] كما يعتقد بأن البيزنطيين قد اهتموا ببناء التحصينات حول مدينة طرابلس وربما أدى هذا إلى العناية بالقلعة وتجديدها، وعقب فتح عمرو بن العاص طرابلس سنة 643م، أمر بهدم أسوارها وتحصيناتها خوفاً من عودة البيزنطيين وتحصنهم بها، خاصة وأنه اعتبر فتحه إياها تمهيداً لفتح لاحق، حتى يتم استقرار الإسلام بها بعد حين. وقد أهتم المسلمون فيما بعد بتحصينات طرابلس ويحتمل أنهم أجروا الكثير من الاصلاحات بها.

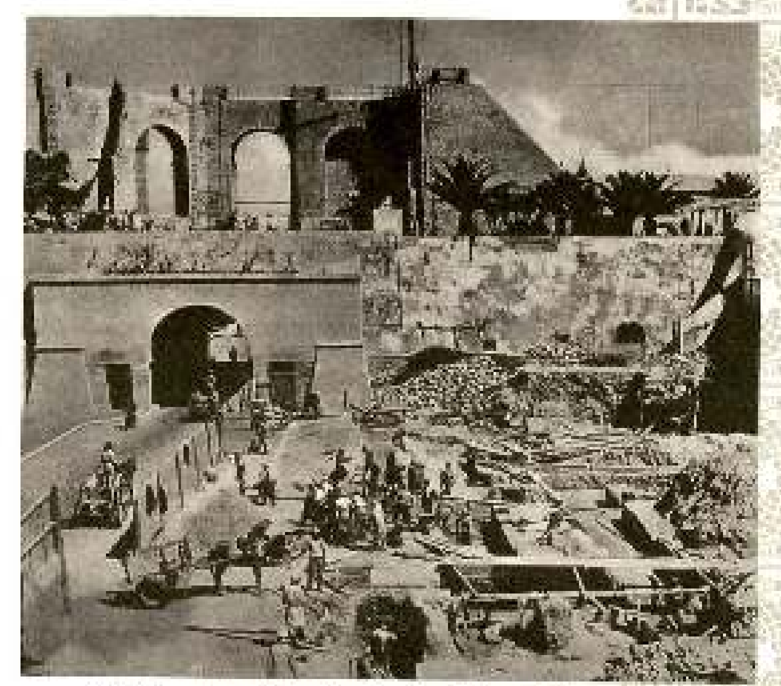
وصف الرحالة التجاني قلعة طرابلس في سنة 1307م بقوله: ((وتخلى والي البلد إذ ذلك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الخراب قد تمكن منها وقد باع الولاة أكثرها، فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن إنما استخرجت منها)). [2] إن بناء القلعة الحالي لم يحتفظ بشئ يتقدم تاريخه على العهد الإسباني أي أوائل القرن السادس عشر الميلادي فعند احتلال الإسبان لطرابلس 1510م. أهتموا بتحصينات القلعة فعمدوا إلى جمع الركام الناشئ عن الدمار الذي لحق بالمدينة

---

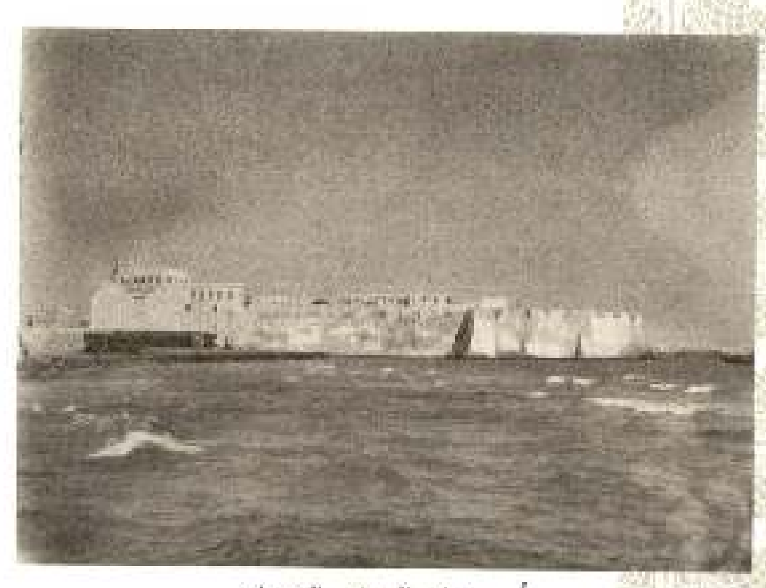
* نشر بمجلة تراث الشعب.العدد16، السنة 1985/5م.

(1) . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمود النمس . محمود أبو حامد، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي، منشورات مصلحة الآثار ، 1978م

(2) . التجاني ، رحلة التجاني ، ص 237



التجديدات في السراي الحمراء في فترة الاستعمار الإيطالي .



أســـوار السراي الحمراء

والخراب الذي أصاب السور وعملوا على تحصين القلعة بأسوار قوية ومدفعية ضخمة، وذلك خوفاً من الأسطول العثماني الذي يجوب البحر الأبيض المتوسط والذي يقوم بغارات ضد معاقل الإسبان وخوفاً من المقاومة التي نظمها الأهالي والتي اتخذت مدينة تاجوراء مركزاً لها، ويسود الإعتقاد بأنه في هذه الفترة تم إصلاح حائطي البرجين القائمين من جهة المدينة بمحاذاة التحصينات القوية لطرابلس من الجهتين الجنوبية والشرقية وقد أطلق الإسبان على البرج الذي يقع في الركن الشرقي (حيث يبدأ شارع الفتح حالياً) اسم القديس يعقوب وذلك تخليداً لذكرى اليوم الذي سقطت فيه مدينة طرابلس بأيديهم حيث صادف ذلك اليوم عيد القديس يعقوب(25 يوليو 1510م). والركن الآخر الذي يشبه مقدمة السفينة (الجزء المطل على شارع الاستقلال) فقد أطلق عليه اسم القديس جورج أما في الوسط حيث يوجد مدرج المدخل الذي يؤدي إلى القلعة (ميدان الشهداء) فقد سمى ساحة القديسة بربرا وحولت أجمل قاعات السراي إلى كنيسة سميت بكنيسة سميت بكنيسة ليونارد. [1]

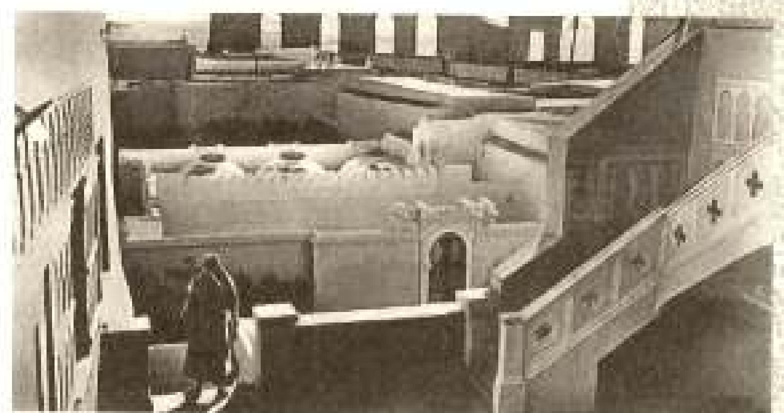
وقد ذكر ليون الأفريقي (الحسن بن محمد الوزان) في رحلته 1518م إلى طرابلس أن الإسبان قد حصنوا قصر الحكومة وجعلوا له أسواراً قوية وجهزوه بالمدافع. [2] أما البحار التركي بيري ريس الذي زار طرابلس قبيل الغزو الإسباني سنة 1510م فقد ذكر في كتابه عن البحرية والذي صدر في 1524م أنه لم يرى في ديار المغرب قلعة أجمل من قلعة طرابلس، إن كل برج فيها يرى وكأنه مصنوع من الشمع، خاصة وأن قلعة طرابلس هذه تبيض بالجير كل ستة أشهر فتظهر للناظر كالفضة الناصعة. ومما يذكر عن هذه القلعة أنه كثير ما يلجأ إليها الأهالي وقت الحروب والغزوات للإحتماء بها إذا ما بدأ الغزاة بضرب أسوار المدينة بالمدافع التي يحملونها فوق ظهور سفنهم الغازية حتى يتسارع أهالي طرابلس إلى أبواب وقلاع هذه السراي حيث يكونون في مأمن تام بداخلها طيلة فترة الغزو، وكانت هذه القلعة مستعدة لمثل هذه الحالات فكانت تضم كثيرا من المخابز والطواحين والحمامات وغيرها من أسباب الراحة والمعيشة.

أما البعثة الفنية التي أوفدتها منظمة فرسان مالطا سنة 1524م لطرابلس لوضع تقرير عن الحالة الإستراتيجية ووضعها العام فقد ذكرت في تقريرها أن القلعة تكاد تكون مربعة الشكل وذات برجين أو ركنين حادين يواجهان المدينة، وهي في حاجة إلى الترميم والإصلاح سواء فيما يتصل بالأساسات التي تآكلت بتأثير البحر أو بما يتصل بتلبيس الأسوار المكونة من

---

(1) . إيتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، ص 163

(2) . الوزان ، وصف أفريقيا ، ص 101



السراي الحمراء قبل سنة 1922م.



نفق السرايا الحمراء في عام 1962م.



دار سك العملة في السراي الحمراء

تربة رملية ويعتقد أنها لن تصمد للمدفعية العنيفة. [1]

اتخذت الحياة في القلعة شكل الحياة التي التزمها فرسان مالطا_ عقب تنازل الإسبان عن قلعة ومدينة طرابلس لهم في سنة 1530م وهو طابع يجمع بين الناحية العسكرية والدينية فكان المرشد الأكبر للمنظمة ينبه إلى وجوب العناية بحرس القلعة ويأمر بعدم السماح بدخول الأتراك والعرب واليهود إليها بإستثناء الذين يراجعون من أجل أمور هامة فيسمح لهم بالدخول على أن يتركوا أسلحتهم وخيولهم عند المدخل، وكان إهتمام الفرسان منصباً على القلعة والأسوار فأجروا بعض التحصينات بهما.

تعرضت مدينة طرابلس وقلعتها إلى حصار ضربه العثمانيون حولها ، فقصفوا أسوارها واستحكاماتها وركزوا القصف على ساحة القديسة بربرا لأنها أضعف الاستحكامات الموجودة بالقلعة، وفعلا تم فتح طرابلس، وأصبحت خاضعة للنفود العثماني منذ 14 أغسطس 1551م وعين مراد آغا والياً على طرابلس فاهتم بالناحية الدفاعية للمدينة والقلعة فقام بترميم القلعة وحول كنيستها إلى مسجد واهتم خلفاؤه من بعده بها.

ونجد وصفا موجزاً تركه ((نيكلو ماريا كاراتسيولوا)) في تقريره المقدم إلى حاكم صقلية سنة 1562م عقب أن أطلق درغوت سراحه من الأسر عن القلعة بأنها ضعيفة، أسوارها قديمة متهرئة، وأهم وصف داخلي للقلعة يعطيه لنا الجراح الفرنسي جيرارد الذي بقى أسيراً بمدينة طرابلس في الفترة ما بين 1668-1676م فيذكر أن القلعة تقع في الزاوية الشرقية للمدينة ويبلغ محيطها 500 خطوة، الجهة الشرقية منها تطل على البحر، والجهات الباقية محاطة بخندق عريض وعميق مربعة الشكل تكتنفها أبراج أربعة عالية. ويذكر أن القلعة متوفرة على صهريج وبها جسر قابل للرفع وبها باب واحد يقفل أثناء الليل، وتوجد نافورة أمام المدخل تقذف ماء استخرج بطريقة صناعية، وتأتي بعد ذلك السقيفة التي يقيم بها حرس الكيخيا، وإلى اليمين وبعد الباب الأول ممر طويل يجلس فيه محمد وعثمان باشا على نوع من كراسي العرش لمقابلة رسل السلطان، وقد قام بالي داي بإتلاف هذا العرش بناء على نصيحة خليل باشا. ثم يمر الداخل بأبواب أخرى وبعد الباب الرابع يدخل المرء بلاطاً يدعى الميدان حيث يقضي رئيس الدولة الطرابلسية أغلب الوقت في تصريف شئون الحكم، وبها مقعد ملاصق للجدران يستخدم كرسياً للعرش، وخلفه نوافذ ذات قضبان متشابكة يصدر الوالي تعليماته من خلالها إلى الكتبة الذين يجلسون عند الممشى الذي يقع خلفها

(1) . خليفة محمد التليسي ، حكاية مدينة ، ليبيا . تونس : الدار العربية للكتاب ، 1974م ، ص 66








صور للمسطحات الخضراء الداخلية لقلعة السراي الحمراء

وإلى يسار الميدان يوجد مسجد القلعة الذي كان كنيسة في عهد فرسان مالطا. أما بقية القلعة فهي مساكن ومخازن وأفران ومطاحن، والأسوار مزودة بأربعين مدفعاً، وثمة باب وهو يؤدي من القلعة إلى البحر.» [1]

لقد كانت السراي أشبه بمدينة داخل مدينة فقد كان بها دكان فيه عقاقير وبها سجون قائمة ينفذون فيها حتى أحكام الإعدام وفيها حمام صغير (سجن) يقفلون داخله على المسيحيين الأرقاء الذين في خدمة الباشا وضباطه وفي السراي الخزينة وكان الباشاوات يسكون النقود من الذهب والفضة والنحاس ويصهرون المدافع القديمة ويعمل فيها عمال من اليهود، اثناء العهد القرمانلي 1711 – 1835 م أنشئت العديد من المباني الجديدة داخل السراي لسكني عائلة الباشاوات وقد اعتنوا بزخرفتها وهي تشبه مساكن مدينة طرابلس القديمة من حيث التصميم والزخرفة.

وتصف الآنسة توللى القلعة في كتابها عشر أعوام في بلاط طرابلس (1783- 1793م) قلعة طرابلس بقولها:((القلعة محاطة بسور يبلغ ارتفاعه 40 قدماً، فيه عدد من الشرفات المبنية على أسوار السور والمنفصلة بعضها عن بعض وعدد من الكوات لفوهات المدافع في الأبراج)) وتذكر أن معالمها المعمارية تغيرت من الداخل نتيجة للإضافات الشاذة التي قام بها الباشا الحاضر لتضم الفروع المتعددة من أسرته ... [2]وفي عهد العثماني الثاني 1835- 1911 م يظهر أن إهتمام الولاة قد تركز بتقوية أسوار القلعة وأهملت من الداخل حتى اصبحت في حالة يرثى لها . ويصفها كاتب فرنسي في سنة 1855 م فيقول: ((إنها كانت في خراب فظيع لمن يراها ومن يسكنها ولا يمكن أن ترتقي درجة إلا وتشعر بخطر دق عنقك، ولا يمكن أن تمر بصالة إلا أن تشعر بخطر سقوط السقف عليك أو أن تهوى في هاوية سحيقة لا قرار لها)).

وعندما استعمر الإيطاليون البلاد سنة 1911م أجروا عدة تغييرات في الشكل العام للقلعة. وهنا نترك المجال لأحدهم ليحدثنا عما فعلوا فيقول : ((أجرينا أثناء الحرب العظمى الأولى بعض التعديلات والترميمات، وهذه غير مقصودة بها صالح القلعة من الناحية الأثرية بل صالحنا نحن فقط، حيث أقفلت أبواب ونوافذ وفتحت أخرى حسب المصلحة، وفي هذه الفترة ضاع كثير من الزخرفة الموجودة بالقلعة، وحلت محلها زخارف عصرية قبيحة ، وقد وضع

---

(1) . إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي، ص 240

(2) . الأنسة توللي، عشرة أعوام في طرابلس، ترجمة عبد الجليل طاهر، بنغازي : دار ليبيا للنشر، 1967م ، ص 103



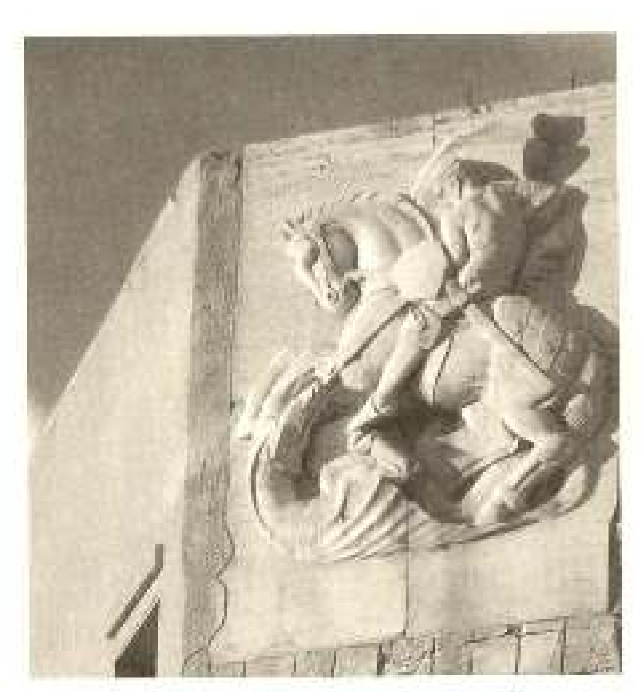





صور للأسوار وبعض الساحات الداخلية لقلعة السراي الحمراء

المهندس ارمانتو براسيني سنة 1922م مواجهات برج القديس جورج ، والأقواس الموجودة على أنقاض برج القديس جاكمو، وقد استوحى المهندس المذكور فكرة الاقواس الموجودة فوق برج القديس جاكمو من أقواس فاليتا بمالطا، كما أضاف الإيطاليون بعض المباني واستخدموها كمكاتب للحكومة والوالي وفتح النفق الذي يشق السراى وجلبت النافورات من بعض منازل المدينة القديمة ووضعت في أماكن مختلفة من السراى .

ومبنى السراي يستعمل الآن كمقر لمصلحة الاثار ويوجد بها متحف افتتح سنة 1987م يحكي الفترات التاريخية التي مرت بليبيا وتعرض به مجموعة من المقتنيات الأثرية كالتماثيل ولوحات الفسيفساء والمسكوكات ومقتنيات وصور تعود لفترة الجهاد إضافة إلى قاعات للتاريخ الطبيعي .



نحت للقديس سان جورج وهو يقوم بقتل التنين

المراجع

1. التجاني. رحلة التجاني. تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب تونس المطبعة الرسمية 1958م.
2. ابن غلبون . كتاب التذكار طرابلس مكتبة النور الطبعة الثانية 1967.
3. النائب الأنصاري . المنهل العذب في تاريخ اطرابلس الغرب : مكتبة الفرجاني.
4. روسي، ايتوري ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ترجمة خليفة التليسي، بيروت : دار الثقافة الطبعة الأولى 1974م.
5. برنيا، كوستانزيو، اطرابلس من 1510م إلى 1850م ترجمة خليفة التليسي : اطرابلس : دار الفرجاني ، الطبعة الأولى 1969م.
6. عريب ، محمد الطاهر، وثائق السراي الحمراء ، منشورات مصلحة الأثار 1977م.
7. أبو حامد محمود، محمود النمسي ، مدينة اطرابلس ، منشورات مصلحة الاثار 1978م.
8. التليسي، خليفة حكايات مدينة، ليبيا تونس : الدار العربية للكتاب د.ت .
9. الأنسة توللي ، عشرة أعوام في اطرابلس ، ترجمة عبدالجليل طاهر، بنغازي: دار ليبيا للنشر،1967م.





رسم لميناء ومدينة طرابلس يعود لسنة 1645م

دار البارود

تعود نشأة طرابلس إلى الفينيقيين كمركز تجاري عرف باسم أويا/ ويات W Y T وتطور إلى مدينة على الأرجح في القرن السادس ق . م ، وهناك عدداً من خيوط الأدلة تشير إلى أن أويا كانت خلال معظم تاريخها المدينة الثانية في المنطقة بعد لبدة ، وأنها في الفترة البيزنطية ربما انتزعت المقام الأول من العاصمة (لبدة) التي انحدرت مكانتها، لقد اختار العرب طرابلس كعاصمة لهم في المنطقة ولا تزال كذلك حتى الوقت الحاضر.

إن السر المزدوج لنجاح طرابلس في جميع الأوقات يمكن في وجود ما يمكن اعتباره أفضل المرافئ الطبيعية في شمال أفريقيا ، وفي الواحة المجاورة لها ... فبدون تطور الواحة كان سيبقى استخدام المرفأ ثانويا وبدون المرفأ ربما ظلت الواحة نسبياً غير ذات أهمية.»[1]

إن استمرار الحياة في مدينة طرابلس جعل منها أهم المدن الممتدة ما بين قرطاج والإسكندرية ، فهي ظلت أهله عامرة ويعود ذلك بفعل موقعها الجغرافي ومرفأها الذي حمته مجموعة من الجزر الناتية في البحر من العواصف والرياح الغربية والشمالية الغربية مما جعله حلقة وصل بين أوروبا وأفريقيا عبر البحر المتوسط ، كما استفادت من ظهيرها المحيط بها مما أمدها بالغذاء ، واستمرت المدينة تؤدي دورها الحضاري والاقتصادي بعد الفتح الإسلامي لها في سنة 22هـ/ 643م .

ارتبط تاريخ طرابلس بأحداث البحر المتوسط فتأثرت بها وأثرت فيها فمعظم الغزوات التي طالت المدينة أتت من البحر، وتبعا لذلك فإن أحداث القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر الميلاديين أدخلتها ضمن الصراع الإسلامي المسيحي، فقد تميز منتصف القرن الخامس عشر بإستيلاء محمد الفاتح السلطان العثماني على القسطنطينية 1453م وتميزت نهايته بإستيلاء الاسبان على أخر معاقل المسلمين في الأندلس وهو غرناطة 1492م في حين كانت بداية القرن السادس عشر تشهد امتداد الإسبان في مدن شمال أفريقية الذي دفعت إليه أسباب سياسية واقتصادية ودينية فاحتل الإسبان المرسى الكبير في 1505م ، ووهران 1509م وكذلك بجاية ووقع سلطان تونس اتفاقية أعلن بموجبها تبعيته للملك الكاثوليكي الإسباني واستكمالا لذلك احتل الإسبان اطرابلس في 25 يوليو1510م .

---

(1) . د . ج . ما تينغلي ، منطقة طرابلس في العهد الروماني ، ترجمة محمد الطاهر الجراري ، محمد عبد الهادي حيدر ، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، ليبيا ، 2009م ، ص 310 .

إن تحصينات المدينة قد أصابها الدمار نتيجة الهجوم الإسباني عليها ، ولم يهتموا إلا بتدعيم القلعة فقد أشار الوفد الذي أرسلته منظمة فرسان القديس يوحنا إلى طرابلس في سنة 1524م لتقديم تقرير عن أوضاع القلعة والسور والميناء فقد جاء فيه : « أن المدينة تقع في مكان صحي ، ويحيط البحر بثلثي مساحتها ، أما الثلث الباقي فيحيط به سور دائري طوله 3728 خطوة ، وأن ثمة مسافة من السور تبلغ مساحتها مئتي خطوة ، قد لحقها الدمار بقصد الاستفادة من موادها في تدعيم تحصينات القلعة، أما الأسوار فيبلغ ارتفاعها قصبتين ونصفا، وهي مهددة في أكثر من موضع بالانهيار والخراب ....»[1] وحتى لا تفقد المنظمة جزيرة مالطا وقوزو فقد اضطرت لقبول شرط الملك شارل الخامس الدفاع عن طرابلس وقلعتها ليتخلص من عبء الدفاع عن طرابلس ويتفرغ لمشاكله في أوروبا وقد علق مؤرخ أوربي عن ذلك أن طرابلس قدمت هدية مسممة للمسحيين، ووقع شارل الخامس وثيقة التنازل عن طرابلس للمنظمة في 24 مارس 1530م وبذلك انتهي حكم الإسبان لطرابلس الذي امتد لمدة عشرين عاماً كان نفوذهم لا يتعدى أسوار المدينة باستثناء حالات قليلة يقومون فيها بحملات على الضواحي .[2]

اهتم حكام طرابلس (الفرسان) الجدد بتدعيم القلعة والتحصينات ولتوفير نفقات ذلك أجبروا أهالي القرى الواقعة على الساحل الغربي مثل جنزور والماية وزواغة تدفع خلال الأعوام الأولى للاحتلال لضريبة بطريقة غير منتظمة [3] ورغم ما بذله فرسان مالطا من مجهودات للاحتفاظ بطرابلس بتدعيم القلعة والأسوار فإن الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا ودرغوت تمكن من الدخول إلى المدينة في 15 أغسطس 1551م .عين مراد آغا واليا على طرابلس 1551 - 1553م واهتم بتحصين القلعة وترميم الأسوار وخلفه درغوت باشا الذي حكم الولاية بين سنتي 1553-1565م فاهتم بإصلاح مرافق البلاد وفي مقدمتها الأسطول والجيش، تمتعت طرابلس في أيامه بالأمن الكامل، وانتعشت فيها الحياة من جميع مرافقها، وبذل درغوت في تعميرها ما أمكنه من جهد وفي التقدم بها ما وسعته قدرته. » [4]

---

(1) . إتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، ترجمة خليفة التليسي ، دار الثقافة ، بيروت 1974م ، ص 159

(2) . لمزيد من التفاصيل انظر « كوستانزيو برينا ، طرابلس من 1510 إلى 1850 ، ص 41

(3) . إتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، ص 163

(4) . الطاهر أحمد الزاوي ، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ، منشورات دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ومحمد الرماح بشينه ، ليبيا ، الطبعة الأولي 1970م ، ص 157

ومن أهم انجازاته المعمارية إنشاء جامعه بمدينة طرابلس وهو أول جامع عثماني داخل أسوار المدينة وبني قصره بها وبني برج التراب ودار البارود .

دار البارود

تقع دار البارود إلى الجنوب من السراي الحمراء (قلعة طرابلس) ويطل جدارها الجنوبي على ميدان الشهداء الآن بينما يقابل جدارها الشرقي قلعة طرابلس في حين يسيطر جزءها الغربي على المنطقة المواجهة للسور الجنوبي للمدينة الممتد بينها وبين باب الحرية الآن. يتم الدخول إلى دار البارود بعد الولوج من باب هوارة (مدخل سوق المشير الآن) حيث يوجد مدخلها على يسار الداخل ، ولها باب صغير أخر لعله مستحدث في فترة الاستعمار الإيطالي يفتح خلف مقر الولاية (وزارة الداخلية الآن) .

يشير كوستاتريو برنيا أن الذي بدأ في إنشائها درغوت باشا الذي حكم طرابلس من 1553م - 1565م وقد أكمل خليفته [*1] أولوج (علج) علي بناءها .»[2] وكان من أعوان درغوت وكان يعرف بعلج علي وبرز في معركة لبانتو ونال حظوة كبيرة لدى السلطان وغير اسمه من علج علي إلى قلج (Qili) ومعناه السيف وهو الاسم الذي اشتهر به لدى الأتراك .»

[3] يشير إتوري روسي أن علج علي بني البرج المربع للدفاع عن السور المجاور لباب المنشية وكان قد عد في الأساس ليكون مخزناً للبارود، ومن هنا جاءت التسمية (دار البارود) وقد كشفت الترميمات الأخيرة عن الوضع الهندسي الداخلي لهذا الحصن ، وتذكر إحدى الشواهد التاريخية بتاريخ 975هـ (1568/7م) أنه شيد من قبل علي باشا»[4]

ومن المرجح إن درغوت باشا هو الذي شرع في بناء دار البارود فلا شك أنه وضع في مقدمة مخططه تلافي العيوب التي ظهرت في تحصينات المدينة من خلال الهجمات التي تمت عليها خلال أربعين سنة منذ الغزو الإسباني، وعن استعادتها من فرسان مالطا

---

(1) * . يشير شارل فيرو في كتابه الحوليات الليبية أن السلطان العثماني أرسل واليا يدعى يحي ليخلف درغوت إلا أنه لم يمكث طويلاً ثم تولى قلج علي وأصله من كالابريا في إيطاليا وقد استسلم في طفولته ... وكان مصاب بمرض القرع ، ولذا فإن الأتراك لقبوه باسم الفرطاس " ، لمزيد من التفاصيل ينظر : شارل فيرو الحوليات الليبية منذ الفتح العربي للغزو الإيطالي ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس ، الطبعة الثانية 1983م ، ص 149

(2) . كوستاتريو برينا ، طرابلس من 1510 إلى 1850م ، ترجمة خليفة التليسي ، دار الفرجاني في النشر ، طرابلس ، 1969م ، ص 26

(3) . إتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، ترجمة خليفة التليسي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1974م ، ص 197

(4).. المرجع السابق نفس الصفحة



دار البارود في فترة الاستعمار الإيطالي



صورة لباب الخندق وباب سوق المشير وجزء من دار البارود بعد سنة 1924م

بالإضافة إلى الأسلوب المناسب للتحصينات لعصر المدافع الذي يتطلب أسوار أو حصونا مدعمة تقاوم قنابل المدافع ولا تتأثر بها ، وأيضا تتحمل ردود المدافع الموجودة عليها وتتوفر بها الذخيرة اللازمة لها .» [1]

يبدو من ملامح دار البارود الخارجية ومن ارتفاع أسوارها وتجهيزها بفتحات خاصة بالمدافع تواجه الجنوب والغرب وجزء من الشرق أنها شيدت لتكون استحكاماً متقدما يسيطر على ناحية البر ، ويبدو أن المنطقة التي شيدت فيها كانت أضعف النقاط في أسوار المدينة خاصة بعد الدمار الذي أصابها أثناء قصف الأسطول الإسباني كما استعمل الإسبان الركام الناشئ عن القصف في تدعيم القلعة وبذلك فإن بناءها قد عالج نقصا بين القلعة والسور الجنوبي وسد ثغرة استفاد منها الأعداء .

من مزايا مخطط درغوت لدار البارود أن مساحتها لم تقطع من مساحة المدينة ويزاحم بها مدخلها بل بناها خارج الأسوار ، حيث برزت في شكل مستطيل من باب هوارة (المنشية) في اتجاه الجنوب وبطول متوسط حوالي (65 م) وعرض حوالي (45 م) بل امتدت على أسوار المدينة من طرفها الجنوبي وأحاطتها بأسوار من الشرق والجنوب والغرب وبهذا تم لدرغوت الحصول على أكثر من غرض في إنشاء دار صناعة البارود ومخزن له في موقع مناسب جدا بالنسبة للقلعة وأسوار المدينة وإنشاء حصن لحماية باب المنشية. [2]

جمعت دار البارود إذن بين الغرض الدفاعي كحصن متقدم ومخزنا في مساحته الداخلية لخزن البارود فغلبت عليه تسمية دار البارود .ومن المعلوم أن استعمال البارود كمادة حربية بدأ منذ منتصف القرن الخامس عشر ويستعمل في البنادق والمدافع القديمة وشاع استعماله فيما بعد وكانت مملكة برنو فيما وراء الصحراء الكبرى تسعى إلى الحصول على الأسلحة وقد ارتبط حاكمها بعلاقة صداقة وتجارة مع درغوت وكانت الأسلحة النارية مرغوبة كثيراً من قبل برنو، ولكن درغوت كان متحفظا جدا في أعطاها وإن زودها ببعض البنادق ورجالا خبراء في استعمالها . [3]

---

(1) . علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس 1993م ، ص 220

(2) . المرجع السابق، ص . ص 220 . 221

(3) . لمزيد من التفاصيل ينظر : جان كلود زليتنر، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500 . 1795م ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة . ليبيا، 2001م، ص . ص . 184 . 185



صورة لجزء من دار البارود تعود إلى نهاية العهد العثماني الثاني



صورة لدار البارود تعود لفترة الستينيات من القرن العشرين

لا تشير المصادر إلى الاستعمالات التي شهدتها دار البارود في الفترات التاريخية التالية وإن استمرت الوظيفة الدفاعية وترد إشارة عند روسي أن محمد باشا الإمام (شايب العين 1687-1701م) عندما أصبح دايا لطرابلس بفضل مبايعة حسين كابودان كلايجي الذي كان مسيطراً على الحكم والسلطة رغم وجود الداى تخلص من حسين ورفيقين له وقطعت رؤوسهم وعرضت بأعلى دار البارود [1] وأن الدار ظلت تؤدي وظيفتها كحصن دفاعي ولا ندري متى توقف استعمالها كمخزن للبارود. لم يرد ذكر لدار البارود وإن تشير بعض التقارير التي كتبت في سنة 1201هـ / فترة حكم علي باشا القرمانلي (1754-1793م) أن « أسوار المدينة انهارت كلها، والحصون آخذة في التداعي وليست طرابلس الآن سوى صحراء موحشة.»[2] إلا أن المدينة شهدت في عهد يوسف باشا (1795 . 1832م) خاصة في الفترة المبكرة من حكمه تشييد الكثير« من المباني في المدينة كما بدأ بإصلاح الأسوار مبتدئا بالسور المواجه للبحر الذي نصب عليه سبعين مدفعا معظمها من البرونز»[3] ويبدو أن دار البارود تم ترميمها وصيانتها في عهده وقد أشار إليها حسن الفقيه حسن في يومياته المتعلقة بالفترة 1832 . 1835م في العديد من المرات وأشار أنها كانت تطلق المدافع على الثوار في منطقة المنشية خلال الحرب الأهلية.

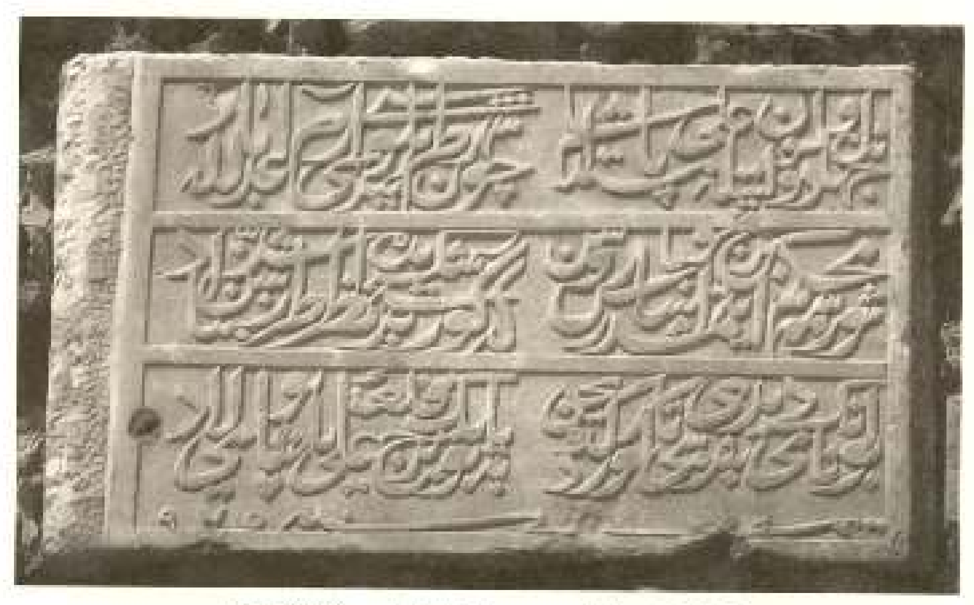
استعملت دار البارود « كثكنة للجنود الأتراك في العهد العثماني تم رممت واستعملت مركزاً لرجال الدرك الإيطالي، [4] في فترة الاحتلال الإيطالي ، ويشير تقرير بلدية طرابلس عن سنة 1935 والمطبوع في سنة 1936م ورد في كتاب بلدية طرابلس في مائة عام معلومات عن التطورات التي حدثت في دار البارود فقد جاء في التقرير أن من « بين المشاريع العامة التي دشنت في طرابلس يوم 28 أكتوبر سنة 1935 ذلك بلا شك هو مشروع حي الصناعات التقليدية بسوق المشير الذي فكر فيه الحاكم العام (لليبيا) المرشال بالبو وقام بوضع تصميمه المهندس المعماري دي فاوستو ونفذه مكتب البلدية وقد احتوى السوق على نافورة رخامية وفسقية تتوسط ساحته الوسطى المحاطة بأربعة أروقة ومجموعة من الدكاكين للصناعات التقليدية المحلية ومدرستين إحداهما لصناعة الفخار والأخرى بتخريج الصاغة

(1) . لمزيد من التفاصيل ينظر : إتوري روسي ، ص 259
(2) . صلاح أحمد البهنسي ، دار الآفاق العربية : القاهرة 2004م ، ص 103
(3) . ردولفو ميكاكي ، طرابلس تحت حكم أسرة القرمانلي ، نقله إلى العربية طه فوزي ، منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة 1961م ، ص 134
(4) . بلدية طرابلس ، كتاب بلدية طرابلس في مائة عام ، منشورات بلدية طرابلس 1970م ، ص 316


قسقية دار البارود بعد توظيفها كسوق للصناعات المحلية


صورة لجزء من دار البارود تعود لبداية السبعينيات من القرن العشرين

ويديرهما معلمان إيطاليان من المتخصصين وضم أيضا مقهى وملهى ليلي حُوّل مؤخراً إلى مسرح للطفل ويصف التقرير طابع وملامح وما تخلل السوق من القباب والأعمدة والنافورات، وبعض الأعمدة من آثار بيزنطية جيء بها من صبراتة . [1] وقد شغل السوق بعد الاستقلال حرفيون ليبيون في الصناعات التقليدية المختلفة ويبيعون إنتاجهم به وفي الأونة الأخيرة اكتفى بأن يكون سوقاً سياحيا يعرض مختلف الصناعات التقليدية المحلية وبعض الصناعات المستوردة من الخارج .



نقيشة دار البارود بمدينة اطرابلس (1567م)

---

(1) لمزيد من المعلومات الواردة في تقرير البلدية ، ينظر بلدية طرابلس في مئة عام ، ص ، ص ، 316 ، 318 .



بـرج بـولـيـلـة



بـرج بـولـيـلـة فترة ردم البحر

برج بوليلة*

ارتبط تأسيس مدينة طرابلس بالبحر ، فمنذ الألف الأولى قبل الميلاد ترددت سفن التجار الكنعانيين (الفينيقيين) على الساحل الليبي وأسسوا في الغرب ثلاثة مراكز تجارية (لبدة آويا، اطرابلس، صبراتة). وقد نمت هذه المراكز حتى غدت مدناً مزدهرة أدت دوراً مهماً في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط. ويلاحظ أن معظم الغزوات التي شنت على مدينة اطرابلس كان مصدرها البحر، لذلك تأثرت بأحداث هذا البحر وأثرت فيها، وجاب بحارتها بأساطيلهم البحر المتوسط، وكانت لهم سطوة وذاع صيتهم في معظم موانيه.

تميزت بداية القرن السابع عشر الميلادي بعقد سلسلة من المعاهدات بين دول الشمال الأفريقي وبين بعض الدول الأوروبية، وانتزعت كل من فرنسا وإنجلترا الأسبقية في ذلك، وترد أولى الإشارات إلى وجود قنصل أو وكيل قنصل لفرنسا بطرابلس في العشر الأوائل من القرن السابع عشر. وإن كان ذلك بشكل منقطع، وفي سنة 1630م أرسل الملك لويس الثالث عشر (برينقير) Berenguir إلى اطرابلس فعمل على تحرير الأسرى من مواطنيه وترك قنصلاً لفرنسا هو دو مولان ((Du Molin[1] وتجدر الإشارة هنا إلى أن (العلاقات المنتظمة بين فرنسا واطرابلس، لم تبدأ إلا في سنة 1680).[2]

شهدت العلاقات الليبية الفرنسية تدهوراً في كثير من الأوقات، وكان للصراع والجهاد البحري – وهو ما عرف بحرب القرصنة البحرية – في حوض البحر الأبيض المتوسط الأثر الكبير في ذلك، إذ اعتادت السفن الطرابلسية مهاجمة السفن الفرنسية والاستيلاء عليها وأسر من فيها واستغلالهم في أعمال التجديف على الظهر السفن الطرابلسية أو سجنهم في حمامات الأسرى (السجون) في انتظار الإفراج عنهم مقابل فدية وكان ذلك من طبيعة تلك الفترة التاريخية، ازداد نشاط البحرية بطرابلس في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وهي الفترة التي انشغلت القوى المسيحية بالحرب التي كانت تدور رحاها بين الأتراك والبنادقة (1645-1669م) في جزيرة كريت.

* نشر بمجلة البحوث التاريخية.العدد2،يوليو 2003م. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

(1) . اتوري روسي. ليبيا منذ الفتح العربي الإسلامي حتى سنة 1911م. ترجمة خليفة التليسي بيروت: دار الثقافة الطبعة الأولى 1974م .ص253.

(2) . المرجع السابق نفس الصفحة

استغل البحارة الطرابلسيون الأحداث لزيادة نشاطهم البحري وازداد حماسهم في مطاردة السفن الأوروبية، وأسر من فيها حتى أنه في سنة 1669م بلغ عدد الأسرى المسيحيين بطرابلس 1559 أسيراً.

نظراً لخطورة النشاط البحري الطرابلسي في تلك الفترة على رعايا ومصالح الدول الأوروبية بدأت الأساطيل الأوروبية بالتحرش بالأسطول الطرابلسي في حوض البحر الأبيض المتوسط، بل استهدفت مدينة اطرابلس وميناءها، ونتيجة لهذا النشاط الأوروبي تقلص عدد الأسرى المسيحيين حتى بلغ حوالي ثمانمائة أسير فرنسي في سنة 1677م ، إضافة إلى أعداد من بعض الجنسيات الأوروبية الاخرى.

اضطر ولاة اطرابلس إلى الاهتمام بالأسطول البحري وتدعيم الأبراج والحصون الدفاعية البحرية[1] أمام التهديدات البحرية الخارجية. في سنة1681م. عقدت معاهدة بين والي اطرابلس والفرنسيين لعدم الاعتداء على سفن الجانبين، إلا أنه « سرعان ما عادت العلاقات العدائية مما أدى إلى أن تبدأ فرنسا سلسلة من حملاتها البحرية على اطرابلس التي تنتهي أحياناً بالخيبة وأحياناً بفرض معاهدة صلح . «[2] ومن تلك الحملات قيام أسطول فرنسي بقيادة المرشال دي استري بقصف اطرابلس سنة 1685م. كان له الأثر الكبير في تدمير العدد من المباني والمنشآت في المدينة ، وقد تمكن دي استري من نصب بعض المدافع على نتوء صخري في البحر (جزيرة صخرية صغيرة قبالة برج التراب يقع في المنطقة التي شغلها خزان المياه بوسعاية البولاقي الآن) وعرف ذلك النتوء منذ ذلك الوقت (بصخرة الفرنسيين) وعقدت أثر ذلك معاهدة بين الطرفين إلا أنها لم تستمر طويلاً، فشن الأسطول الفرنسي « حملة أخرى عام 1692م فشل أثرها في فرض صلح جديد ولكن أبرم الصلح في العام الموالي نتيجة تدخل الدولة العثمانية ونتيجة تبين فرنسا عدم جدوى سياسة القوة[3] ثم عقدت معاهدة صداقة بين اطرابلس وفرنسا في سنة 1699م. وشهدت العلاقات الليبية الفرنسية فترة من الهدوء امتدت حتى نهاية العهد العثماني الأول (1711م).

اتسمت سنة 1711م. باستيلاء أحمد القرمانلي على الحكم في اطرابلس، وأسس عهداً

---

(1) . ينظر : سعيد علي حامد تحصينات مدينة اطرابلس . مجلة تراث الشعب وزارة الأعلام والثقافة. س5.ع- 15 - 1985م

(2) . بول ماساي. الوضع الدولي لطرابلس الغرب . ترجمة د. محمد العلاقي. اطرابلس . منشورات مركز الجهاد الليبيين 1991 م. ص11

(3) . المرجع السابق . ص.11.12

توارثته أسرته حتى سنة 1835م. فحرص عند توليه أمور اطرابلس على استقرار الأوضاع بها، فقضى على الإنكشارية، وعمل على فرض هيبته بالدواخل واهتم بتحصين مدينة اطرابلس ، وفي إطار علاقة أحمد باشا القرمانلي بفرنسا فقد جددت معاهدة 1699م في سنة 1711م بمناسبة توليه الحكم وقدوم قنصل فرنسي جديد إلى اطرابلس، إلا ان هذه العلاقات قد تأثرت في العديد من السنوات بين سنتي 1711 - 1727م.

إنشاء برج بوليلة :

أمام التهديدات البحرية الفرنسية لإيالة اطرابلس، قام أحمد باشا القرمانلي بالاستعداد للدفاع عن المدينة « فانصرف بجد إلى تحصين وتجديد وإنشاء الوسائل الدفاعية، وبدأ بتجديد أسوار المدينة وتقويتها وقام بإصلاح برج المندريك [1] وشرع أيضاً في إنشاء برجد جديد فوق صخرة بحرية تقع أمام السور الشمالي للمدينة وتحت برج التراب وهو الحصن المعروف باسم أبي ليلي (أو برج الفرنسيس). [2]



بـرج بـولـيـلـة في بداية فترة الاحتلال الإيطالي

---

(1) المندريك (كلمة تركية مندرك) اصطلاح بحري بمعنى رصيف أو ميناء صناعي وبرج المندريك شيد في مكانه منار (فنار) ميناء اطرابلس البحري في سنة 1927م وقد تهدم تلك المنار أثناء الحرب العالمية ثم أنشئ مكانه المنار الحالي في بداية السبعينات من القرن العشرين

(2) . خليفة التليسي . حكاية مدينة اطرابلس . تونس : الدار العربية للكتاب، 1974م ص 104

وقد ذكر هذا البرج المؤرخ حسن الفقيه حسن في يومياته نقلاً عما وجده مقيداً في دفتر لاغه إسماعيل الأزمرلي ونصه « الحمد الله بني المعظم بالله سيدي أحمد باشا قرمانلي البرج الذي يلي المدينة غربها من ياله البحر سنة ألف ومائة وأربعين – 1140م .[1] وقد بخل لاغه إسماعيل الازمرلي علينا في تدوين التاريخ بدقة، إذ لم يشر إلى اليوم أو الشهر إلا أن نصّه لا تعوزه الدقة وأكدته خريطة عسكرية لتحصينات مدينة اطرابلس نشرها ميكاكي في مقال له، [2] أوضحت أن هذا البرج كان موجوداً عندما رسمت تلك الخريطة في سنة 1728م وكان يعرف باسم البرج الجديد نظراً لأنه أحدث الأبراج المشيدة في تلك الفترة وعرف فيما بعد باسم برج الفرنسيس أو البرج الفرنساوي نظراً لأن الأسطول الفرنسي الذي كان بقيادة دي استري، والذي قصف مدينة اطرابلس في سنة 1685م، كان قد نصب بعض مدافعه على الصخرة التي شيد عليها البرج فيما بعد.

أما تسميته برج بوليلة فيبدو أن هذا الأسم أحدث من الاسمين السابقين. وتذهب الروايات الشفوية إلى أن سبب إطلاق اسم بوليلة عليه يعود لتشييده في ليلة واحد إلا أننا نستبعد ذلك نظراً لضخامته، وصعوبة أعمال تدشين المواد لأنه شيد بداخل البحر. ولم أتمكن من الوصول إلى تعليل مقبول لسبب إطلاق بوليلة عليه.[3] ويمكن القول أن سبب هذه التسمية يعود لتناوب محلات المدينة الحراسة به ليلاً فعرف ببرج بوليلة .

تصمت المصادر التاريخية عن الدور الذي أداه هذا البرج، ولا تسعفنا بأي معلومات توضح دوره سواء بعد إنشائه أو في الفترات اللاحقة، ولا يستبعد أن كان له دور مهم في الدفاع عن مدينة اطرابلس بعد إنشائه مباشرة، إذ تعرضت المدينة في سنة 1728م لهجوم الأسطول الفرنسي وتم تدمير أكثر من ثلث المدينة التي ألقي عليها ما يزيد على 1800 قنبلة.. وإذا كانت الضحايا في الأرواح قليلة، فإن الخسائر والأضرار الأخرى كانت كبيرة ومع هذا

(1) . حسن الفقيه حسن . اليوميات الليبية . تحقيق محمد الأسطى. وعمار جحيدر . اطرابلس منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين .ج. 1984م . ص .658.

21-Rodolfo Micacchi .I raporti trn it reqno di Francia e la reqqenza di – Tripoli di – Barberia nella prima meta del secoto del secolo XVIII . Rivista delle. .Colonie Italiane .Anno VIII.no3,marzo 1934-XII

(3) . أخبرني الأستاذ علي الصادق حسنين أن د . سعيد طوقدمير قد نشر مقالًا عن برج بوليلة في صحيفة اطرابلس التي كانت تصدر في اطرابلس في الخمسينات باللغة الإيطالية ذكر فيه أن سبب تسميته ببرج بوليلة يعود إلى أن طبيب يدعى أبو ليلى قد أستعمله كمحجر صحي. وافادني د. عبد الكريم بوشويرب أن ذلك كان في فترة الاحتلال الأسباني مما يجعلنا نستبعد ذلك لان البرج لم يشيد في في تلك الفترة .

فإن الباشا (أحمد القرمانلي) لم يكن يشير أية إشارة إلى الخضوع وعندما فشل الأسطول الفرنسي في مهمته ونفذ ما لديه من ذخائر أطلق أشرعته للرياح وغاب عن الأنظار. (1)
وبالرغم من الأضرار التي ألحقت بمدينة اطرابلس فإن الأسطول الفرنسي لم يستطع أن يفرض عليها شيئاً وهنا استعر نشاط البحرية الطرابلسية مما جعل فرنسا تدرس إمكانية احتلال المدينة وليس قصفها وتدمير المدينة والميناء بشكل كامل، بل وبدأت الاستعدادات فعلاً لهذا العمل وقدر العدد اللازم للحملة بستة آلاف رجل، وأعدت تقارير مفصلة حول تحصينات المدينة وإمكانياتها العسكرية (2) ويشير كوستانزيو برنيا في كتابه اطرابلس من 1510 – 1850م. أن الدرس الذي تلقاه أحمد من فرنسا في سنة 1728م، كان درساً قاسياً إلى أبعد الحدود .. ولم تكن الأضرار التي تعرضت لها المدينة أقل من ذلك، إذ ظلت تحمل آثار هذه الأضرار، والخراب الذي لحق بالمنازل والأسوار وغيرها. (3)

إن أقدم وصف وصل إلينا عن برج بوليلة جاء في تقرير أعده القائد العام لأسطول البندقية الفيس ميلا نوفيتش الذي زار اطرابلس رفقة رئيس بعثة الشرف البندقية القائد بوبليش والقنصل بالوفيتش الذي تم تعيينه كأول قنصل بندقي في اطرابلس سنة 1765م ويعد هذا الوصف الذي أعد من قبل مهندس عسكري وهو – ميلانوفيتش..والذي كان « مكلفاً بمهمة سرية تتخلص في محاولة القيام برسم معاقل الميناء والمدينة وحصونها وقوة حاميتها وما إلى ذلك من معلومات عسكرية. » (4) وصفاً دقيقاً إذ أعد بعين خبير في التحصينات، كما أنه « رسم بدقة متناهية جميع القلاع ومواقعها وتحصيناتها وقدم معلومات قيمة إلى حكومته عن قوة الحامية ... كما قام برسم للمدينة ذاتها من داخلها وقد قدمت هذه المعلومات إلى البندقية(5) وبالرغم من العمل الكبير الذي قام به ميلانوفيتش فإنه كان يخشى أن يكتشف أمره، إذ أن هذا العمل يتنافى مع قوانين البلد وعمله هذا يدخل في إطار الجوسسة والإضرار بمصالح البلاد.

إضافة إلى أن مهمة الوفد الذي قدم معه كانت مهمة دبلوماسية، وعمله الذي قام به يظهر

---

(1) . التليسي . حكاية مدينة ص 106.
(2) . ماساي .ص12
(3) . كستانزيو برنيا . اطرابلس من 1850-1510 م. ترجمة خليفة التليسي . اطرابلس . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى . 1985م . ص224
(4) . محمد مصطفى بازامة . الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر . بنغازي مكتبة قورينا للنشر والتوزيع (د.ت) ص.89
(5) . المرجع السابق . ص 19

النوايا السيئة التي كانت تختمر في أذهان رجال الساسة البنادقة، وينم عن استعدادات مبكرة تحسبا لأي طارئ يؤدي إلى توتر العلاقات بين البلدين مستقبلاً، ويظهر هذا التقرير ضعف الإجراءات الأمنية لإيالة اطرابلس وعدم قدرتها على رصد تحركات الأجانب أو هو على الأقل إفراط في الثقة.

جاء في هذا التقرير عن برج بوليلة ما يأتي : « ويقوم الحصن الفرنسي قبالة ذلك البرج (الإسباني) من جهة البحر على صخرة كبيرة، وشكله مستديراً، ويجتاز إليه بواسطة جسر حجري ويحتوي على أثنى عشر مدفعاً حديدياً، نصبت على قواعد نبارية [1] مثل غيرها على الأغلب، وقد وجهت تلك المجموعة من المدافع لحماية ذلك الضلع، وبانضمامها إلى مدافع قلعة البحر تكون موجهة إلى تلك النقطة التي تظهر فيها السفن الحربية .» [2]

ولا نجد بعد هذا الوصف ذكراً للبرج إذ ضن علينا الكتاب والرحالة، فلم يقدموا لنا أية معلومات عنه، فلم يصفوه أو يتحدثوا عن دوره في الدفاع عن مدينة اطرابلس حتى أن حسن الفقيه حسن لم يشر إليه إلا في التقيدات التي نقلها عن دفتر لاغه إسماعيل الأزمرلي، ولم يذكره في يومياته التي دونها بنفسه. ومن المحتمل أنه أدى دوراً مهماً في الدفاع عن مدينة اطرابلس ضد الأساطيل الأجنبية وخاصة في الحرب الطرابلسية الأمريكية 1801-1805م إذ كان أحد الاستحكامات المتقدمة التي لا تمكن السفن الحربية الأمريكية من الاقتراب من شاطئ اطرابلس فلم تكن لقذائفها كبير أثر على المدينة .

في العهد العثماني الثاني 1835- 1911م. ظل برج بوليلة قائماً، إذ أشارت إليه بعض الخرط المرسومة في تلك الفترة، وإن كانت كتب المؤرخين التي دونت في ذلك العهد (أحمد النائب: المنهل العذب، فيرو : الحوليات الطرابلسية) لم تشر إليه ولا إلى دوره في هذه الفترة كما لم أعثر في الوثائق المصنفة بدار المحفوظات التاريخية على أي وثيقة تشير إليه من قريب ولا بعيد.

وقعت ليبيا في سنة 1911م. تحت سيطرة الإستعمار الإيطالي، ويبدو أن السلطات الإيطالية اهتمت بهذا الاستحكام الدفاعي وقامت بصيانته، وفي زيارة لي مع الأستاذ (مسعود قانة) لهذا البرج في سنة 1972م عثرنا على تاريخ مدون بالطلاء الأحمر على جدار الدهليز الطويل في الدور الأرضي منه وهو 1914م كما استغلته القوات الإيطالية في الحرب العالمية الثانية ونصبت به ثلاثة مدافع وتعرض للقصف من قبل القوات المعادية لإيطاليا

---

(1) . نسبة إلى نابارة مقاطعة في شمال غرب إسبانيا

(2) . جورجو كابوفين . اطرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر . نقله إلى العربية عبد السلام باشا إمام اطرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي. ص . 297 . 298

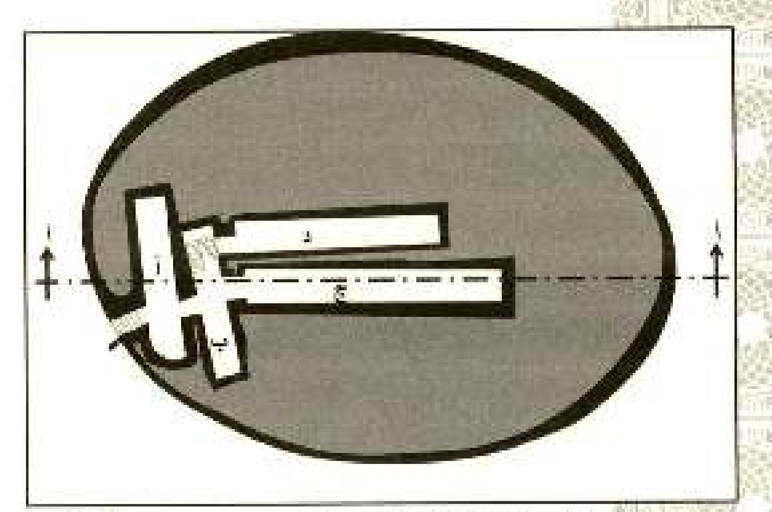
ثم هجر البرج وكان البوليس البحري الليبي يقوم بزيارات تفتيشية له بعد سنة 1952م، وفي سبعينات القرن الماضي استغلته الشركة التركية التي أوكل إليها تنفيذ حاجز الأمواج لميناء اطرابلس البحري، وفي سنة 1980م قام شباب منطقة باب البحر باستغلاله كمقر لنادي الغوص والرياضة البحرية.



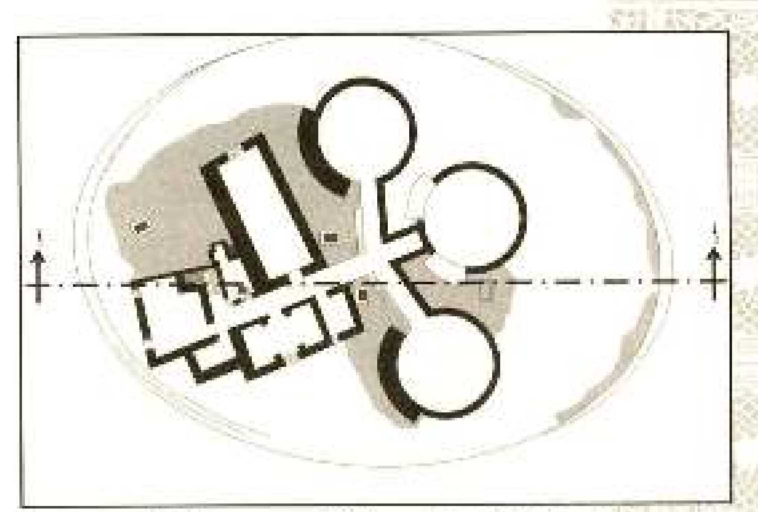
برج بولينة



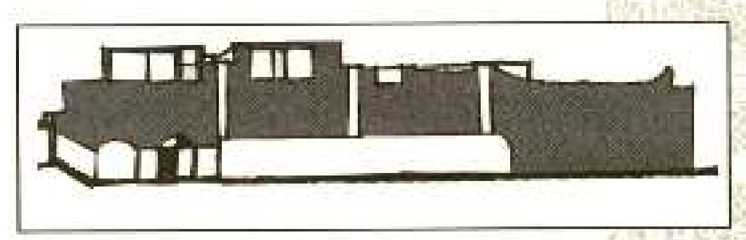
مدخل برج بولـيلـة



الشكل(1) المسقط الافقي للدور الأرضي بـرج بـولـيـلـة



المسقط الافقي للدور الأول بـرج بـوثـيـلـة
الدوائر خاصة بالمدافع .



قطاع أ–أ برج بوثيلة

وصف برج بوليلة :

برج بوليلة عبارة عن بناء بيضوي الشكل، يبلغ طول قطره 37متراً، وقطر عرضه 26متراً ويبلغ ارتفاع جداره 4.50 أمتار تقريباً. له مدخل رئيسي بفتح باتجاه الجنوب ناحية برج التراب (خزان المياه الآن) ويبلغ عرض المدخل 1.30 متراً وارتفاعه مترين، وإلى يسار المدخل يوجد سلم حجري لا يتجاوز عرضه 0.5 متر يتم بواسطته الصعود إلى سطح البرج.

وبعد اجتياز المدخل الرئيسي يوجد سلم حجري، عرضه متر تقريباً به 8 درجات يتم النزول بواسطتها إلى الدور الأرضي الذي يتكون من دهليز عرضي يتراوح عرضه 1.80متر و2.00متراً وطوله حوالي 10 أمتار، وبه فتحتان للإضاءة والتهوية، تقع الأولى في أقصى الدهليز يمين الداخل، والثانية على يسار الداخل (انظر الشكل 1-(أ) ورغم ذلك فهو مظلم إلا أنه يكون أكثر إضاءة في فترة الظهيرة وقد تم تسقيف هذا الدهليز بشكل قبوي.

نجتاز الدهليز السابق عن طريق ممر عرضه بين المتر و1.10 متر وطوله حوالي 1.20 متراً ويوصل هذا الممر إلى دهليز عرضي (شكل 1- أ) يتراوح عرضه بين1.80 ومترين ويبلغ طوله حوالي 9.20أمتار، وتوجد سلالم بهذا الدهليز تؤدي إلى الدور الأول، وهي على يسار الداخل، ومن الملاحظ انعدام فتحات التهوية . يفتح الدهليز (ب) على دهليزين طوليين (شكل ل ج، د) عن طريق فتحة يمكن بواسطتها الولوج إلى الدهليز الطولي الأول (شكل ل ج) الذي يبلغ عرض مدخله 1.50 متر، وطول الدهليز 16.20 متراً وعرضه مترين وسقفه قبوي وتوجد به ثلاث فتحات للإضاءة والتهوية، الأولى عند مدخله، والثانية في منتصفه والثالثة في نهايته، ورغم ذلك فهو مظلم ودرجة الرطوبة به مرتفعة.

أما الدهليز الطولي الآخر (الشكل 1، د) فيقع مدخله تحت السلالم التي في الدهليز العرضي (شكل1، ب) ومدخل هذا الدهليز الطولي يتراوح بين متر و 1.10 متر وعرض الدهليز ما بين 1.808 إلى 2.00 مترين وطوله 12.80 متراً. وبه فتحتان للإضاءة والتهوية الأولى عند مدخله. أما الأخرى ففي منتصفه وهو بذلك أكثر ظلمة وأقل تهوية من الدهليز الطولي الأول.

يحتوي الطابق الأول للبرج على عدة حجرات متفاوتة الحجم، ويمكن الدخول إليها عن طريق مدخل بفتح ناحية الشمال أو الصعود إليه عن طريق السلالم التي في الدور الأرضي. وعلى سطحه ثلاثة أماكن دائرية كانت تستخدم كمواقع للمدافع. إلا أنه طرأت بعض التعديلات على هذا الدور حيث تم سد مدخل السلالم بجدار في فترة السبعينات القرن الماضي.

كما أنه في شهر يناير 1981م حدث نوّ بحري نتج عنه انهيار سقف الجهة الشمالية من البرج وطمرت نهاية الدهليزين الطوليين (شكل 1،ج،د) وانهار موقع المدفع الأوسط. وقد قام شباب منطقة باب البحر بتغطية الجزء المنهار بالأتربة، كما أن أعمال حاجز الأمواج لميناء طرابلس وردم المنطقة الواقعة بين بوليلة وطريق الميناء وأعمال توسيع هذا الطريق وإقامة جزيرة دوران أمام البرج أدت إلى طمر مدخل البرج تحت مستوى الطريق، وبذلك فقد البرج بعضاً من معالجه. كما أضيفت له حجرتان على سطحه في تسعينات القرن الماضي تستغل الأولى كمقهى والثانية مخصصة لتعبئة أسطوانات الغطس بالأكسجين, كما تم بناء سلم حجري يؤدي من على سطح البرج إلى البحر.

مواد البناء:

بني برج بوليلة بالمواد المتوفرة محليا والتي شيدت بها الاستحكامات المشابهة له وكانت مواد البناء تتكون من « طين وحجر وجير وشهبة وغيره مما أشبه ذلك . » [1] والمقصود بالشهبه هي الرماد يضاف إليه الجير فيكتسب صلابة. ويذكر ميلانوفيتش في تقريره الذي سبق وان أشرنا إليه بأنه « بسبب نقص الحجارة في البلاد فقد استعاضوا بمزيج من التراب والطين والصلصال. مع جزء من الجير يسمى ضرب الباب ... وقد بنيت كثير من الأعمال بنفس الطريقة ... [2] إلا أن أساسات البرج قد شيدت بحجارة ضخمة لمقاومة أمواج البحر، وهي حجارة رملية يبدو أنها قطعت من محاجر قرقارش.

« أجريت الصيانة أعمال والترميم على البرج في العديد من السنوات.ومنها في فترة الاحتلال الإيطالي ويبدو أنه في هذه الفترة تم تجديد الجسر الحجري الذي يوصل البرج بالبر وأقيمت أعمدة خرسانية في النتوءات الصخرية المتناثرة وأقيم عليها الجسر وفي ثلاثينات القرن الماضي حدث نو[3] بحري أدى إلى هدم الجسر وطمر الشاطئ الذي كان مستغلاً كمصيف للإيطاليين واليهود وتم ترميم الجسر وبقي إلى نهاية الخمسينيات.

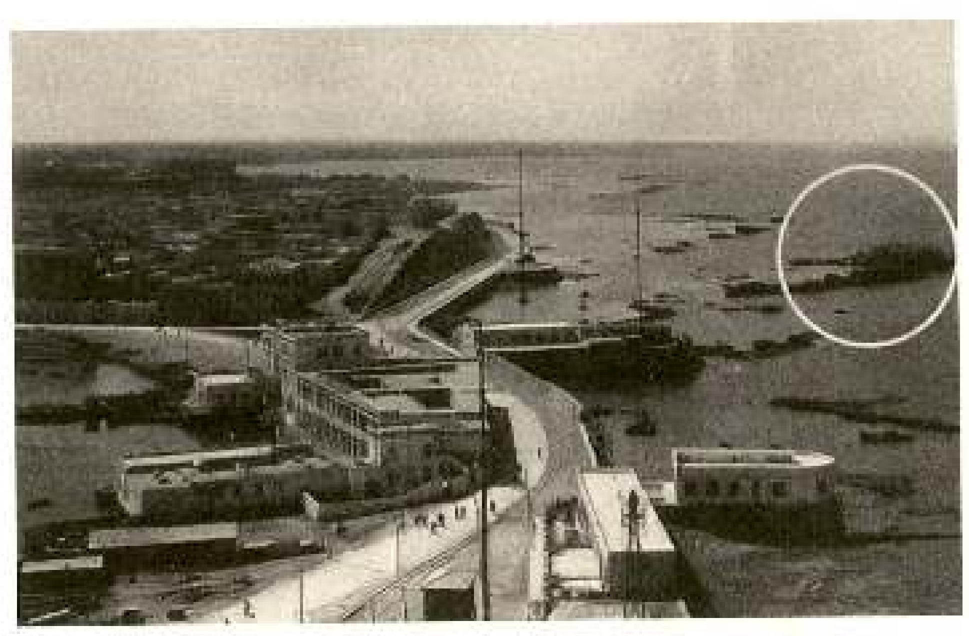
وقامت مصلحة الآثار ببعض أعمال الترميم بالبرج في أواسط السبعينات، كما أجريت عليه بعض أعمال الصيانة من قبل الشركة التركية وتأثر البرج بنو بحري ستة 1981م.طرأ تغيير على واجهة البرج ومدخله حيث طمر تحت الطريق المستحدث المجاور لحاجز الأمواج في

---

(1) . حسن الفقيه حسن. ص 249
(2) . جورجو كابوفيني. ص297
(3) . يطلق بحارة مدينة اطرابلس كلمة (نوة) على العواصف الشديدة وهياج البحر. وهي من الألفاظ الدارجة بينهم ، معلومات مستقاة من السيد محمد سعد العجيلي من سكان منطقة باب البحر .

ثمانينات القرن الماضي . ثم قام مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة وإدارة نادي باب البحر للغوص والرياضة البحرية ببعض أعمال الصيانة البسيطة.

وكلمة أخيرة عن هذا المعلم المشمول بحماية القانون رقم 3 لسنة 1424م بشأن الآثار والمتاحف والمدن القديمة. إن هذا الأثر الذي أدى دوراً مهماً في الدفاع عن محروسة طرابلس وتصدي للأساطيل الأجنبية في حاجة ماسة إلى الأيدي المختصة سواء في مصلحة الآثار أو مشروع تنظيم وإدارة القديمة بطرابلس– والذي يدخل البرج ضمن اختصاصها – لصيانتها وترميمه، إذ أن نادي باب البحر للغوص والرياضة البحرية بإمكانياته المتواضعة لا يمكن ان يقوم بذلك، ونامل أن تتكاثف الجهود لإنقاذ هذا الاستحكام الذي قاوم الأساطيل والزمن والبحر مدة تزيد عن قرنين ونصف وحتى لا تفقد البلاد أحد معالمها الأثرية.



منظر عام للجزء الشمالي الغربي من الميناء ويظهر فيها برج بوليلة

المصادر والمراجع

1. ابن غلبون. التذكار فيمن ملك اطرابلس وما كان بها من الأخبار اطرابلس، مكتبة النور الطبعة الثانية، 1967م.

2. احمد النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ اطرابلس الغرب : مكتبة الفرجاني .ج.1 (د..ت)

3. حسن الفقيه حسن. اليوميات الليبية. تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر. اطرابلس: مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي. الجزء الأول، 1984م.

4. اتوري روسي. ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م ترجمة خليفة التليسي بيروت دار الثقافة. الطبعة الأولى 1974م.

5. بول ماساي. الوضع الدولي لطرابلس الغرب ترجمة د. محمد العلاقي. اطرابلس منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. 1991م.

6. جورجو كابوفين. اطرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر نقله إلى اللغة العربية عبد السلام باشا إمام، اطرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

7. خليفة محمد التليسي. حكاية مدينة. ليبيا – تونس: الدار العربية للكتاب 1974م.

8. رودلفو ميكاكي. اطرابلس الغرب تحت أسرة القرمانلي. ترجمة طه فوزي. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية. 1961م.

9. شارل فيرو. الحوليات الليبية. ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي. اطرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الثانية. 1983م.

10. كستانزيو برنيا. اطرابلس من 1510- 1850م. ترجمة خليفة التليسي اطرابلس : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى، 1985م.

11. محمد مصطفى بازامة. الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر بنغازي: مكتبة قورينا للنشر والتوزيع. (د.ت)

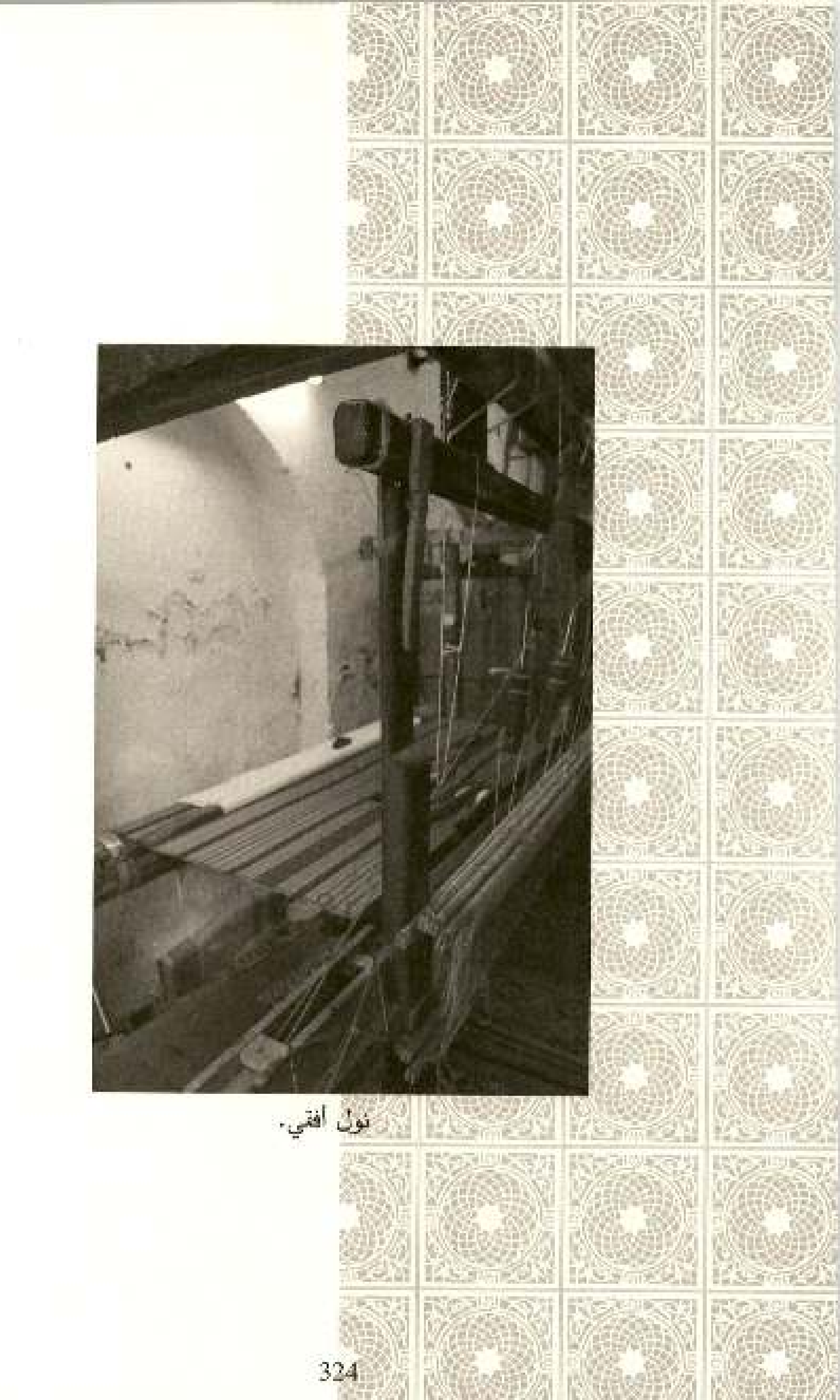
12. علي الميلودي عمورة. اطرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي. اطرابلس دار الفرجاني للنشر والتوزيع 1993م.







الفصل السادس : الصناعات التقليدية



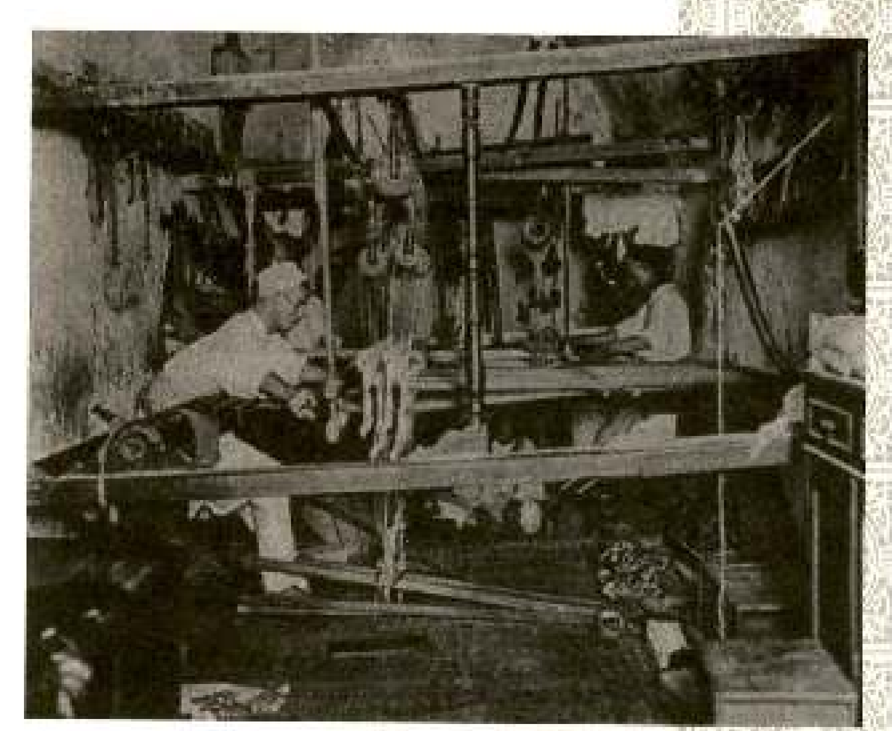
نول افقي.

من صناعاتنا التقليدية (النسيج)*

اهتم الانسان منذ القدم بالصناعة، فاخترع الأدوات البسيطة التي يستعملها في حياته اليومية وصنع من جلود الحيوانات ما يستر جسده ويقيه تقلبات الجو وقارس البرودة، وليشعر بالدفء والحرارة حتى يستطيع أن يقتات، ويقوم بالأعمال الزراعية والرعوية والصناعية.
وبدأ الإنسان في إختراع الأدوات الصناعية البسيطة وأخذ يطورها بالاضافة والتعديل فتمكن من صناعة العديد من المواد حتى استطاع صناعة المنسوجات فأتخذ منها ملابسه. « ومن المعلوم أن بعض المنسوجات ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ.» [1] عندما نشأت الحضارات الإنسانية الأولى برز المصريون القدماء في صناعة المنسوجات حتى أن « بعض الأقمشة التي عثر عليها في المقابر الملكية منسوجة بدقة فائقة لدرجة أنه يصعب تمييزها من الحرير بالعين المجردة .» [2]
ومن المعلوم أن الليبيين القدماء استعملوا في بداية الأمر الجلود لتستر أجسامهم وقد كثر عندهم إستعمال «قراب العورة» كإزار بسيط مثبت من الأعلى بحزام فوق الخصر ومنسدل إلى ما فوق الركبتين بقليل، وبه في بعض الأحيان فتحة من الأمام .»[3]...ويقول استربون إن سكان الشمال الأفريقي عامة كانوا « يرتدون جلود الأسود والنمور والدببة وينامون بها» ويقول « إن الرداء الليبي هو جلد يكون لصاحبه بمثابة لوح يقي صدره .» [4]
على أن بعض الليبيين عرفوا العباءة الطويلة المصنوعة من القماش وقد ظهرت لأول مرة في عصر الدولة الفرعونية الحديثة . ويبدو أنهم كانوا يستوردونها وكان للاتصال المبكر في الألف الأولى قبل الميلاد للكنعانيين بالشمال الأفريقي أثره الكبير في انتشار المنسوجات، إذ برع الكنعانيون . (الفينيقيون) . في القيام بالأعمال التجارية واتخذوا لهم محطات تجارية على سواحل ليبيا، وكانوا تجاراً مهرة ويتعاملون مع السكان بالمقايضة فكانت من ضمن بضائعهم المنسوجات التي انتشرت صناعتها في تلك الفترة وقد « اشتهرت منسوجاتهم بنوع

---

* . نشرت بمجلة تراث الشعب ، السنة 12 ، العددان 3 ، 4 ، 1993م
(1) . جورج سارتون. تاريخ العلم. ترجمة مجموعة من الأساتذة القاهرة: دار المعارف1963، الجزء الأول ص 107
(2) . المرجع السابق. ص107
(3) . عبد اللطيف البرغوثي. التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور حتى الفتح الأسلامي. بيروت: دارصادر ، منشورات الجامعة الليبية، الطبعة الأولى.ص161
(4) . المرجع السابق . ص. 161



(نول) من بداية القرن العشرين في مدينة اطرابلس



الأغطية (البطاطين الصوفية)

معين من الصبغة كانوا يستخلصونه من بعض الأصداف والقواقع البحرية[1] ويحتمل أن يكون دخول صناعة النسيج «النول» في وقت مبكر قد حملها الكنعانيون بعد استقرارهم في قرطاجة 814 ق.م وربما انتشرت منها إلى بقية الشمال الأفريقي، إلا أنَّ المصادر التاريخية المبكرة لم تشر إلى هذه الحرفة أو الصنعة وكانت النساء يقمن بصناعة النسيج حيث ينسجن ألبستهن وألبسة الأسرة من المواد المتوفرة محلياً وخاصة الأصواف وكانت « السدوة » التي تتخذ الشكل العمودي وسيلتهن إلى هذه الصناعة أما «النول » الأفقي فيبدو أن انتشار وتطويره في ليبيا كان عن طريق الهجرات الأندلسية بعد سقوط غرناطة أخر معاقل المسلمين في الأندلس عام 1492م .

ذكر الرحالة العربي الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف « بليون الأفريقي » في كتابه وصف أفريقية عند حديثه عن مدينة طرابلس في سنة 1518م وهي تئن تحت أثقال الاستعمار الإسباني بأن « دورها جميلة بالنسبة لدور تونس، وأسواقها منسقة مفصول بعضها عن البعض بحسب اختلاف الحرف، لا سيما حرفة النساجين[2] وقد تركزت هذه الحرفة داخل مدينة طرابلس فعرفت مناطق (الفنيدقة) و(الحلقة) و(زنقة النساء) و(سوق الحرير) المتفرع من (سوق الترك) بصناعة الأردية الحريرية رغم وجود صناعة الأردية القطنية والصوفية بها بإستثناء سوق الحرير الذي اختص بصناعة الأردية الحريرية .

وفيما يلي المنسوجات التي يستعمل النول الأفقي اليدوي في صناعتها :

- **الأنسجة الصوفية :**

وأهم منتجات هذا النوع « الحولي » وهو الزي التقليدي الذي يرتدية الليبيون ويصنع من الصوف ومنه الثقيل والخفيف ويبلغ طوله (4.5 م) وعرضه (1.50 م) وتصنع منه الأغطية أيضا (البطاطين الصوفية) ويبدو أن حرفييها انقرضوا أو تحولوا عنها نظراً لضعف مردودها المادي خاصة بعد تطورها بفضل التقدم الصناعي .

- **الأنسجة الحريرية:**

أشتهر حرفيو اطرابلس بهذه الصناعة، وكانت مزدهرة جداً حتى أن بعض منتجاتها كانت تصدر إلى المدن الأخرى. وإلى بعض البلدان المجاورة، ولفظة حرير من الألفاظ المستعملة

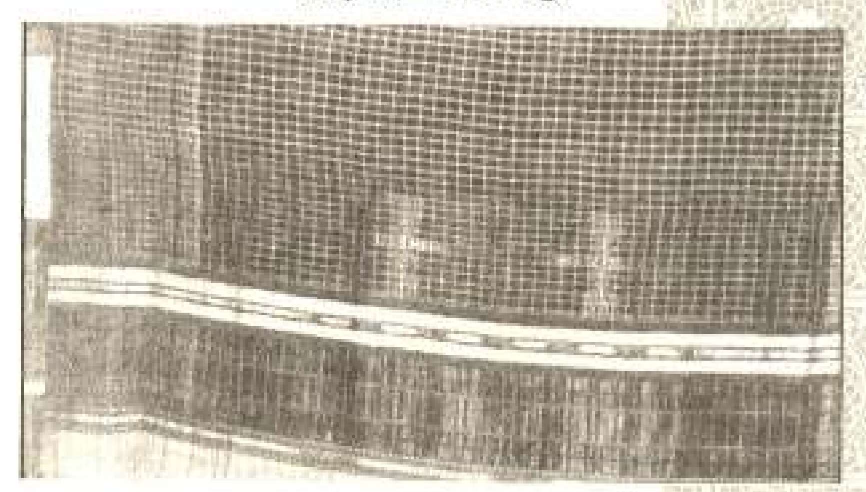
---

(1) . محمد أبو المحاسن عصفور . المدن الفينيقية، بيروت : دار النهضة العربية ،1981م. ص.ص. 133.134

(2) . الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الأفريقي . وصف أفريقيا . ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت : الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983م. ص.97



نول أنسجة حب الرمان



رداء (حب الرمان)



الأردية الحريرية

في العربية، غير من الصعب تعيين أصلها وقد ذكر (سترابون) أن اليونان أخذوا الحرير من الهنود، ولذلك أطلقوا عليه لفظة أخذوها من اسم أحد الشعوب الهندية. "[1]

وقد برع حرفيو اطرابلس في صناعة الأردية الحريرية فأدخلوا فيها الفضة « وهي خيوط مطلية بالفضة» و«التل» لزيادة جمالها. تنوعت الأردية الحريرية وتعددت وأُعْطِيَ لكل شكل منها اسم معين، وكانت جودة الأردية الحريرية تعتمد على كمية الفضة أو التل الداخلة في صناعتها بالإضافة إلى ثقل وزنها أي كلما كانت الفضة والتل أكثر كلما زاد ثقلها وقد بلغ عدد الأنوال في مدينة اطرابلس سنة 1911م 100نولا حريرياً وكان عددها قبل ذلك بسبعة أعوام 120 نولا حريرياً.

- **الأنسجة القطنية:**

وتصنع من خيوط القطن، وأرديتها يغلب عليها اللون الأحمر أو الأزرق مع خطوط بيضاء أو ملونة وقد كانت تلبس في ضواحي مدينة اطرابلس وفي المناطق الجنوبية والشرقية وكان لكل منطقة لون مميز محبب لسكانها،وقد أزدهرت هذه الصناعة في الخمسينات والستينات من القرن الماضي ثم أختفت وتكاد تكون في حكم المنقرضة نظراً لضعف المردود الأقتصادي لصُنّاعها، بالإضافة إلى دخول الآلات الحديثة في هذه الصناعة « ولفظة (قطن) من الألفاظ التي يصعب تعيين أصلها، وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أنها من أصل هندي."[2]

- **أنسجة حب الرمان:**

وهي أردية تتميز بذوق رفيع، مزركشة بألوان مختلفة تدل على مهارة حرفيها، وقد كادت هذه الأنسجة أن تنقرض. ولازال أحد الحرفيين في مدينة اطرابلس يمتهن صناعة أنسجة حب الرمان بعد أن استبدل بخيوط القطن (السدوة) الخيوط الحريرية وهو الحاج عبدالله الوراق وتعرف أردية حب الرمان بالمثقَّلّ ولازالت تستعمل في منطقة تاجوراء والمناطق الشرقية من ليبيا.

- **أنسجة نول المحرمة:**

وهذه الأنسجة تستعمل لغطاء الرأس (المحرمة-التستمال) وهي أصغر بكثير من الأردية إذ تكون على شكل مربع90سم90-سم،وعادة ما تكون المحرمة نفس خامة وألوان الرداء الخاص بها مع ترك حواشي «المحرمه» دون نسج (فتول).

---

(1) . جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين. الطبعة الثالثة،1980م . ج7, ص604

(2) . المرجع السابق.ص643



المبروق نوع من الألبسة عبارة عن شال مخطط

- **أنسجة نول البرمبخ:**

والبرمبخ نوع من الحرير الاصطناعي يصنع من النبات وقد انتشرت صناعته بعد الحرب العالمية الثانية واستمرت في الأزدهار إلى نهاية الستينات من هذا القرن، وعزف عنها الحاكة لقلة الطلب وضعف مردودها الاقتصادي.

- **أنسجة نول العبروق:**

والعبروق هو غطاء الرأس ويلف الجزء الاخير منه حول الرقبة، وهو عبارة عن شال يبلغ طوله حوالي 4أمتار وعرضه65 سم ويتميز بكثرة الزخارف، ولازال أحد حرفيي اطرابلس يقوم بصناعته وهو الحاج «حسني شنقير» الذي يزاول هذه المهنة منذ55 سنة.

- **أنسجة نول الخاتم:**

ويختلف هذا النول عن الأنوال الأخرى-بإستثناء نول العبروق - في عدد شفاشق النير (الخشب الذي يحصر خيوط النير) إذ تبلغ 8 شفاشق بينما للأنوال الأخرى 4 شفاشق فقط ونول المحرمه ثلاثة شفاشق، وسدوة نول الخاتم من الحرير وتنتج أردية رفيعة المستوى، وتحتاج لخبرة طويلة، ويبدو أن مدينة اطرابلس ستفقد يوماً هذا النوع إذ يوجد بها اليوم ثلاثة أنوال منها أحدها يديره الحاج حسني شنقير الذي ذكرناه في هذا المجال سابقاً.

- **أنسجة نول « الجكار»** (1)

وهذا النوع من الأنوال لا يختلف عن الأنوال الأخرى إذ يعتبر نولا متطوراً ففيه يتم دفع النزك « النزق» عن طريق سحب قطعة خشبية بوسط النول إلى الاسفل فيندفع النزك من جهة بواسطة خشبة أخرى مرتبطة بخيط مع القطعة الخشبية الخاصة بدفع النزك، وكلما سَحبت هذه القطعة تحرك النزك إلى الجهة المقابلة أي أنَّ الحرفيَّ ليس في حاجة إلى أن يميل جهتي اليمين واليسار، لإلتقاط النزك.

ويستخدم هذا النوع من الأنوال في الشام وتونس وبعض الأقطار العربية الأخرى وقد انتقل إلى اطرابلس من تونس في منتصف القرن العشرين، وينتج الأنسجة الحريرية وغيرها.

ويوجد نوع آخر من الألوان يُسمَّى «نول الكفن» وهو خاص بلف الميت وهو لم يَعُدْ منتشرا الآن. وهذا النول أفقيّ خيوطه بيضُ« قطنية» وكذلك طعمته. وينتج حرفيُ هذا النول الكفن وقد أختفى لقلة الطلب وضعف المردود الاقتصادي والتقدم الصناعي الذي دخل على

---

(1). وهذا النول من الأنوال منتشر في بلاد الشام والمغرب العربي ومالطا وبعض بلدان أوروبا الشرقية ويعرف في ارابلس بنول البزولة


الحاج صبحي اسكندر أحد الفنيين في عملية الصباغة


زنقة النساء بالمدينة القديمة

المنسوجات مما جعلها متوفرة ورخيصة الأثمان.

وقد بلغ عدد الأنوال المستعملة في مدينة اطرابلس في سنة 1911م كما يلي :-

(1458) نولا لنسج القطن و (270) نولا لنسج الصوف،(100) نول لنسج الحرير، وقبل ذلك بسبعة أعوام كان عدد الأنوال حسب الترتيب التالي: (1670) للقطن (320) للصوف (120) للحرير (1) ويلاحظ من الإحصائية السابقة أن هناك تناقصا ملحوظاً في عدد الأنوال في ظرف سبعة أعوام.

ظلت صناعة النسيج في ليبيا مزدهرة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حين أخذت المنسوجات الأوربية طريقها إلى السوق الليبية حيث تمكنت نظراً لرخص ثمنها من مزاحمة النسيج وأصبح المصنوع محلياً غالي الثمن الأمر الذي قاد إلى ركود لصناعة الليبية وعزوف العديد من الصناع المهرة عن الاستمرار في مهنة النسيج بعد أن أصبح مردودها المادي لا يكاد يسد حاجات الصانع الفردية، وعندما إزداد الأمر سوءاً أجتمع أرباب هذه الصناعة وتقدموا إلى السلطات التركية طالبين الإهتمام بوضعهم و وضع حرفتهم، وبعد جهد وجدت صيحة هؤلاء الصناع أذناً صاغية فأصدرت نظارة الداخلية العثمانية في عام 1909م قراراً يقضي بإلغاء الرسوم المفروضة على المنسوجات الوطنية وتذكر صحفية «الترقي» التي أبرزت هذا القرار بأنه بمجرد صدور هذا القرار اجتمع عموم الحوكية بطرابلس وتوجهوا إلى دائرة الولاية معلنين شكرهم لهذا القرار ومعلنين سخطهم وغضبهم على من كان سبباً في تأخير تنفيذه. (2)

كانت صناعة الأنسجة تمر بعدة مراحل قبل أن تركب على النول وتتمثل فيما يلي:

المرحلة الأولى:

وهي الصباغة وتركزت هذه الحرفة في مدينتي طرابلس وبنغازي، وكانت خيوط الحرير تستورد خاماً من فرنسا وإيطاليا واليونان، ويتم صباغتها في معامل الصباغة المنتشرة في حي الفنيدقة وزنقة النساء بالمدينة القديمة، ويتبين أن مصابغ اطرابلس ذات أصل عريق في القدم، وكثيراً ما تحدث القناصل في تقاريرهم عن جودة إنتاجها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقد تدنت هذه الصناعة في العهد العثماني الثاني، في مرحلة بداية الصباغة

---

(1) . فرانشسكوا كورو: ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب وتقديم خليفة التليسي. طرابلس: دار الفرجاني .ص.ص78، 79

(2) . تيسير بن موسى المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ص 150.151



(المحولة)



الحاج حسني شنقير حرفي النول

يتم إزالة الشمع من الحرير الذي يبلغ نسبته 20% من الوزن وكانت يستورد في شكل خصلات بيضاء ويتم صباغتها بمواد الصباغة التي كانت تستورد من ألمانيا، وتميزت مصابغ مدينة اطرابلس ببراعة حرفييها في تعدد الألوان وأُعطي لكل لون أسم معين فكان للون الأحمر عدة درجات وللأزرق والأخضر والأصفر، ولازالت توجد بعض المصابغ في « زنقة النساء » ويدير أحداها الحاج صبحي إسكندر الذي يبلغ من العمر 70عاماً وقد ورثها عن والده، وذكر بان هذه الحرفة أنتهت نظراً لأن الحرير يستورد جاهزاً وبمختلف الألوان، وهو الآن يقوم بصبغ الملابس بنفس الصبغة التي كان لها يوماً ما دور في صناعة الأنسجة (1)

المرحلة الثانية:

تتمثل في حل الخصلات بوضعها على « المكبة» وهي أداة تصنع من « القصباي » تركب على سيخ من الحديد مثبت من القاعدة ،سهلة الدوران، ومهمتها المساعدة في حل الخصلات على « المحولة » وهي أداة خشبية يقوم الحرفي بلفها في يده ليلتف عليها الحرير، وهي تستعمل للحرير فقط، أما المواد القطنية والصوفية فلا يستعمل في حلها المحولة ،وإنما عن طريق المكبة فقط،ثم يتم تحويل الخيوط على الفارغ (شقف من القصباي) بواسطة الردانة وهو دولاب يدار باليد استعيض عنه الآن بمحرك كهربائي صغير، ولعلها الردانة مشتقة من الردن الغزل « ويقال للمغزل: «المُردون» وأيضاً قيل (المردن) المغزل الذي يعزل به الردن، والردن « الغزل » . (2)

المرحلة الثالثة:

وفي هذه المرحلة يقوم بالعمل حرفي يسمى « السداي» اذ يضع «الفارغ» الذي يحوي المادة المراد تسويتها على أسياخ من الحديد ليسهل دورانها، ويجمع خيوطها في يده، ويبدأ في عمل السدوة على أداة خشبية تسمى الناعورة، وهي تتحرك بسهولة، فيتم إدارتها بإحدى اليدين بينما اليد الأخرى تقوم بتركيب الخيوط عليها، وعن طريق حركة الناعورة المستمر تأخذ الخيوط مجرى لها، ويتحكم فيه الحرفي، وعند الإنتهاء من اللف يكرر العملية مرة أخرى وهكذا إلى أن تبلغ السدوة الحجم المطلوب، اما طول السدوة فيعتمد على عدد اللفات حول الناعورة وهذا ما يتحكم فيه الحرفي ويقوم بعمل ما يطلبه منه صاحب السدوة فتختلف الأطوال حسب الطلب.

(1) . مقابلة شخصية مع الحاج صبحي أسكندر وهو من الحرفيين الذين زالوا مهنة الصباغة لفترة أخرة
(2) . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج 7 ، ص 595

المرحلة الرابعة:

بعد الإنتهاء من الأعمال المقامة على الناعورة يقوم الحرفي بتجميع السدوة بعد فكها من الناعورة بالتدريج ولفها على شكل كروي وعادة ما تتكون السدوة من قطعتين كرويتين وهذا ينتج من تكرار العمل في الناعورة ،وبعد ذلك يقوم صاحب السدوة بأخذها وتسليمها إلى حرفي آخر يقوم بأعمال الطيّ والمناولة». وتتم عملية الطيّ في محل خاص بهذا العمل يقوم به ثلاثة أشخاص أحدهم « الأسطى» الذي يبدأ بحل السدوة على أداة تسمى «القياس» وهو عبارة عن خشبه غُشِّقتْ فيها مجموعة من القصباي الصغيرة الفارغ» بينهما مسافة متساوية وهي تعطي للسدوة العرض المطلوب، وبعدها يقوم الأسطى بالتحكم في القياس بينما يتولى أخر بمسك السدوة لتكون مشدودة جيداً أما الأخر فيتولى لف السدوة على « الفرخ» بواسط « اللولب .» [1] و هذا يتطلب مجهوداً عضلياً.

بعد الأنتهاء من عملية الطيّ، يقوم الأسطى بالمناولة يعاونه شخص أخر يتولى إمداد الأسطى بالخيوط بالتتابع،وتكون مهمة الأسطى إيلاج الخيوط في النير(2) بواسطة أحدى أصابعه ويعتمد الإيلاج على نوعية النول فلكل نوع مناولة معينة منها :-«الطرق» أي يتم أدخال الخيط في نيرة الشفشقة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة بالتتابع ومنها «الطرافي والأوساطي» أي أن يتم أدخال الخيط في الشفشقتين اللتين في الطرفين ثم في الوسطتين وهكذا. وبعد الإنتهاء من إدخال الخيوط في النير يتم إدخالها في « الشفرة » وهي عبارة عن أسنان صغيرة من القصباي الصغيرة بها إطاريين من الطرفيين ويتم أدخال كل خيطين معاً في كل فراغ بين سنين وهكذا، ويتم ذلك بواسطة « المسلة أو السارق .» (3) وعند الانتهاء من إيلاج الخيوط جميعها في الشفرة تنتهي عملية المناولة، وتبدا المرحلة التي يقوم فيها الحائك بتركيب السدوة على النول.

هذه هي المراحل التي تتم فيها صناعة الأنسجة بالطريقة القديمة أما الآن فقد أختفت الكثير من هذه المراحل وأصبح العمل فيها يتم آلياً باستثناء المناولة التي لازالت تعتمد على

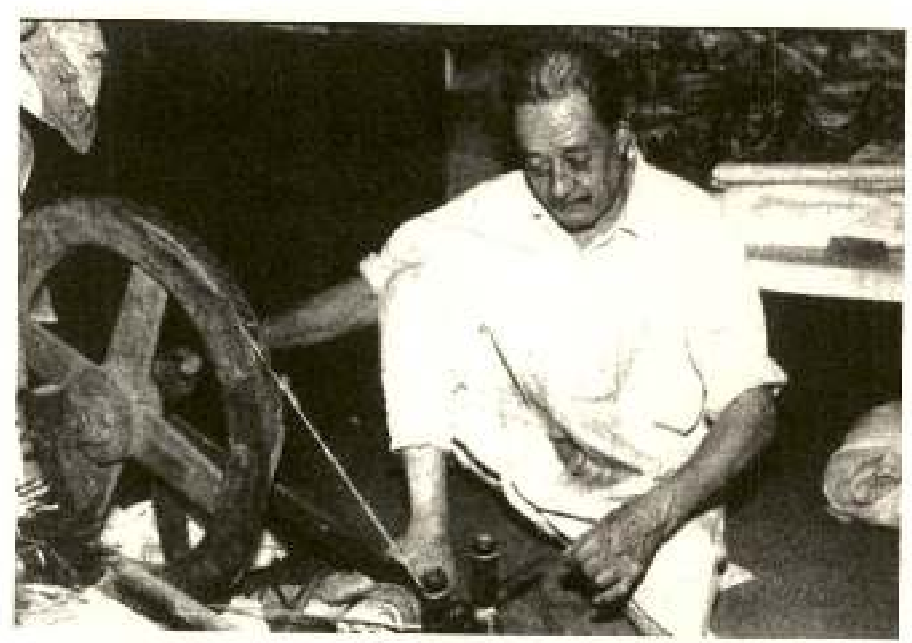
---

(1) . اللولب أداة خشبية لها أربعة أذرع تلتقي في مركز يكون على شكل مربع مفرغ تدخل تربيعه الفرخ فيه. ومهمة اللولب هو لف السدوة على الفرخ بواسطة الأنسان

(2) . النير هو احد معدات النول ووظيفته ترك الفراغ بين السدى ليمر منه النزك،وتتم عملية اللحمه

(3) . المسلة مشتقة من الفعل سل سلا، سل الشي من الشئ أخراجه منه برفق، ووظيفته اخراج وتعرف المسلة بالسارق لأنها تسرق الخيوط وتمررها بين أسنان الشفرة، وكانت المسلة تصنع من القصباي أو من الحديد وكانت مدببة الرأس حتى يسهل إيلاجها بين أسنان الشفرة الضيقة وفيه نتوء او تجويف على شكل (V) وظيفته مسك الخيوط المراد إيلاجها في الشفرة

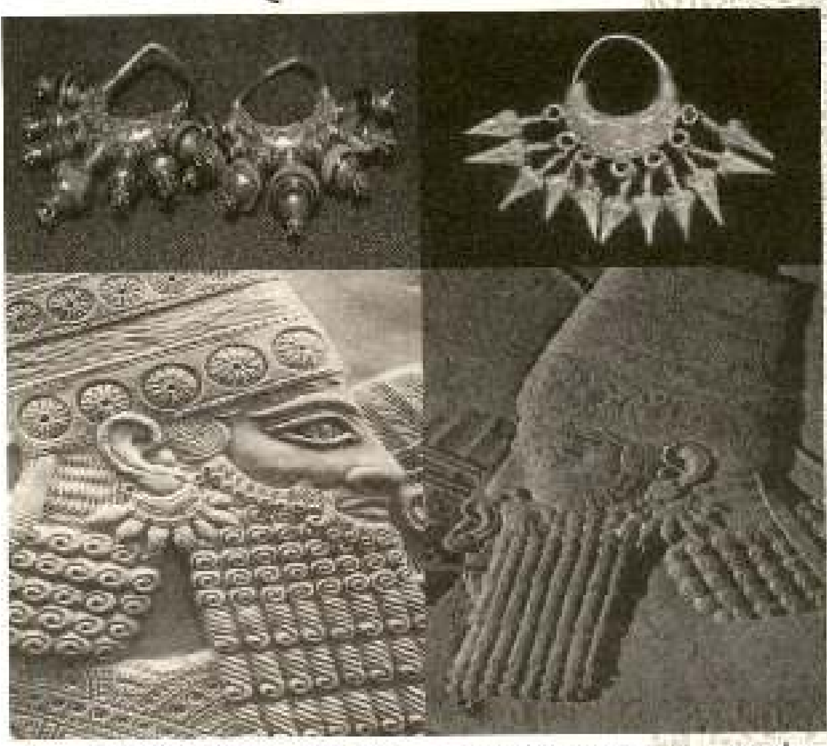
البشر على أن هناك بعض الحاكه وخاصة في نول البطانين، والجداد يقومون بجميع تلك العمليات ولا يزيد عددهم عن عدد أصابع اليد الواحدة.



الدولاب (ردانة) الحاج حسني شنقير



بعض من مجوهرات توت عنخ أمون



الأقراط الذهبية (حلق الاذن) بعض من الحلي الملكية للفترة الأشورية

النقش والصياغة عبر العصور*

اهتم الإنسان منذ بداية وجوده بما يستر جسده ليقيه تقلبات الجو. فاستخدم الإنسان أول ما استخدم أوراق الأشجار العريضة الضخمة التي يمكن أن تغطى أكبر جزء من جسمه وكانت من نباتات قوية لا تبلى بسرعة. وبتطور الإنسان واختراعه لبعض الأدوات الحجرية التي بفضلها أصبح قادراً على اصطياد الحيوانات الكبيرة وسلخها، فاستغل جلودها ولف بها جسده، إذ كانت أكثر تدفئة وأمتن من أوراق الأشجار.

وهكذا أخذ الأنسان يتطور حتى اخترع المنسوجات وصنع منها ملابسه. ويرجع اختراعها إلى فترة ما قبل التاريخ.

إن اهتمام الإنسان بأناقته يسبق حضاريا عملية تجميله للملابس إذ أن « الرغبة في الأناقة رغبة فطرية في الإنسان صاحبته منذ فجر حياته. وتدل الأثار القديمة على أن الإنسان حتى في مرحلة الوحشية كان يميل إلى الأناقة، فعندما كان معظم جسده عاريا كان يزينه بأنواع الوشم ويتفنن فيها، كما استخدم بعد ذلك الحلي المختلفة . » (1)

وتدل مخلفات حضارة وادي النيل التي ترجع إلى ما قبل عام 2000ق.م. على المهارات الكبيرة التي وصل إليها الفنان المصري في صياغة الحلي فصنع الصدريات من الذهب المرصع بالأحجار الثمينة وصنع الأساور والعقود والمشابك.

واهتم الأشوريون في بلاد الرافدين بالصياغة وقد دلت الاكتشافات الأثرية في العراق على دقة الصياغة والذوق الرفيع الذي وصلت إليه الحلي التي يستخدمها الأشوريون. ففي السنوات القليلة الماضية تم العثور على كنز ذهبي في المدينة التاريخية نمرود عاصمة الأشوريين والتي تقع جنوب مدينة الموصل بحوالي 35كم ويعود تاريخ هذا الكنز الذي يبلغ عدده مائتي قطعة ذهبية وعددا كبيرا من الأحجار الكريمة والأختام الإسطوانية والتماثيل الصغيرة إلى 2800 سنة مضت. ويدل هذا الكنز على مهارة الصاغة الأشوريين «الذين يتمتعون بذوق جمالي عال ومترف.. فمن بين أبرز القطع الذهبية، سلسلة ذهبية بطول 92 سنتيمترا، صيغت بدقة لا يمكن أن تأتي بمثلها الصياغة الحديثة بكل تكنولوجيتها وأربعة أقراط ذهبية تتدلى منها أجراس مخروطية يتراوح عددها بين 10،12 جرسا وسلسلة مشابهة لها تضم سبعة عشر جرسا وسواران ذهبيان مرصعان بالأحجار الكريمة لا يقل قطر الواحد منها عن 12 سنتيمترا بعرض 4 سنتمترات تقريبا.

---

*. نشر بمجلة تراث الشعب ، السنة 10 ، العدد 4 ، 1990م

(1) . تحية كامل حسين، تاريخ الأزياء وتطورها. ص5

وهناك حلية ذهبية عبارة عن سوار يتألف من 11 صفا من الخرز الذهبية الإسطوانية الشكل ويحتوي كل صف منها على تسع خرزات وعدد من الدلايات الذهبية بأطوال لا تتجاوز الأربعة سنتيمترات تمثل حيوانات ودمى مزينة بأحجار كريمة. الحلى مصوغة باشكال نباتية وحيوانية: رمان، أعناب، أوراق، ورود، أسماك ، طيور ،أسود صغيرة تعجز مهارة صاغة اليوم عن صياغتها بهذه الدقة. » [1]

كان اهتمام الأشوريين كبيراً بالصياغة فلهم « فنانون مشهورون في هذا الفن ومارسوا فنونا صعبة جداً بالرغم من عدم توفر الالآت الدقيقة التي تستلزمها مهنتهم هذه فنحن نعرف أنهم كانوا يجيدون تقطيع الذهب وغيره من المعادن والحفر عليه كما اتقنوا فنون الصهر والخلط وفنونا عديدة أخرى.»[2] وقد أهتم الأشوريون والبابليون بالمجوهرات وأدوات الزينة فقد « لبس الرجال والنساء على السواء الأقراط، وكانت كبيرة وثقيلة وذات أشكال مختلفة وكذلك الأساور ومنها ما يلبس حول المعصم وما يلبس حول أعلى الذراع، وكانت هذه عريضة منقوشة باشكال الورود، كما أغرموا بلبس الخواتم والتيجان وإقتناء أنواع الأسلحة المنقوشة المختلفة والمراوح والعصى الطويلة ذات الرؤوس المزدانة... .» [3]

عرف الكنعانيون الذهب والفضة منذ زمن مبكر واتجروا فيهما وصنعوا منهما الكثير من الحلي وأدوات الزينة كالأساور والاقراط والخلاخيل والمشابك وغيرها واهتموا بزخرفتها والنقش عليها. واقتبس الفرس الكثير من حليهم من جيرانهم في بلاد وادي الرافدين فكانت حليهم كثيرة الشبه بما كان عند الأشوريين.

أما صانعوا المجوهرات الإغريق فقد برعوا في صياغة الذهب فحولوه إلى حلى جميلة بدلا من الاعتماد على الأحجار الملونة المزخرفة « وكان صانعوا المجوهرات المصريون وفي بلاد ما بين النهرين قد برعوا في كثير من هذه الطرق الفنية قبل الإغريق حيث تعلم الإغريق الكثير منهم دون شك .» [4] ولا غرو في ذلك فإن الشرق مهد الحضارة وواضع أسسها وقد تجاوز تأثير الفن الشرقي بلاد الإغريق نفسها فقد « اكتشفت في مقابر إتروريا وقبرص وإيبيريا ومناطق أخرى غير إغريقية مجوهرات فخمة...مما يؤكد ثراء شعوبها خلال

---

(1) . مجلة كل العرب العدد 304 ، يونيو 1988م
(2) . وليد الجادر، ضيا العزاوي . الملابس والحلى عند الاشوريين . ص 19
(3) . جيزيلا ريختر . مقدمة في الفن الاغريقي . ص 343
(4) . جيزيلا ريختر . مقدمة في الفن الاغريقي . ص 343

القرن السابع ق.م. ويلاحظ عليها التأثير الشرقي الواضح في الفن الإغريقي... ولا نستطيع أن نجزم ما اذا كان هذا التأثير قد وصل إتروريا نتيجة التعامل التجاري مع اليونان أو من خلال الإتصال المباشر مع الشرق .» [1]

تشير النقوش المصرية إلى اهتمام الليبيين بالتزين ولعل أشهر الحلي الليبية كانت ريش النعام، كما عرف الليبيون أنواعاً عديدة من حلى الأذنين، « وتظهر على نقوش معبد سحورع من الأسرة الخامسة صور ليبيات وليبيين يتحلون بعقود من الخرز المنبسط والمدور. وعلى آثار مدينة هبو صورة يظهر فيها ليبيان يتحليان بالعقود التي يتدلى منها الخرز، أما الأساور فيبدو أنها لم تكن شائعة كثيرا بين الليبيين ولكنها كانت معروفة إذ أنها تظهر على أذرع الليبيين ومعاصمهم في نقوش أبي صير ومدينة هبو . »[2]

يصف المؤرخ الإغريقي هيرودوت حياة بعض القبائل الليبية في القرن الخامس ق.م ويذكر حلي بعضها فيقول: إن قبائل الأدرماخيدي « تلبس الواحدة من نسائهم خلخالا برونزيا في أحد ساقيها » ويقول أن قبيلة الجندانيين « تلبس نساؤها خلاخيل من الجلد حول كواحلهن».

وقد أشتهر الجرامنتيون في الجنوب الليبي بعدة صناعات وبرعوا « في صناعة الحلي الذهبية فبلغوا فيها درجة كبيرة من الدقة ولقد عثرنا على توكة (مشبك) من الذهب الخالص وقد صنعت بدقة متناهية.

وصنع الجرامنت الحلى الفضية مثل الأساور وغيرها، هذا وقد بلغت صناعة عقود الزينة درجة كبيرة من الدقة سواء ما صنع منها من زجاج أو ما صنع من الأحجار الملونة كالفيروز الأخضر والعقيق الأحمر... وعثر أيضاً على الكثير من الخواتم البرنزية المطعمة بفصوص من الأحجار الثمينة كالفيروز وغيرها..» [3] مما يدلُّ على أن صناعة الحلي ونقشها وزخرفتها كانت صناعة رائجة وفنا شعبياً قائماً لديهم سواء من حيث التشكيل أو الاستخدام.

وقد اشتهر الجرامنت بالتجارة فكانوا حلقة الوصل بين المدن التي ما وراء الصحراء الكبرى ومدن شمال أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط « ولعل من أهم المعادن التي اشتهرت بها الجرامنت هو الكاربونكلCrbuncle أو الحجر القرطاجي فقد أشار كثير من المؤرخين إلى أن الجرامنت كانوا يبيعونه للقرطاجنيين الذين احتكروا بيعه بدورهم لعالم البحر الأبيض

---

(1) . المرجع السابق ص 347

(2) . عبد اللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم . ص 171

(3) . محمد سليمان أيوب مختصر تاريخ فزان . ص 69

المتوسط ولذا فقد سمي باسمهم، وكان هذا الحجر يعتبر من الأحجار الكريمة أو الثمينة في العالم القديم بل كان ينظر إليه على أنه حجر مقدس. وقد عثر على فصوص وقطع كثيرة من هذا المعدن في المقابر الفرعونية والقرطاجنية والرومانية كما عثر على قطع كثيرة منه في حفرياتنا بالمقابر والمواقع الجرامنتية وهو عبارة عن حجر الفيروز الاخضر وقد صقل جيدا، وكان يعمل منه أيضا الصور المنحوتة التي تعلق على الصدور. وكان الفراعنة يسمون هذا الحجر باسم الواوات Wawat أو حجر تمح Temhy stone أما الواوات فهي الأماكن المعروفة باسم الواو مثل الواو الكبير وواو الناموس.»[1] أما كلمة تمحو Temhu فهي أحدى القبائل الليبية القديمة.

استخدم الليبيون الحلي في الفترات السابقة للإسلام، وتدل المخلفات الأثرية التي عثر عليها بالمقابر المكتشفة على اهتمامهم بإستخدام المشابك والأقراط والأساور. ويعد ضريح مسويجي الذي يقع بمنطقة العربان بالجبل الغربي من أهم المعالم المنقوشة التي تبين إستخدام الحلي كالأساور والعقود في القرن الثالث الميلادي.

أما عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام فقد تزينت نسائهم ليظهرهن جمالهن وأنوثتهن. وتجملت المرأة- بالحلي» كالخلخال والسوارين والخاتم والقلبين والقلب والفتخة والمسكة والقرطين والقلائد الأخرى... ولم تنس المرأة زينتها فزينت نفسها ب(الحلي) من ذهب وفضة ومعادن أخرى وأحجار تلفت النظر وبالعظام أيضا والخرز.»[2] تضع المرأة الاسورة في يديها وقد ورد ذكرها الأساور الذهبية في القرآن الكريم فقال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضراً .» [3] أما الخلخال فهو من أدوات الزينة التي توضع على الساق ويقال له (البُرين) والخاتم من حلى الأصابع وكان يستخدم للطبع بدلا من التوقيع . والقُلب (بالضم) هو السوار يكون من عاج ونحوه وفي المصباح قلب الفضة سوار غير ملوى .» [4] أما الفتخة فهو خاتم كبير يكون في اليد والرجل بفص وبغير فص، وقيل الخاتم أيا كان أو حلقة من فضة تلبس في الأصبع كالخاتم وقيل الفتخة حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها فص فهي الخاتم .» [5] والمسكة

---

(1) . المرجع السابق . ص 74

(2) . جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام . ج4 . ص 623، 624

(3) . القرآن الكريم . الكهف

(4) . الزبيدي . تاج العروس . المجلد 1 ص 437

(5) . تاج العروس . المجلد الثاني ص 270

فسوار من ذبل أو عاج فإذا كانت من غيرهما أضيفت إلى ما هي منه. »[1] والذبل « جلد السلحفاة البحرية أو البرية أو عظام ظهر دابة بحرية تتخذ منه الأسوار والأمشاط.[2] كما استعملت المرآة العربية المناجد « وهي حلي مكلل بعضه على بعض مزين وقال عبيد بن الأبرص:

ناطوا الرعاث لمهوى لو يزل به . لا ندق دون تلاقي اللبة القرط

والقرط نوع من حلي الأذن، ويقال لها الرعاث أيضا، واللبة موضع القلادة، يريد عبيد أن يقول: أن هؤلاء النسوة علقنا الأقراط في الاذان التي تعلو رقابا طويلة، فلو سقط لا ندق قبل أن يصل الى الصدر، والرعاث جمع رعثة وهو ما علق بالأذن من قرط أو نحوه، واذا كان القرط بحبة واحدة يقال له الخُرص أو الخِرص، وقيل: هي الحلقة من الذهب والفضة »[3] مع بدء الدعوة الإسلامية في مكة لفت القرآن الكريم الأنظار إلى ناحيتي الجمال والزينة وحبب إلى المسلمين متع الحياة المشروعة دون إسراف أو تبذير. فاستخدم العرب في صدر الإسلام الحلي وكانوا يطلقون على بعض الحلي أسماء تمثل آلات الحرب ومعداته، فمن أنواع الأقراط التي عرفت في ذلك الوقت قرط « ترس « لمشابهته للترس الذي كانت تلبسه العرب، فكان الرجل يتمنطق بالترس والمرأة تتحلى بحلق الترس كي تذكره دائما بالحرب وكذلك حلق « خنجر» على هيئة قبضة الخنجر، وحلق « مشرف « على شكل سيف... وما قيل عن الاقراط قيل أيضا عن باقي أنواع الحلي من حيث الشكل والاسماء .»[4] ازدهرت صناعة الحلي في الدولة العربية الإسلامية بعد أن اتسع نفودها وامتدت حدودها من تخوم الصين إلى شبه جزيرة إيبيرية وقد تناسب هذا الازدهار تبعا لحالة السلم الذي تتمتع به الدولة الإسلامية وتبعا لغزارة الموارد وثراء الناس . ومع ظهور الفن العربي الاسلامي وتطوره مع بداية القرن الثاني للهجرة والذي تأثر بروح الإسلام وتميز بكثرة الزخرفة، تفنن الفنان العربي في صناعة الحلي « ولكن مما يؤسف له أن ما وصل إلينا من الحلي الإسلامية نادر. والراجح أن معظم ما نعرفه في هذا الميدان لا يرجع إلى عصر قديم على الرغم من الزخارف الموجودة عليه والتي يمكن نسبتها إلى العصر العباسي أو الفاطمي

---

(1) . تاج العروس

(2) . تاج العروس . المجلد السابع .ص 329

(3) . واضح الصمد . الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي. ص 202 . 203

(4) . أحمد ممدوح حمدي . معدات التجميل لمتحف الفن الإسلامي . ص 122



بعض المصوغات الذهبية والفضية المصنعة محلية

أو المملوكي. ولعل السر في ذلك أن الحلى من المعادن النفيسة كانت تصهر ويعاد سبكها عندما يتقادم العهد بها فضلا عن أن قيمتها المادية كانت تبعث على التصرف فيها ولا ريب في أن الحلي في العصر الإسلامي كانت متأثرة في طراز زخرفتها وأسلوب صناعتها بالنماذج الساسانية والبيزنطية . »[1] والتي تأثرت بدورها بالحضارات القديمة التي شهدتها الأرض العربية في كل من بلاد الرافدين ووادي النيل. إذ أن الحضارات تقتبس وتشتق من الحضارات التي سبقتها ثم تحور ما أقتبس واشتق فتضيف إليه وتطبعه بطابعها المميز فلا تبقى إلا تأثيرات بسيطة لا تخفى على أعين المدققين المختصين.

تعطي بعض المصادر التاريخية وصفاً لبعض الحلي « ولكننا نخطئ، أن توقعنا أن نجد في بعضها وصفاً دقيقاً للتحف المختلفة، يمكننا أن نقف منه على طرازها ونوع زخارفها وأسلوب صناعتها. ويرجع قصور المؤلفين في هذا الميدان إلى أن أكثرهم لم ير تلك التحف التي كتب عنها، إما لأنها كانت محفوظة في خزائن لم يكونوا يستطيعون الوصول إليها، أو لأنها كانت زينة للأميرات والمحظيات، وإما لأن ما كتبوه كان منقولا عن مصادر ليس لها بالحلي والجواهر دراية كبيرة»[2] وتحتفظ بعض متاحف العالم ببعض الحلي الذهبية والفضية العربية الإسلامية وأن لم تكن بتلك الكثرة التي خلفها الفنان العربي المسلم في مختلف مجالات الابداع الأخرى.

ازدهرت صياغة الذهب والفضة في ليبيا خلال العهد العثماني الثاني. وكانت سبائك الفضة تستورد من فرنسا بينما الذهب من أفريقيا ومصر على شكل سبائك أيضاً وتصنع هذه السبائك محلياً بالإضافة إلى كميات التي تصهر أحياناً من المصنوعات الفضية والذهبية القديمة مثل ليرات (ماريا تيريزا) العملة النمساوية التي تعرف محلياً باسم ريال ابوطيرة وقد كانت صياغة الفضة أكثر تطورا من صياغة الذهب نظراً لظروف البلاد الاقتصادية فكان الإقبال على الحلى الذهبية أقل كثيراً من الإقبال على إقتناء الحلى الفضية والتي تزدهر او تكسد بحسب مواسم الحصاد.

وقد احتكر هذه الحرفة اليهود على مر الفترات التاريخية السابقة، وقد « كانت صناعة الذهب والفضة من النوع الثقيل أو من النوع الخفيف التخريمي وكانت بعض المنتوجات تضاهي منتوجات أوروبية معتبرة. وكانت بعض المنحوتات من الفضة والذهب، ذات جودة ملحوظة .»[3]

---

(1) . د . زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ج 4 ص 522

(2) . زكي محم حسن . كنوز الفاطميين . ص 247 .

(3) . أنتوني كاكيا. ليبيا خلال الأحتلال العثماني الثاني . ص 125 .126

وقد اشتركت ليبيا في بعض المعارض الدولية مثل معرض باريس سنة 1867م ومعرض بالنمسا سنة 1873م ومعرض بفيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1875م. فعرضت بعض المصوغات الفضية والذهبية المصنعة محلياً وقد اختلفت الحلى وتعددت أنواعها ويرجع ذلك إلى تميز كل منطقة بطابع مميز من الحلى وكان من أشهر الحلي (الخرص، الدبلج أو الدملج) تلبس في اليد، خلاخيل. قلائد، شعرية، صوالح، سلاسل، خواتم، لبة (تلبس في الصدر) خلالات...

وقد تميزت الحلي الليبية بالزخرفة الدقيقة فقد كان الصاغة يستعملون آلة للترقيق تعرف باسم « المينوار » ومن أسلاك الفضة كانت تصنع الزخارف الدقيقة والسلاسل. وأكثر الأشكال المستعملة في الحلى كانت « الخميسة والحويتة والقرين » وهي كما كان يعتقد تبعد عين الحساد.



الخميسة والحويتة والقرين

المراجع

1. الزبيدي . تاج العروس. منشورات دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي، طبع بدار صادر بيروت، 1966م.
2. د . زكي محمد حسن، فنون الإسلام. بيروت : دار الرائد العربي ، 1981م.
3. د . زكي محم حسن . كنوز الفاطميين، بيروت « دار الرائد العربي ، 1981م .
4. تحية كامل حسين . تاريخ الأزياء وتطويرها . مصر : مكتبة النهضة (د . ت).
5. د . وليد الجادر، ضيا العزاري . الملابس والحلي عند الاشوريين . بغداد :وزارة الثقافة والاعلام، 1970م.
6. د . جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . بيروت : دار العلم للملايين، 1976م . المجلدين 4 ، 7.
7. أحمد ممدوح حمدي . معدات التجميل بالمتحف الفن الإسلامي . القاهرة : مطبعة دار الكتب . 1959م.
8. واضح الصمد . الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ط أولى 1981م.
9. جيزيلا ريختر . مقدمة في الفن الاغريقي . تعريب د . جمال الحرامي . سورية : دار أمناني . 1987م.
10. أنور الرفاعي . تاريخ الفن عند العرب والمسلمين . دمشق : دار الفكر . الطبعة الثانية 1977م.
11. د .عبد اللطيف البرغوثي . التاريخ الليبي القديم . بيروت : دار صادر . منشورات الجامعة الليبية طبعة الأولى 1971م.
12. محمد سليمان أيوب . مختصر تاريخ فزان . طرابلس : الطبعة الليبية 1967م.
13. أنتوني كاكيا . ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني . ترجمة يوسف العسلي . طرابلس : دار الفرجاني 1975م.

14. فرنشيسكو كورو . ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، ترجمة خليفة التليسي .

15. مجلة كل العرب . العدد 304، يونيو 1988م.

16. فوقية عبدالعال . صناعات وصناع يندثرون ، جريدة الفجر الجديد، العدد 508. ابريل 1974م.



مدير الجريدة وصاحب امتيازها



محل الادارة بسوق الفندق

لاتقبل وصولات الاشتراك

الا اذا كانت ممضاة من المدير

طرابلس الغرب في ١٠ جمادى الآخرة سنه ١٣٢٧

الكتاب والمنشئون

...لو بلاغة الكلام طبق اقتضى المقام

...الكتاب من تاخذهم نشوة الفاظهم ...

...بالتعمق في اللغة العربية و...

...ذلك مما هو مطلوب

...من الجرى على الاساليب التي تكفل

يحافظ الكاتب في ...

اسداء ... من ...

من جزئيات القول وكل...

... القريحة ...

و... ...

يكتب ...

قلمه في حلبة ...

ويرحب لها الصدر



١٣٢٦

سياسية علمية ادبية

الفصل السابع : الصحافة



جريدة (المرأة) 15 سبتمبر 1946م.

جريدة المرآة 1946م*

سأتناول في هذه الزاوية إحدى الصحف أو المجلات القديمة والتي صدرت في مدينة طرابلس سواء الأدبية أو الرياضية أو السياسية أو الجامعة محاولا التعريف بها، واختيار مقالا أو بعض المقتطفات، وهذه الصحف حفظت بدار المحفوظات التاريخية. واخترت هذا اليوم مجلة المرآة.

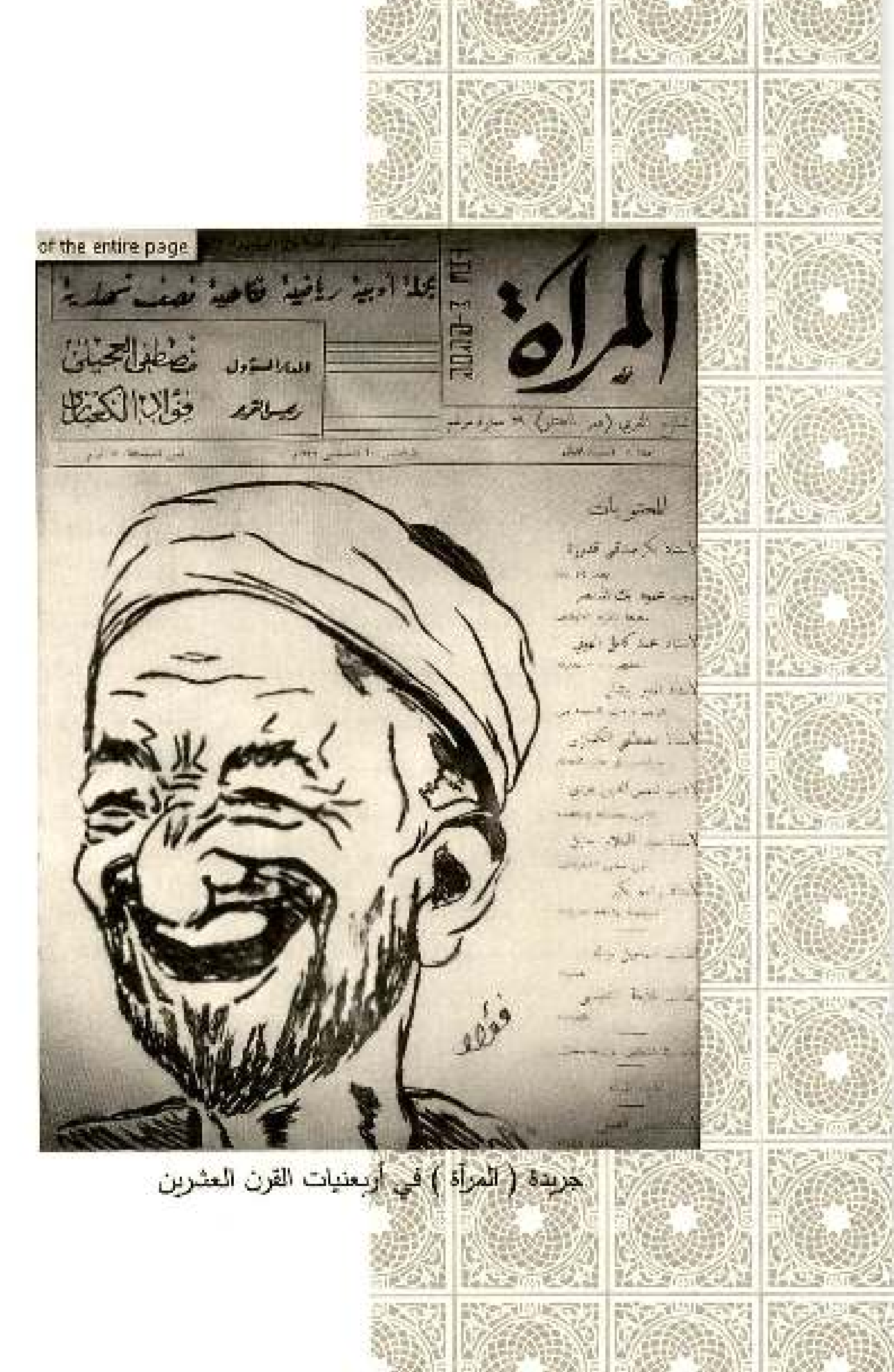
مجلة المرآة:-

وهي كما تقول الصفحة الأولى فيها، المرآة مجلة رياضية فكاهية نصف شهرية . المدير المسؤل مصطفى العجيلي ورئيس التحرير فؤاد الكعبازي، صدر العدد الأول منها في 15 يوليو 1946م وثمن النسخة 12 ليرة عسكرية(إنجليزية)، احتوى العدد الأول على افتتاحية للدكتور مصطفى العجيلي بقوله:» بهذا يسر المرآة أن تستهل عددها الأول متوكلة على الله، فتقدمة إلى قرائها الكرام، حافلاً بمقالات متنوعة المواضيع من أقلام نخبة من الكتاب والعلماء والادباء والشعراء الليبيين. وحدد هدفها بقوله: « و هي تسعى في المشاركة بالنهوض بالمستوى الليبي في كل نواحيه الأدبية والعلمية والاجتماعية والصناعية والاقتصادية والرياضية، وقد فرضت على نفسها واجباً عظيماً في خدمة الوطن العزيز من نشر ثقافة، وتشجيع الرياضة، ومعالجة أمراضنا الاجتماعية، وترجو الله أن يوفقها إلى ما فيه الخير للجميع، وتطلب من الله أن يساعدها على خدمة المنفعة العامة، حتى تؤدي رسالتها بكل مهارة وبراعة. وكتب الأستاذ محمد كامل الهوني تحت عنوان تقديم المرآة ذكر فيه أن صاحب المجلة الدكتور مصطفى العجيلي قد خصه بكتابة هذه الكلمات ليبين للقراء بصراحة وبدون إطراء غرض المجلة وشعارها وأبحاثها.

1. غرض المرآة رفع مستوى القارئ أدبيا وعلميا واقتصاديا ورياضيا، وحمله على المطالعة والدرس.
2. شعار المرآة الصدق: الصدق في القول والإخلاص في العمل ..
3. وأما الأبحاث التي تتناولها المرآة فهي كل موضوع قيم ترى في نشره فائدة للمجتمع ..الخ

---

* نشر بصحيفة طرابلس القديمة الصادرة عن مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة طرابلس . التاريخ 1987/05/10 م المرآة – طرابلس العدد03



جريدة (المرأة) في أربعنيات القرن العشرين

أما المقالات التي احتواها العدد الأول فكان هناك مقالين كتبها (الفنان الكاريكا تورست) الأستاذ فؤاد الكعبازي الأول بعنوان الكاريكاتير، و الثاني بعنوان الرياضة الباسمة، ومقال بعنوان الصحافة مدرسة الحياة للأستاذ عبد الرحمن دقدق، ونظم الشيخ عبد الغني البشتي قصيدة بعنوان تحية المرآة، وفي مجال التاريخ كتب الأستاذ مصطفى الكعبازي عن طرابلس في صدر الإسلام، وهناك صفحة للترفيه بعنوان الهتشيات والصفحة الأخيرة من المرآة حملت عنوان قصة المرآة كتبها الأستاذ كامل الهوني . وأهم الإعلانات في العدد الأول كان عن (السينما غرياني) يقول الاعلان (افتتحت سينما الغرياني يوم السبت مساء وكان افتتاحها رائعا فهي سينما صيفية، جميلة المنظر بسيطة أنيقة فسيحة تعطي للمتفرج متعة وتبعث في نفسه سرورا وارتياحا، وقد عرض فيها أول فيلم عربي (جمال ودلال) فنهنئ صاحبها الوجيه بشير أفندي الغرياني بالنجاح الباهر في هذا المشروع و نرجو له كل تقدم.



صفحة الأولى من جريدة (الترقي) بتاريخ 18 ذي القعدة 1326هـ

جريدة الترقي 1897م *

الترقي جريدة سياسية علمية أسبوعية أنشئت سنة1315هـ . محل الإدارة بمطبعة الولاية بطرابلس الغرب، جميع الرسائل ينبغي أن تكون باسم صاحب امتياز جريدة الترقي ومحررها الشيخ محمد البوصيري، ومذيلة بإمضاء مرسلها بحروف واضحة، ولا يحق استردادها أدرجت ام لم تدرج، قيمة الاشتراك عن سنة مجيدي بطرابلس الغرب، وسبعة فرنكات في جهات الولاية والخارج، أجرة الاعلانات في الصفحة الأولى خمسة قروش وفي الرابعة قرشان، أما المراسلات العائدة للمنافع العمومية فتدرج مجانا، ثمن النسخة عشرون بارة.

صدر العدد الأول من جريدة الترقي يوم 26 محرم1315هـ الموافق26 يونيو1897م، وكانت تصدر صباح السبت من كل أسبوع وكانت تطبع في بداية صدورها بمطبعة الولاية تتكون الجريدة من أربع صفحات، كل صفحة بها ثلاثة أعمدة عريضة.

تتناول الصفحة الأولى عادة أحد المواضيع التي تمس الحياة العامة ومن أمثلة ذلك في العدد الثالث السنة الأولى موضوع (نتيجة بغي اليونان ، يتناول فيه الكاتب تاريخ بلاد اليونان حتى يصل إلى استيلاء الدولة العثمانية عليها سنة 1456هـ . يعدد بعدها أفضال الدولة العلية على اليونانيين ويذكرهم بحسن معاملتها إياهم طوال عدة قرون. وامتد هذا الموضوع إلى الصفحة الثانية بكاملها.

وفي العدد التاسع الصادر في 23 ربيع الأول سنة 1315هـ . الموافق 9 أغسطس سنة 1897م موضوع (بشاير النجاح في تعليم السلاح) يتناول فيه كاتبه مصطفى بن زكري إقبال القبائل على مراكز تعليم السلاح وفنون التنظيم بكمال الشوق والرغبة إلى أن ادركوا في أمد قليل من الأيام والشهور ما لا يتصور الوصول إليه في مدة طائلة ...وذلك أعظم دليل وأوضح حجة على فرط الذكاء وغاية الغيرة والحمية وكانت قد انتهت من مدة ختام تعليم القسم الأول من المشاة بمركز الولاية على أحسن ما يرام من فنون النظام غير أن دواعي الشوق وأسباب الرغبة هزتهم إلى مراجعة التعليم يوما في الأسبوع وقد تقرر يوم الأثنين إجابة لمرغوبهم فينبغي لكل من يتشرف بشهادة الختام أن يلاحظ هذه

---

* . نشر بجريدة طرابلس القديمة، منشورات جهاز إدارة وتنظيم المدينة القديمة، طرابلس، العدد-14 1987/05/21م

السنة بعين الاعتناء ولا يهجر مواطن التعليم حتى تسدى عناكب النسيان على ما أدركه من المجد الأثيل والشرف الجليل ...ثم يعدد الكاتب الاحتفالات التي جرت بمناسبة انتهاء تعليم بعض الدفعات.

وفي الصفحة الأولى من العدد 14 الصادر في 28 ربيع الاخر سنة 1315هـ الموافق 13 سبتمبر سنة 1897م نشر فرمان سلطاني بالإنعام على والي ولاية طرابلس نامق باشا برتبة الوزارة الجليلة وبالعدد 29 الصادر في 22 شعبان 1315هـ موضوع (الصنائع) وهو دعوة للاهتمام بالصناعة الوطنية كان قد كتبه في أحد الاعداد السابقة ونظرا لما حازه موضوعه من الأهمية عند العموم فقد عاد لتناول نفس الموضوع وبدأه بتلخيص مقاله السابق الذي ذكر فيه (إن الفرنجة يسعون في استراق ما عندنا من صناعة ضنا بالأموال التي تردنا منهم بواسطتها ونحن لا نسعى في أن نسترق شيئا من صناعتهم التي تفيد بلادنا فتعوضنا ما أمسكوه عنا ومنعوه منا ووجه فيه نداء إلى الأغنياء للقيام بالمشروعات التي تضمن لهم الربح فضلا عن العوض.

يورد الكاتب ما يعانيه المواطن في سبيل تجميع المواد وتهيئتها لتجار أوروبا ومعاملهم فيردون ما يصنعون منها بأرباح تنتزع أضعاف أضعاف ما يكون قد أخذه بدل عنائه . ويصل الكاتب إلى نتيجة أنه إذا اردنا أن نروج الصناعة في بلادنا ترتب علينا أن ندخل إليها من الباب أي أن ندرسها درسا دقيقا حتى إذا بلغنا منها الدرجة المطلوبة عمدنا إلى وضع العلم, موضع العمل وانفقنا المال في سبيلها دون تقيد أو إسراف، فلا تأخذك الحيرة في سبيلها أيها الأب المثرى عند خروج ابنك من المدرسة في ما يقتضي أشغاله به وجهه إلى محل دراسة صناعة من الصناعات تكون أجل وأفضل من أن يبقى في مصنعك بعد الأيام والساعات والنقود والتي يجب أن ينفقها في تعلم صنعة فالذي بتعلم صناعة الزجاج أو الخزف أو الأجر هو أمن على ثروتك ممن يتعلم المقامرة.

والصفحة الثانية من الترقى عادة ما تكون امتدادا للموضوع الرئيسي الذي يكتب في الصفحة الأولى أو تعليق عن أهم أخبار الولاية أو ما يرد من الأستانة .

الصفحة الثالثة تتبع لمواضيع الصفحة الثانية وبها عمود بعنوان (أخبار محلية) ونأخذ أمثلة على بعض الأخبار المحلية، ففي العدد 13 الصادر في 21 ربيع الاخر سنة 1315هـ خبر عن التعليم العسكري وخبر عن (بناء مكتب) جاء فيه (من جملة إجراءات مجلس معارفنا الموقر تجديد مكتب الصبيان الكائن بمركز الولاية بمحلة البلدية لكونه عتيقا وقد أشرف على الخراب، ومن مدة صار نقضه وبنى من أصله بناء متينا منتظما بحمد الله

تعال في يوم السبت الماضي صار فتحه واجتمع فيه معلمه عبدالله أفندي وسائر طلبته ومن هيئة المعارف، حضره ذو الفضيلة الشيخ بشير أفندي وأكثر العلماء وإمام المحلة مع أعيانها، وقرئ ختم الشريف، مع قصة المولد النبوي وختم بتلاوة الأدعية الخيرية لملجأ الخلافة الكبرى وحامي حوزة الدين ورافع منار مجد المسلمين بالإضافة إلى بعض الأخبار الأخرى عن وصول بعض الموظفين والأعيان إلى مركز الولاية .

وفي الصفحة الأخيرة عادة هناك توجيهات دار الخلافة وأنباء برقية وهي أنباء عالمية خلال أسبوع. بالإضافة إلى بعض الإعلانات وهي محدودة ومن أمثلتها اعلان عن كتاب (غاية الأماني) لمؤلفه محمد كامل أفندي لمن أرد من الشبان العرب تعلم اللسان العثماني. وإعلان عن الآت خياطة إنكليزية بالعدد37 جاء فيه (إن التاجر الإنجليزي مستر ويليام ف. رايلي المقيم بطرابلس الغرب كان أتى أثناء عودته أخيرا من لوندره بمكنات خياطة تحرك باليد والرجل حديثة الطراز مكملة للغاية من معاملات فابريكة جونس الانكليزية المشهورة وهي تباع في محل تجارته بأسعار متهاودة، كما أن التاجر المومئ إليه تسهيلا للمشتري بأخذ أي نوع من مكينات الخياطة، المستعملة ويقبلها ويعطي بدلها مكينات جديدة بزيادة فرق جزئي حسب قيمتها. وتعلو هذا الإعلان صورة ألة الخياطة ..

استمرت جريدة الترقي لمدة سنة ثم توقفت عن الصدور وعاودت الصدور في 23 اغسطس 1908م وانتقل محل إدارتها إلى جادة مكتب الصنائع.. وطبعت مؤقتاً بالمطبعة الحجرية (أقل من عشرة أعداد).. ثم بدأت تطبع بمطبعتها الخاصة ...


مجلة الفنون
١٣١٦
مجلة علمية صناعية زراعية
مصورة
تصدر في كل شهر مرة في طرابلس الغرب
محتويات هذا العدد

مجلة الفنون 1899م

مجلة الفنون 1899م *

مجلة الفنون مجلة نصف شهرية، صدر العدد الأول منها في يناير سنة 1899م بأمر الوالي نامق باشا، وكان المسئول عنها محمد داود وتطبع بمطبعة الولاية طرابلس الغرب ويظهر أن هذه المجلة لم تعمر طويلا فتوقفت في سنة 1900م بإنتقال محمد داود إلى الآستانة .

لم أعثر على عدد متكامل من هذه المجلة فدار المحفوظات التاريخية بطرابلس تحوي على عدة ورقات منها، يظهر أنها لثلاثة أعداد مختلفة، أحدها صدر في السنة الثانية من عمر المجلة .

تضم هذه الورقات مجموعة من المقالات العامة منها، مختصر الجغرافيا ويتحدث كاتبه عن (البحار والبرور) وفي فقرة متفرقات نجد معلومات عن (أعشاش الطيور) و(السكك الحديدية في السودان) والغبار في هواء المدن الجسيمة، وفي فقرة مجربات نافعة يتحدث الكاتب عن طلاء الألوان على الحديد وعن زيت لدهن الالات، وعن واسطة لقطع قنينة زجاجية، وعن رائحة أقفاص الطيور، وغراء الجبن، والتوقي من البرغشي (الناموس) وعن واسطة لازالة بقع الشمع .

وفي أحد الاعداد نجد معلومات متنوعة صحية وزراعية، وفي باب متفرقات نجد وصفة طبية منذ 6000 سنة لمنع سقوط الشعر وهذا الدواء (ابتدع لأجل أم الملك (شاطا) ثاني ملوك السلالة الأولى المصرية الذي حكم قبل الميلاد بأربعة الالف سنة وهذا الدواء مركب من جزء من شحم رجل الكلب وجزء من التمر وجزء من حافر حمار....!!!

وفي أحد الاعداد وفي باب متفرقات يتحدث الكاتب عن تصور المهندس جان برليه لوصل أوروبا بأفريقيا بواسطة نقب تحت البحر يحفر في صخر، ويتحدث الكاتب عن جراحة غريبة نوردها هنا حرفياً بعنوان فيل جراح :

(إن الجراحة التي سنتكلم عنها مختصة بذات صاحب العملية أذ أن هذا الجراح الطويل الخرطوم أجرى عمليته على نفسه لكي يتخلص من علقة كانت تعذبه كثيرا، وقد روي من

---

* صحيفة طرابلس القديمة ، منشورات مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة / طرابلس ، العدد(7) 1987/05/14م.



داوود أفندي صاحب مجلة الفنون

شاهده بتعجب أنه اقترب إلى حظيرة من خيزران واقتلع قصبة منه ثم كسرها على قطع مستعينا على ذلك بخرطومه وبإحدى قائمتيه المقدمتين، فأخذ منها شقة حادة الرأس طولها نحو خمسة وعشرين سنتيمترا، ومسكها بخرطومه وحك بها إبطه بقوة تدل على عزم ثابت فما لبث مراقبه أن رأى علقة كبيرة سقطت على الأرض بعد أن كانت متعلقة تحت إبطه وتزعجه بزيادة ثم وضع الحيوان الذكي رجله على العلقه وسحقها بدمدمة تدل على الطرب .



إحدى صفحات مجلة الفنون



أبوقشة

قسم من الصفحة الاولى للجريدة

قسم صفحة الأولى من جريدة (أبوقشة)

جريدة أبو قشة 1908م *

أبو قشة جريدة كشكولية، هزلية، حساسة الشعور، تجسم اللب في قالب القشور، صدر العدد الأول منها 1908م واستمرت في الصدور إلى سنة 1911م وتطبع بالمطبعة الشرقية. صاحب الجريدة الهاشمي التونسي ومقر الإدارة (بكل حارة لا ضامن ولا وكيل ولا قال ولا قيل) تصدر في (طرابلس غرب الاشتراك (50 قرش) إذا قبضناهم بتحل باب العرض وإلا عشرة فرنك انحاس تحلى الانفاس وتجلى الاخراس .

ويقص الهاشمي التونسي قصة هذه الجريدة في عدد يوم الخميس13 ذي الحجة سنة 1328هـ في مقال له بعنوان (فاتحة السنة الثالثة) جاء فيها انتهت دورة الفلك السنوية على جريدتنا للعام الثاني، وابتدأت بقطع حلقات سلسلتها للسنة الثالثة، لا نشغل بياض الصحيفة بتعداد ما هو في الآمال، وما سنقوم به من الأعمال حتى يكشفه الاستقبال، وإنما نأتي على نبذة تاريخية تتعلق بصحيفتنا البهية .

ظهرت جريدتنا مزيانة توقظ في رقود الجبانة بتونس الخضرة وفيها مقالات معتبرة (قلب كف و وحيدة من الاجناب) باش تتصاحب القطاطس والكلاب لكن قعدنا مرة فوق ومرة لوطة، وانسلخت وجوهنا كيف الكرشه المسموطة (حتى حمرت العيشة ورفعت الحمل وخديت الثنية). دخلت طرابلس وحسبنا فيها تهنينا وُيا ليتني أمشيت لمالطه الحنينه (نخدم وننهات لا ما نلبس ولا وين انبات) معلوم الاشتراك ما يعطوه ، والكلام لحرش ما يبوه. نصحناهم بالصدق والأمان، قالوا قلوبنا ليك ما تطمان (ما لقيناش الخير في ناسنا وأمالينا، وأنت تونسي اش جابك لينا) لكن محبتي في العلم الهلالي (يقصد الدولة العثمانية) رخصت عندي كل عزيز وغالي، فاليت إلى العمل بكل ثبات غير هياب ما يوجب الفتور، ويعود على العزيمة بالفشل. متوخيا في طريقي تكسير كعوب كل ناشز. إن ما نبذره من بذور الإصلاح وما نسلك به القوم من طرق الفلاح وما نريده من الخير لكل ناطق بالضاد وأن يقابل بالإعراض لأول وهلة لابد أن يأتي يوم يقرع فيه الأذان الصم، ويعود بالضالة

---

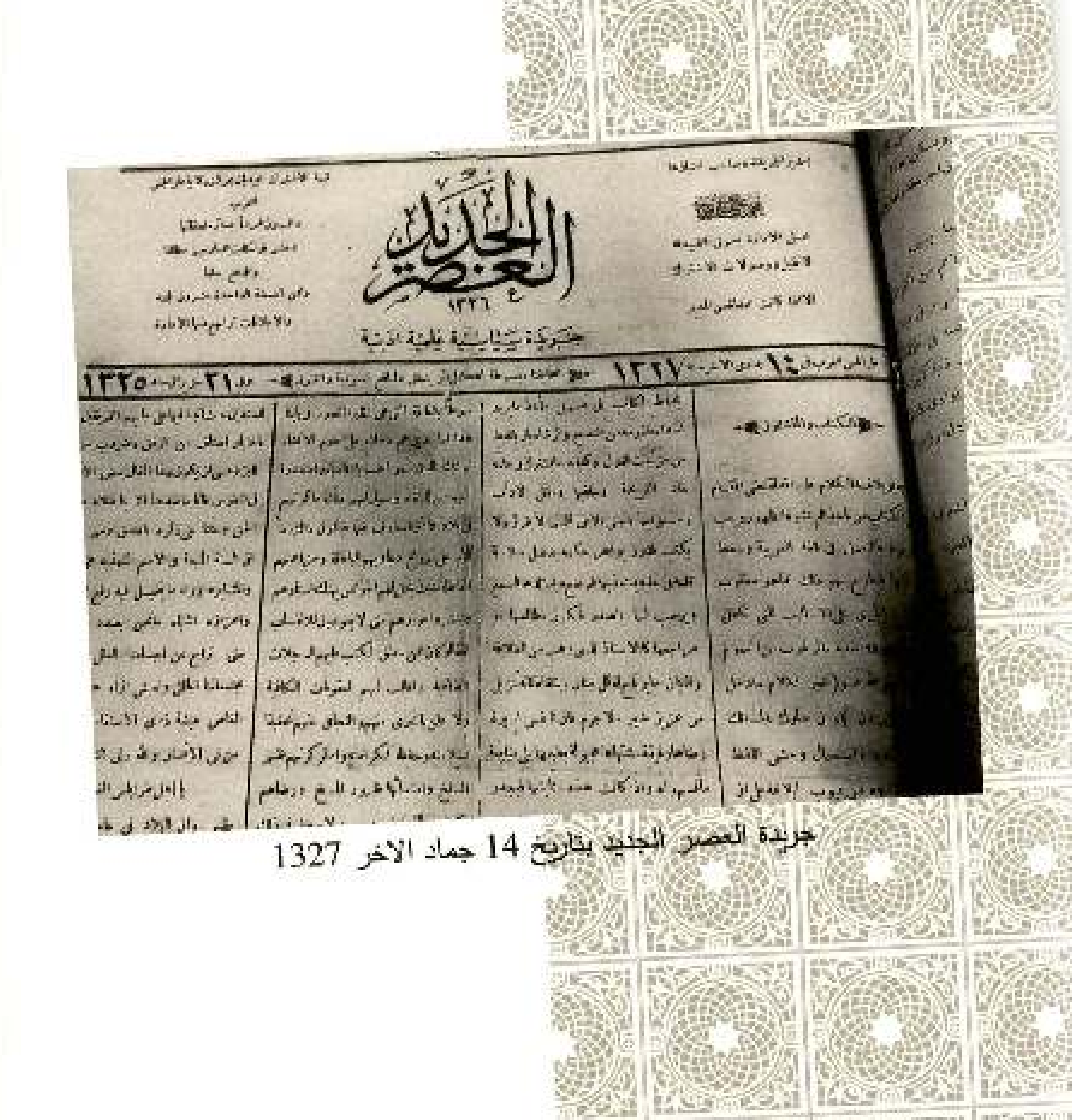
* . نشر بجريدة طرابلس القديمة ، منشورات مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة طرابلس، العدد(8) 1987/05/15م

المنشودة، وهو أقصى ما يؤهله الساعي لعروج الأمة أرقى درجات الكمال .

وقد وقف الهاشمي التونسي مدافعا عن الدولة العثمانية داعيا لها وجابه الأطماع الإيطالية في احتلال ليبيا و وقف ضد أعمال مصرف روما كاشفاً الدور الإستعماري الذي يلعبه للتمهيد للاحتلال، كما نبه لخطورة شركة الفسفات الإيطالية على أثر العثور على منجم الفسفات (قرب النقازة) بالخمس، وذكر في العدد59 الصادر يوم الأحد الجمادى الاول سنة 1329هـ أن (استخراج هذا الكنز يستدعي جلب الآف من العملة من البلاد الإيطالية وكثير من المهندسين، ولاشك أن هؤلاء العملة كلهم خدموا الجند ودربوا على حمل السلاح فأقل ملاكمة تقع بين أهلي وإيطالي فما على إيطاليا إلا شحن البواخر النقالة بالسلاح، وجلبها وتوزيعها على ذلك الجند المهيأ وما يقع إذ ذاك سيسطره تاريخ المستقبل) وأضاف الهاشمي إلى ذلك السيطرة الاقتصادية على البلد.

وعقب الاحتلال الإيطالي ترك صاحب الجريدة أبوقشة (والتي تعني القرد) طرابلس ورحل إلى جاوه بأندونيسيا وأصدر هناك جريدة عربية اللسان وقد توفي سنة1942م.





العصر الجديد

١٣٢٦

جريدة العصر الجديد بتاريخ 14 جماد الاخر 1327

جريدة العصر الجديد 1909م *

العصر الجديد، جريدة سياسية علمية أدبية، صدرت في أوائل سنة 1909م، مدير الجريدة وصاحب امتيازها محمد علي الباروني، محل الادارة بسوق الفنيدقة ، المقالات المتعلقة بالمنافع العمومية العارية عن الأغراض الذاتية تدرج مجانا، قيمة الاشتراك مجيديان بمركز ولاية طرابلس الغرب وخمسون غرشا بسائر ملحقاتها وعشر فرنكات بخارجها مطلقا وثمن النسخة الواحدة تراجع عنها الادارة .

هذا ما كتب على العدد5 يوم الأحد الصادر في 20 ربيع الأول سنة 1327هـ الموافق 29 مارت سنة 1325مالية (الموافق بالسنة الميلادية 11أبريل 1909م المطبوع بمطبعة الولاية خلال السنة الأولى من عمر الجريدة كانت تصدر يوم (الأحد من كل أسبوع) وفي العدد13 من السنة الأولى به إضافة جاء فيها ومحررها المسئول أحمد بن عويدات وصحايفنا مبسوطة لكل أثر يتعلق بالمنافع العمومية والفنون.

وفي السنة الثانية من عمر الجريدة يختفي المحرر المسئول وتأتي إضافة تحت عنوانها وهي (جريدة من الشعب وللشعب) مع بعض التعديل في غاية الجريدة ويوم صدورها فأصبحت العبارة (جريدة علمية سياسية أدبية تجارية مصورة تصدر يوم السبت من كل أسبوع). وفي أسفل الصفحة 4 من الجريدة كتب المدير المسئول حسين كمال وتحتها (طبع بمطبعة انترسيونالي).

كتبت العصر الجديد في العدد5 الصادر في ربيع الاول 1327هـ عدة موضوعات من بينها موضوع في الصفحة الأولى عن حالة التعليم، وفي الصفحة الثانية موضوع عن ادارة البريد جاء فيه (يعجز القلم عن وصف ما عليه ادارة البريد من الإختلال وعدم النظام وسوء الترتيب وإني والله ليحزنني أن اشاهد ادارة عثمانية على هذا الحال إزاء الإدارات الأجنبية، حالة كون الأولى ترد إليها مئات الألاف من الحمولات وبقية الإدارات لا يرجع إليها إلا قليل من المكاتيب على نسبة الأجانب بهاته الولاية. رب متوهم أن هذا الحال عائد إلى عجز مأموريها وعدم كفائتهم واقتدارهم، كلا بل هذا الحال أعظم دليل على حزمهم ونشاطهم

* نشر بجريدة طرابلس القديمة ، منشورات مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة ، العدد(6) 1987/05/13م

ولياقتهم التامة كيف لا وعددهم لا يصل إلى خمسة.. إلى المراجع العالية ونظارة البريد نرفع أمرنا طالبين بإلحاح توسيع نطاق دائرة البوسطة، و الزيادة في المستخدمين من كتبة وموزعين يرفعون المكاتيب إلى المحلات وأربابها كما هو الشأن وأن يعطى مكتوب لصاحبه بالإدارة حتى تستريح الناس من الزحام والوقوف كانه يوم الحشر وسنعود.

وموضوع أخر عن الدخان وما فيه من مضار، عن الصحة والمال، وموضوع عن الخراصة وهي لجان تخرج لتقويم المزروعات لأخذ الاعشار ويطلب صاحب المقال تعيين الاكفاء والأمناء المشهورين والنزاهة لهاته الوظيفة .



جريدة الرقيب بتاريخ 19 جماد الاخر 1327

جريدة الرقيب 1911م*

الرقيب جريدة عربية تركية أدبية سياسية مزاجية، أسبوعية، صدر العدد الأول منها في 1مارس 1911م صاحب الجريدة ومديرها و المحرر المسئول السيد محمود نديم بن موسى محل الادارة بفندق بن سعد بسوق الترك . الجريدة مفتوحة في كل الأوقات للخدمات النافعة الموجبة لتعالى الوطن العزيز، ثمن النسخة بقرش واحدة، كانت تصدر بأربع صفحات صفحتين باللغة العربية، وصفحتين باللغة العثمانية .

في العدد الثاني من جريدة الرقيب الصادر في 7 ربيع الأول 1329هـ الموافق 8 مارس 1911م كتبت الجريدة عن الاستعدادات بمولد سيد الكائنات في مدينة طرابلس، فذكرت أنه جريا على العادة المألوفة لدى أهالي ولايتنا منذ القرون الأولى ونعم العادة عادتهم في التسابق و المناسبة في تهيئة وإحضار المعدات اللازمة للإخراج وإقامة الاحتفالات بمولد نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في كل المحلات وقد شرعوا في ذلك اليوم الأربعاء السابع من شهر ربيع الحالي.

وبما أن اشهر المحلات التي تقام فيها تلك الاحتفالات هما أهل طريقة سيدي محمد بن عيسى المعروفان بالزاوية الكبيرة و الصغيرة، والحق يقال أنهم قد امتازوا واشتهروا عن غيرهم في إقامة تلك الاحتفالات والأفراح بسبب تفانيهم في هذا السبيل، وما أزفت الساعة الخامسة من يوم الأربعاء المذكور حتى تجمع أهل الطريقة في زاويتيهما، ولما تكامل عددهم خرجوا على أحسن هيئة وفي أكمل انتظام حاملين أعلامهم مترنمين بأناشيدهم على وزن حركات دفوفهم والآت بازهم، وطافوا أشهر المحلات، ثم رجعوا بهيئاتهم وانتظامهم قبيل غروب الشمس إلى زاويتيهما، وسيتبرك الأهالي مثل كل عام بسماع قصة المولد الشريف التي ستقرأ في تينك الزاويتين ليلة يوم المولد الاثنين الثاني عشر من ربيع الأنور الحالي أعاد الله أمثاله على الجميع بالخير و السعادة وحسن الاستقبال .

---

* . صحيفة طرابلس القديمة ، منشورات جهاز إدارة وتنظيم المدينة القديمة ، طرابلس ، العدد الرابع – 1987/05/11م



الوقت

١٣٣٨

هدية إلى الشبيبة



جريدة (الوقت) 24 شوال 1339

الوقت

١٣٣٨

كتاب مفتوح لدولة الكونت وولس

جريدة (الوقت) 9 ذي الحجة 1339

جريدة الوقت 1920م *

جريدة أسبوعية وطنية علمية سياسية أدبية اجتماعية . صاحب الإمتياز والمحرر المسئول محسن ظافر المدنـي . قيمة الاشتراك فـي القطر الطرابلسي 25 فرنك وفـي سائر الممالك 30 فرنكا عن السنة الواحدة . من قبل عددا واحدا عد مشترك .. لا تعتبر الوصولات ما لم تكن ممضاة من المدير . الإدارة مؤقتا في شارع كوشة الصفار عدد جميع المراسلات تكون خالصة الأجرة باسم الإدارة ولا تعاد لأصحابها . الإعلانات يتفاوض فيها مع الإدارة. هذه المعلومات مدونـة على صدر الصحيفة وكانت هذه الجريدة تطبع بمطبعة تشوبه وغيرها. بدأت في الصدور 10 أبريل 1920 م بين أيدينا العدد (2) السنة الثانية الصـادر يوم الخميس 13 رجب سنة 1339هـ . 24 مارس 1921م في الصفحة الأولى كتب عبدالرحمن عزام موضوع بعنوان كتاب مفتوح بدأه بما يأتي « زملائي المحترمين المشتغلين بالسياسة من الوطنيين الطليان في طرابلس الغرب» ومن بعدها تدخلت الرقابة وحذفت الموضوع الذي كان في أربعة أعمدة . وفي الصفحة الثانية كتبت الجريدة خطاباً بعنوان إلى المراقبة هذا نصه :

إلى وكيل الوالي

أنظر إلى بياض الجريدة وأحكم بوجدان

كيف يمكن أن نتفاهم وهذه حالة جرائدنا ؟ وكيف تريدون أن نقبل قانونكم الأساسي ؟ الذي أخف مادة منه حرية النشر والاجتماع جعلتم دون تطبيقها مراقبا كالجبار يقضي على مجهوداتنا بخط من يده الحديدية وأنتم تنظرون ولا تلتفتون ألم نقل صدقا ؟ ألم نقل حقا ؟ لماذا لا نكون أحراراً مثلكم ربي أن هذا لهو البلاء المبين ؟
أيمكن الضحك على الأمة بهذه الدرجة وطلب بعض المغفلين على حساب الإستعماريين تطبيق قانون هذه مواده، نظرة إلى أقلامنا التي لم نحركها لحد الآن إلا في صالحكم لو تدبر المراقب .

---

* . صحيفة طرابلس القديمة ، منشورات مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة ، العدد (11) بتاريخ 1987/05/18م

لا يصعب علينا أن تكون أقلامنا كأقلامكم من حديد في ربوع الحرية خارج محيط استبداد المراقب ولكن الأمل فيكم أن تنشلونا من مخالبة وتتركونا أحرار لنتفاهم إن تريدوا الإصلاح .

تخضع جريدة الوقت إلى الرقابة وكثيراً ما تحذف الرقابة مواضيع كاملة وتترك بعض صفحاتها بيضاء، وتكتب عليه بخط كبير مراقبة، وتعمد في بعض الأحيان إلى كتابة الموضوع مبتور تتخلله فراغات يدون داخلها كلمة مراقبة ، وبخصوص موضوع كتاب مفتوح عاودت الصحيفة وتناولته في العدد الثالث من السنة الثانية الصادر في يوم الخميس 29 رجب سنة 1335هـ / الموافق 7 أبريل 1921م تحت عنوان كتاب عبدالرحمن بك عزام المفتوح وفيه رد على بعض الصحف الإيطالية .



الاشتراكات

الذكرى

سنة ١٣٤٠

المكاتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

جريدة (الذكرى) 4 صفر 1340

جريدة الذكرى 1921م*

جريدة سياسية علمية أدبية اجتماعية أسبوعية مؤقتة ، صاحب الجريدة المسئول السيد عثمان أحمد بن موسى، الادارة بزقاق البقار رقم (396)، الرسائل ترسل خالصة الأجرة باسم المدير، ولا تعاد نشرت أم لم تنشر. العنوان التلغرافى جريد الذكرى بطرابلس الغرب، ثمن النسخة ثلاثون سانتيما، الاشتراكات عن السنة في طرابلس الغرب، 20 فرنكا، وفي ملحقاتها 25 فرنكا، وفي الخارج 30 فرنكا، من قبل عددا عد مشتركا والدفع مقدما.

هذا ما كتب على صدر العدد الأول وكانت تطبع بمطبعة تشوبه. صدر العدد الأول من (الذكرى) يوم الخميس 4 صفر الخير سنة 1340هـ الموافق 6 اكتوبر سنة 1921م . وهو يتكون من صفحتين وفيه كتب صاحب الجريدة عن الصحافة، وهدف جريدته يقول: وبعد فإن مهنة الصحافة من أشرف المهن، ولا عبرة بالعوارض التي اعترتها في هذا العصر شأن كل الصنائع إذا دخل فيها دخيل أو حل بساحتها نزيل، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، وعلى كل : فما على التبر عار في النار حين يقلب، لا أريد ان أتعرض الآن لتاريخ الصحافة العربية والافرنجية ... إن المقصود الوحيد من نشر هذه الصحيفة هي الخدمة النافعة لعموم الناطقين بالضاد، مع التزام الصدق في القول والعمل، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن يجعل التوفيق رائدنا، والاخلاص شعارنا، والاصلاح دثارنا وأن يلهمنا رشدنا، ويعيننا وإخواننا في المهنة على خدمة وطننا، ويحفظنا من شر الحاسدين ومكر الماكرين وكيد الخائنين ..) بالإضافة إلى هذا المقال تحمل الصفحة الأولى أخبارا خارجية تتعلق بالحرب التي يقودها مصطفى كمال ضد اليونان .

في الصفحة الثانية أخبار محلية يتناول فيها الكاتب أخبارا عن العدد الأول من الجريدة وهدفها (خدمة الدين والوطن العزيز، صادعة بدعوى أبناء وطنها الكرام إلى الاتحاد وجمع الكلمة على ما فيه صلاحهم ونجاحهم راجين منهم المؤازرة والتعضيد وعلى اتحافها بنتائج أفكارهم السليمة ...) وموضوع أخر بعنوان (سياسة ام تعاسة) يتحدث بإيجاز شديد عن حالة

---

* نشر بجريدة طرابلس القديمة ، منشورات مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة ، طرابلس ، العدد(10) 1987/05/17م

البلاد وما قاسته من حروب وفتن، وبها بعض الاعلانات ونداء إلى دائرة البلدية جاء فيه: المأمول منكم الاهتمام بتنظيف الطرق خصوصا زنقة المجروح ، وزنقة زعوط ، وكثير من المحلات التي لا يستطيع المار منها أن يخرج إلا وهو متألم من الروايح الكريهة الحادة، والمأمول أيضا بان تأمروا مأموري التنظيفات بأن يجعلوا فرقا بين بيوت المسلمين وغيرها).
وبها موضوع عن (الحجر الصحي وابتلاء الأهالي) جاء فيه :
(بلغت الروح الحلقوم، وصار الأهالي في حيرة كبيرة مما وقع ويقع من دائرة الحجر الصحية من الهجوم على المريض، وتخريجهم بصورة مزعجة تكاد تتصدع منها القلوب وقد وقعت هذه المسألة بالأمس لأكبر عالم في طرابلس، ألا وهو الأستاذ الشيخ أحمد بن محمود لولا أن دولة وكيل والي الولاية جبر خاطر الأهالي وأمر بترجيعه إلى بيته كادت البلاد تقوم وتقعد لهذه المسألة المهمة. فالمرجو من أرباب الحل والعقد أن يعتنوا بهذه المسألة وان لا يكون الحجر إلا في البيوت سواء للذكور أو الإناث وألا تقع مسائل غير مأمونة العاقبة على غير طائل).

يعود صاحب الجريدة إلى موضوع الحجر الصحي في العدد الثاني من جريدته الصادر يوم الخميس11 صفر الخير سنة 1345هـ الموافق 13 أكتوبر سنة 1927م تحت عنوان «الدين و العوائد وتلف الأموال والبلدية والصحية» يشير فيه الكاتب إلى ما كتبه عن واقعة الأستاذ الشيخ أحمد بن محمود وطلبه من أرباب السلطة رفعه مع سد المنافع التي تصدر منها مثل هذه الأمور احتراما للدين، و العوائد المصونين من التعرض حسبما صدر في خصوص حفظها لا حصر له من الارادات الملوكانية كيانهما وأملنا مراعاة ذلك، ولكن يا خيبة المسعى بلغنا أثر صراخنا ذلك أن دائرة البلدية دعت الأئمة والمختارين والصحافيين عدا مدير الجريدة « الذكرى» لم ترسل له لأسباب سنأتي على تفاصيلها في أعداد قابلة على أن دعوة الأئمة والمختارين في مثل هذه المسائل المهمة لا تكفى إلا لتلقى بعض أوامر من أي دائرة كانت وتبليغها للأهالي، وليست لهم صلاحية تامة في الموافقة وعدمها ويمضي صاحب الجريدة في مقاله ليذكر ما تكبدته ضحية السرقة الثابتة والنهب والتبديد في المرات السابقة ولا من رحم ميتهم او حيهم بانعطاف إنساني أو تعويض مالي أو على الأقل لزوم لتوصيف محل (اللازاريت) أي الحجر الصحي بعد أن شاهد وضعيته الثقاة..
يورد صاحب الجريدة حادثة في نفس العدد تنم عن غطرسة المستعمر وتكبره رغم ما تدعيه حكومة الاحتلال الإيطالي من مساواة فيقول: في اليوم الثالث عشر من أكتوبر ركبت ظهر

الباخرة قاصدا إلى مصراتة وبيدي ورقة من الدرجة الأولى فسلمتها للشخص الذي تسلم له أوراق الدرجات المذكورة فتأمل فيها مليا وقال: ليس بها رقم ولا يوجد محل للنوم الآن ، وفي الوقت نفسه دخل أخر وبيده ورقة كورقتي فأوجد له محلا في أقرب وقت فقلت في نفسي يا ترى ما السبب؟ وجال الفكر فلم أجد سببا غير أني عربي والأخر طلياني فقلت يا للأسف، وأين المساواة ضالتنا المنشودة التي نطلبها في كل لحظة؟ ونتمنى حصولها في كل الأشياء لا في أشياء مخصوصة .



الحقيقة

"La Realtà"

جريدة (الحقيقة) 13 ذي الحجة 1358

جريدة الحقيقة 1932م*

صحيفة الحقيقة نوع من الصحف التي أسسها المستعمرون الإيطاليون للدعاية لهم بين الأهالي، وهي تصدر (باللغة العامية) كما جاء في صفحتها الأولى (وتظهر مرتين في الحفضة) الجمعة والأثنين، صدر العدد الأول منها في 1923/09/22م وتتكون من صفحتين تصدرها إدارة الجريدة وأصبحت تصدر يومي الجمعة والثلاثاء بدلا من الأثنين وكانت تطبع بمطبعة ماجي بطرابلس.

في العدد السابع من جريدة الحقيقة الصادرة في يوم الجمعة 29شعبان 1358 الموافق 12 اكتوبر 1939 مقال دعائي للحكومة الفاشستية بعنوان (الفائدة متع لنقابات اللي دارتهم الحكومة) وتهنئة بنفس العدد بشهر رمضان (مبروك عليكم رمضان يا قرايين الحقيقة) جاء فيها بعدما تبارك (الحقيقة) للمسلمين بشهر رمضان فخبرها اللي راد باله ويجيب الخبر- عقبال داير) .

ومخبر الحقيقة مخصص له ربع صفحة يجول في المواقع، ويتحدث مع المواطنين، ويخدم الجانب الاستعماري ويقوم بالدعاية له وننقل هنا ما جاء في العدد الصادر في رمضان 1358 بعنوان مخبر (الحقيقة) في البورت.

مشي اليوم مخبر (الحقيقة) للبورت وقعمز على الركابة يتفرج على البابير اللي مرسيه وعلى الخدامه اللي يخدموا ويغنو هيا ليص هيا ليص .دعاه واجبه باش يسال (عن الأخبار) تقرب من واحد من الخدامه وسأله:

أنت يا خوي ترى بالله تربح .

الخدام – هيا فصل هالكسوة الكموني.

المخبر – وهو مخجول سامحني نبي ننشدك.

الخدام- عاودها عاد أحكي.

المخبر- بقداش تخدم.

الخدام- وعلاش تنشد شن هالفضول.

---

* . صحيفة طرابلس القديمة ، منشورات مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة،العدد(5)1987/05/11م...

المخبر- على خاطر بالك حتى أني نبي نجي نخدم.

الخدام- ماظنيتش على خاطر وجهك مش وجه خدمة.

المخبر- تربح فهمني.

الخدام- بطناش الفرنك وفيه اللي ياخذ حتى خمصطاش .

المخبر- عال وانا نخدم بخمسة في (الحقيقة).

الخدام- ها فهمت أنت اللي ترفع في الاخبار ؟

المخبر- انعم .

الخدام- واشنو عندك من أخبار اليوم.

المخبر- شيء كان كلامنا هذا .

الخدام- هاذا فارغ.

المخبر- أمال زيد فهمني عندك واري وإلا كساد.

الخدام- يا مسكين أنت تشبح بعيونك لقيتش واحد واقف؟

المخبر- لا كلكم تخدموا.

الخدام- تو ما عادش يلزم تسئل، على خاطر البلاد اللي فيها خدمة واللي ما فيهاش يعرفوها من خدامة بورتها، كأنك لقيتهم كيفنا حنى راهو عندهم وارى، وحتى اهو ريت بعينك، وعاد بعد ما دارلنا الحاكم العام نقابة وصرنا كيف ما نبو مشى زي قبل كل حد في جيهة أما اليوم نظمونا وكل واحد أمن معيشته واللي ما عنداش خدمة يدورولە، واللي أجرته شوية يزيدوه والحق الحكومة ربي يجازيها خير عملت فينا طيب - وسلم على المخبر ومشى لشغله.

روح المخبر متعجب من الذكاء متع الخدام .

وأنا هنا أتعجب من ذكاء المخبر الذي وظفه للدعاية للحكومة الفاشستية في البلاد .



شعلة الحرية

جريدة (شعلة الحرية) 21 يناير 1951م.

جريدة شعلة الحرية 1951م*

جريدة شعلة الحرية، جريدة يومية وطنية جامعة، تصدر أسبوعية مؤقتا، صاحبة الامتياز أحمد زارم، صدر العدد الأول منها في 1951/01/28م ثمن العدد 5 ليرات عسكرية وكانت تطبع بمطبعة ماجي بطرابلس.

وقد نشرت شعلة الحرية قصيدة للشاعر الوطني السيد أحمد قنابة بعنوان (شتت الله شملهم فرقونا) في العدد الثاني من السنة الأولى الصادر في 1951/02/01م.

شتتت الله شملهم فرقونا   إنهم ظالمون مستعمرونا

أوهموا الناس أننا في انقسام   لم نكن وحدة وهم وحدونا

أوهموا الناس أننا في شقاء   فأتوا أرضنا لكي يسعدونا

أوهموا الناس أننا في اسار   واضطهاد وأنهم انقذونا

أوهموا الناس أننا في اعتلال   وسقام يا ليتهم عالجونا

أوهموا الناس أننا في احتياج   ولهم ثروة بها زودونا

يعلم الله من أشد احتياجا   لو تخلوا عنا لما أحوجونا

قاسمونا في أرضنا كل شيئا   أو لم يكف أنهم افقرونا

خدعونا في زعمهم يوم قالوا   أنهم من عدونا حررونا

فاستمالوا نفوسنا بوعود   لن توفى ولو صبرنا قرونا

إننا في وعودنا قد صدقونا   إنما في وعدهم كاذبونا

أي قيد فكوه عنا بوعد   فأسألوهم كم مرة راوغونا

لم يفكوا بعد ولكن   كبلونا بغيرها كبلونا

---

* جريدة طرابلس القديمة ، طرابلس ، منشورات جهاز إدارة وتنظيم المدينة القديمة ، العدد(17) 1987/05/14م.

وينهي الشاعر قصديتها بهذا البيت

إننا وحدة من الجنس واللهجة والدين وإن جزأونا

في فقرة الاسبوع الرياضي تشرح الجريدة في عددها الثاني في تعليق على مباراة الاتحاد و سليمه المالطي التي جرت يوم الأحد 28 يناير 1951م تحت عنوان (لو كان مسعود في الميدان [1]) وانتهت هذه المباراة بين فريقي الاتحاد وسليمه بفوز الثاني بهدفين ضد واحد وهي نتيجة مؤسفة بالنسبة لنا نرجو أن يجدد الاتحاد نشاطه ويقوي صفوفه في المستقبل القريب ... وفي نفس العدد تحدثت الجريدة عن خطر الجراد يهدد منطقة طرابلس وعن تطورات القضية الليبية في جامعة الدول العربية .

(1). يقصد اللاعب مسعود الزنتوتي.



منشورات جهاز إدارة المدينة القديمة اطرابلس 2022 م